العدد ٩٦ - صفر ١٤٠٤هـ - نوفمبر ١٩٨٣م



مجلة العربية ثقافية شهرية
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



قادة الخليج في مؤتمرهم التاريخي بالدوحة

جائزة الأدب التقديرية في [illegible]

د. محمد جابر الأنصاري

يا جمال الدين.. لماذا يهاجمونك ويحقدون عليك إلى هذا الحد؟

محمد الغزالي

جولدنج.. الفائز بجائزة نوبل هذا العام

مجدي نصيف

كان زوجي أجمل رجل في العالم

جاكلين.. آخر زوجة لبيكاسو



جائزة الأدب التقديرية في السعودية



ستة معانٍ يُوحيها هذا الحدث

بقلم الدكتور
محمد جابر الأنصاري

حدث منح الجائزة التقديرية لثلاثة من كبار الأدباء فى المملكة العربية السعودية ياتي كواحد من أهم الأحداث الثقافية فى منطقة الجزيرة العربية والخليج منذ ان بدات نهضتها الحديثة فى هذا العصر ، ويترافق مع بداية السنة الرابعة للقرن الخامس عشر الهجري الذى يؤمل ان يكون قرن النهوض الحاسم لهذه الأمة على امتداد الوطن الكبير .

هذا الحدث الذى رعاه الملك فهد بن عبد العزيز شخصياً والقى فيه كلمة ذات نبرة فكرية متميزة ، يمكن ان نستخرج منه المعاني التالية :

اولا ـ ان النهضة الانمائية التى تركزت فى البداية على بناء الاسس الاقتصادية المادية للمجتمع قد اخذت تتحول من كم الى كيف بالالتفاف الى تنمية الفكر والقيم الثقافية والفنية ، او ان هذا ما يجب ان يكون ، حيث يتطلب الامر وضع قيم الفكر والثقافة فى قمة الاولويات قبل الشئون المادية الاقتصادية ، لأن هذه الشئون لن تاخذ مسارها الحضارى السليم ، إلا فى ظل رؤية فكرية سليمة تضبط مسار النهضة وتوجهه .

هذه الرسالة التى يوحيها هذا الحدث تعني كل الدول الخليجية والعربية التى مازالت تغلب فيها التوجهات المادية فى سلوكية المجتمع على التوجهات والقيم الفكرية ، وتقرع جرس التنبيه الى ان قد حان الوقت لوضع الامور فى نصابها الصحيح بتقديم قيم الفكر على قيم المادة ، لتثمر النهضة ويستعيد الانسان وجهه الحقيقي .

هذه الرسالة تقول بايجاز : الخليج ليس نفطاً ، ويجب الا يبقى مجرد مساحة نفطية انه قبل كل شيء وجود عربى أصيل فيه من العروبة قيمها ورسالتها وفكرها وادبها منذ طرفة بن العبد الى .. احمد السباعي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله بن خميس (الأدباء الثلاثة الذين كرمتهم الجائزة) .

ثانيا : إن هذا الحدث يحيي ذاكرتنا لتستعيد تراث هؤلاء الرواد ، والرعيل الذى عاصرهم ليس فى السعودية فقط ، وانما فى المنطقة كلها .

فعندما تم منح الجائزة التقديرية لكبار ادباء العربية ـ كالعقاد وطه حسين ، فى مصر ، كان نتاجهم معروفا ومنشودا ومتداولا ..

اما ادباء هذه المنطقة فان الظروف





جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود والفائزون الثلاثة : احمد السباعي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله محمد بن خميس .. بريشة الفنان السعودي احمد الغلوث

التاريخية والاجتماعية بمطلع القرن العشرين قد حالت دون انتشار أدبهم بالشكل الذى يستحق لغياب امكانات النشر وغلبة الامية فى المجتمع والعزلة التى فرضها الاستعمار بين الأقطار العربية

هكذا تأتي الجائزة التقديرية اليوم لتنفض الغبار عن هذا التراث الأدبى الرائد ، وتدعونا الى إعــادة قــراءته ودراسته ونشره . وهو تراث ، لوجه الحق ، فيه قسط غير قليل من روح المعاناة الريادية المبكرة ، وروح الاصلاح المخلصة ، وروح التحرر والجراة الادبية ، وعشــق حرية الفكر وحرية الكلمة ، والتصدي لرواسب التخلف الحضارى فى زمن كان فيه هذا التخلف هو العنوان الرئيسي لواقع مجتمعنا .

ويكفي ان نعرف ان احمد السباعي ، أول الرواد الفائزين ، كان أول من دعا الى تعليم الفتاة فى الجزيرة العربية قبل خمسين سنة ، وكان أول من اسس مسرحا بها .. وكان احتماله لتبعات دعوته مثالا يحتذى ، ويقدم نموذجا لجيلنا الحاضر فى الرجولة الفكرية والثبات على المبدأ



والصدق مع الذات .

واذا كانت الدولة قد اكرمت هؤلاء الرواد معنويا وماديا ، فعلينا نحن كمثقفين ومواطنين ومجتمع ان نقوم بواجبنا فى تكريمهم . وهذا الواجب يتمثل فى قراءة نتاجهم وتقييمه واذاعته والاقتداء به فى الاصلاح والثبات والصدق والجراة الادبيــة . وهذا لا يقتصر على الرواد الثلاثة بل يشمل جميع روادنا المصلحين الاحرار من ابراهيم العريض الى خالد الفرج الى عبد الله الزايد الى عبد العزيز الرشيد الى فهد العسكر الى صقر الشبيب وكثيرين غيرهم من رواد الاصلاح ورجال الكلمة .

ثالثا : ان صوت هؤلاء الرواد فى تلك الحقبة ، كان فى حقيقة الامر ، هــو « الصوت الآخر » و « الرأى الآخــر » بالنسبة للصوت التقليدى الجمــاعى السائد فى مجتمعهم حينذاك بحكم واقع التخلف فى تلك الفترة .

وعندما تكرم الدولة اليوم هؤلاء الرواد لتعبيرهم عن الصوت الآخر والرأى الآخر فى الجدلية الاجتماعية التاريخية ، فانما تعبر عن احترامها واحترام المجتمع لهذا الصوت المتميز والرأى المستقل ، أى عن احترامها لحرية الكلمة وحرية الرأى والرأى الآخر فى الحوار الاجتماعى الهادف لخير الوطن ، فى الماضي والحــاضر والمستقبل .

هذا المعنى الجميل للتكريم يكرس ويرسخ المبدأ الديمقراطي فى الحوار وتبادل الرأى بين الأطراف المختلفة فى بوتقة الوحدة الوطنية والاجتماعية ،

ستة معان يوحيها هذا الحدث



سمو الأمير فيصل بن فهد
رئيس لجنة الجائزة



الدكتور غازي القصيبي
من لجنة الجائزة

ويعطينا درسا من ماضينا نستهدي به فى حاضرنا لبناء النهضة على مبدا الشورى والتحاور وسماع الراى الآخر والصوت الآخر فذلك هو اساس البناء والاصلاح والنهوض ، كما تثبت لنا تجربة هؤلاء الرواد فى الماضى ، وتكريم الدولة لهم فى الحاضر .

رابعا : ان الدولة عندما تكرم العطاء الأدبى والابداع الفكرى فانما تستعيد تاريخا عربيا زاهرا كان فيه الخلفاء العرب والمسلمون يتنافسون ويتبارون فى تشجيع الأدب والثقافة والرموز الحضارية كلها ، اى ان المسالة تتعلق بتصحيح مسيرة التاريخ العربى واعادة الاعتبار للتحضر الحقيقى على ما عداه من عوامل التخلف الذى يكمن خلف كل التراجعات العربية الراهنة فى التحليل النهائي .

خامسا : كما ان هذا الحدث يقيم للعرب جسرا مع مواقع التحضر الانسانى العالمى المعاصر فى دنيا الحضارة الحديثة ، ويعطى الصورة الحقيقية الأصيلة للعربي كمبدع للحضارة وكمشجع لها ، مكان الصورة التقليدية التى تروجها الجهات المعادية من صهيونية واجنبية حاقدة على الانسان العربى .

كلنا نذكر الصورة المشوهة التى روجتها شركة « دنلوب » لعربي يطعن الاطار بخنجره فى حركة غير لائقة ..

هذه الصورة المدسوسة تسقط تلقائيا أمام العالم كله عندما يرى هذا العالم فى الانسان العربى قائدا مشجعا للثقافة ، ومفكرا مبدعا لها ، وشعبا متيقظا لاستقبالها .

سادسا : ان هذه المعانى تندرج وتصب فى معنى أساسي كبير هو ضرورة وحتمية الشروع فى نهضة فكرية وادبية جديدة ، شابة ، مبدعة على هذه الأرض العربية . فكل تلك المعاني لن تكتمل ولن تزدهر إذا لم ياخذ جيلنا المثقف الشاب بزمام المبادرة ، وياخذ على نفسه ، تصميما وعهدا ، القيام بنهضة ثقافية جديدة فى مستوى التحدي ومستوى الامل ، ترد على التردي الراهن ، وتنقذ المجتمع من اسفاف المادة وسيطرة الروح الاستهلاكيةوتستعيد الأرث الحضارى العربى الأصيل ، وتمد يدها للأرث الانسانى قديمه وحديثه فى كل مكان من بقاع الارض .

وهذه النهضة لابد ان تترك التقزم والتشرذم والاقليمية التافهة لتكون عربية عملاقة بحجم الوطن العربى الكبير ، بحجم الامة من محيطها الى خليجها ، بحجم تحديات العصر ، بحجم المجد الثقافى العربى القديم ، وبحجم املنا الكبير المشترك فى الانقاذ وتحقيق التقدم والكرامة للانسان العربى .

فلا ادب خليجى ، ولا ادب سعودى ، بل أدب عربى وفكر عربى وثقافة عربية موحدة فى الخليج وفى السعودية ، وفى مصر ، وفى العراق ، وفى المشرق والمغرب ،

وتاكيدا لهذا المعنى العربى الكبير ، فان الرياض قد دعت اكثر من سبعين اديبا ومفكرا عربيا ليكونوا شهودا قوميين وحضاريين على هذا الحدث ، بما يؤكد هذا التوجه العربى الكبير الشامل الذى قصدناه والذى نود تاكيده ما بقي العرب وبقيت ثقافتهم الموحدة الواحدة .





الميدالية الذهبية التى اعطيت للفائزين

كان من بين الشهود الكبار ، وفى طليعتهم عبد السلام هارون من أرض الكنانة ، من مصر العربية ، وكان هناك عبد الكريم اليافي وسعيد الافغاني من سوريا العربية ، وكان هناك إحسان عباس ومحمد يوسف نجم من فلسطين وناصر الدين الأسد من الأردن ، والعروسي المطوي من تونس وكثيرون غيرهم من ادباء العروبة .

ومن روح هذا الحدث على أعرق أرض عربية خرج منها ادب العرب ، وانطلق منها مجدهم ، وبدأ فيها تاريخهم ، نكرر الدعوة الى نبذ الروح الاقليمية التافهة فى الثقافة فى كل الاقطار العربية ، ونذكر ان هذه الروح العقيمة هى انعكاس للهزيمة واليأس والتبعية الثقافية والاستلاب الفكرى . وواقعها الادبي الذى وصلت إليه يؤكد افلاسها وعدم استعداد النـــاس لتقبلها لا فى أرضها ولا فى ايـــة أرض عربية . وانه لا بديل عن الروح العربية الشاملة التى اخرجت لنا جيل الرواد الكبار من العقاد والرصافي والشابي الى احمد السباعي وحمد الجاسر وابن خميس ، فما زال زادهم هو الزاد ، وما زال إرثهم هو الارث .

أما هذا التقزم الثقافى الهزيل والمريض فى الفينيقية والفرعونية والقرطاجيـــة والخليجية فمصيره الاهمال والنسيان والسقوط .. لانه ببساطة الابن الطبيعى لمرحلة السقوط . وعقمه الحالى فى كل الأقطار العربية دليل على ذلك . ومن أراد التحقق فليقراه ليرى ضيق الافق وتقزم الانسان وانسداد الطريق وانتهائه بحفريات اثرية ميتة . ثم ليقرا ادب جيل الرواد الشموليين المنتمين لروحنا العربية الكبيرة الواحدة ليرى كيف يتسع الافق وتمتد الأرض الرحبة وينطلق الفكر ويقف الانسان شامخاً بامتداد التاريخ ، باعتداد المستقبل .

فلترجع الثقافة الى هذه الروح الكبيرة المبدعة ، لترجع الأمة كلها ، سياســـة واقتصاداً واجتماعاً ، الى روحها الأصيلة وتتجاوز حضيض التقـــزم والتشرذم ، والاقليمية التافهة التى هى الوجه الآخر لواقع الهزيمة .



الملك فهد والادباء الرواد

واخيراً فان هذا الحدث الثقافى قد ازداد تميزاً عندما ختمه جلالة الملك فهد بكلمة قال فيها مخاطباً حشد الأدباء العـــرب الحاضرين :

« ارجو من المجتمعين أن ينيروا الطريق لأبناء الامة العربية والاسلامية بما الصق فى تاريخ الامة من تشويه .. نحن واياكم مثلا خلال العشرين سنة الماضية لغاية الآن . نرى مؤلفات تمتدح ، ومؤلفات تشتم ، ونعرف ان الذى يمدح كذاب والذى يشتم كذاب ، ومن الأشياء التى تعيب الرجال وتعيب رجال التاريخ ان يزور التاريخ ، وان يمتدح احد لا يستحق المديح ، ويشتم الذى لا يستحق الشتم » .

هذه الكلمة القاها جلالة الملك فى حديث عفوى من القلب للقلب اثناء مخاطبته للادباء العرب ، وبلاشك فان اجمل مبدأ فيها عبارته الصريحة الحافلة بالمعنى :

« نعرف ان الذى يمدح كذاب ، والذى يشتم كذاب » وهذا المبدأ الصريح والحاسم ينطبق فى نظرنا على كل انواع الكتابة والقول من كتابات تاريخية ومخاطبـــات اجتماعية ومقالات صحفية واحاديث اذاعية وتليفزيونية ومؤلفات شـــعرية ونثرية .

انه دعوة كريمة ليحل الصدق وتحل الموضوعية والتجرد والنزاهـــة فى كل ما نقول ونكتب ، بعيداً عن المدح او الذم ، أى بعيداً عن الكذب بنوعيه ، النوع المادح والنوع الشاتم .

والواقع اننا لو التزمنا بهذا المبدأ لتجاوزنا الكثير من الخـــلافات والخصـومات والمهاترات التى تمزق العرب بين مدح وشتم .

وياليت ادباء العربية وكتابها ورجـــال اعلامها يتذكرون دائماً قبل ان يشرعوا فى الكلام : ان الذى يمدح كذاب ، والذى يشتم كذاب .

وما استحق الأدباء الرواد تقدير الوطن والأمة إلا لأنهم جسدوا هذا المبـــدأ فى كتاباتهم وعطائهم فاطرحوا اسلوب المدح والذم الى اسلوب الصدق والصراحـــة المخلصة فكانوا رجالا بحجم الحقيقة .. حقيقة هذه الأمة الكبيرة الواحدة .

جائزة الأدب التقديرية
في السعودية

الرُّوَّاد الثلاثة
خلاصة جهاد



احمد محمد السباعي

حمد محمد الجاسر



عبد الله محمد بن خميس

● أحمد السباعي
ولد سنة ١٣٢٣هـ
عمره الآن ثمانون عاماً

قالت الجهة التى رشحته للجائزة :

« الأستاذ احمد السباعي عملاق من عمالقة الادب والصحافة فى بلادنا ، نشأ هو والصحافة معاً ، وكان له دوره البارز فى مختلف الفنون الادبية . كما كان له وللصحف التى يصدرها ويشرف عليها لون خاص متميز ، كما كان لأسلوبه نفسه هذه الخاصية المتميزة ، فهو اسلوب سهل منطلق ، فيه الكثير من الرشاقة والنضارة الى جانب الدقة والموضوعية والنفاذ الى اعماق الحياة والمجتمع . وساعدته عقليته المتفتحة على أن يسبق جيله وأن يكون له دوره الريادي فى عدد من المجالات الادبية ، ومنها بعض المجالات التى بدأ بها الاهتمام مؤخراً كالمسرح والفنون الجميلة . كما انه من الادباء القلائل الذين اجتمعت لهم دقة الدراسات العلمية مع التغلغل فى الحياة الشعبية وتصوير الظواهر الاجتماعية .

فهو – دون مبالغة – يعتبر « شاهد العصر » بالنسبة لادبائنا لانه صور الكثير مما كان يموج به ذلك العصر ، ويضطرب فى حناياه ، وكان له من نفاذ بصيرته ، وقدرته على التحليل واسلوبه القصصي خير مساعد على تقديم هذه الشرائح المتباينة من المجتمع .. كما انه اسهم فى

الدراسات التاريخية . والتاليف المدرسي . وعاش حياته طويلة ولله الحمد ، يكتب ويدرس ويناقش ويحلل الظواهر والاحداث. فهـو شيخ الادباء دون منازع ، واجدرهم بالتكريم ، واحقهم بمنح هذه الجائزة .

من ابرز انجازاته

ـ رئيس تحرير « صوت الحجاز » ومدير للجريدة ومطابعها .

ـ مؤسس مطبعة الحرم .

ـ مؤسس صحيفة الندوة ورئيس تحريرها .

ـ مؤسس اول مسرح سعودي بالمملكة وهو « مسرح قريش » الذي ما يزال قائما وان حالت الظروف الاجتماعية حينئذ دون افتتاحه .

أهم مؤلفاته

فكرة ـ فلسفة الجن ـ مطوفون وحجاج ـ تاريخ مكة ـ ابو زامل ـ صحيفة السوابق ـ يوميات مجنون ـ دعونا نمشي ـ ايامي ـ قال وقلت ـ خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) ـ اوراق مطوية ـ الامثال الشعبية في مدن الحجاز ـ سباعيات ، جزءان .

● حمد الجاسر
ولد سنة ١٣٢٨هـ
عمره الآن ستة وسبعون عاماً

قالت لجنة الجائزة التقديرية في تقريرها عنه :

« الشيخ حمد الجاسر غني بجهوده العلمية عن كل تعريف . وتقصر اي كلمات عن ان تفيه بحقه من الاشادة والتكريم ، لقاء جهوده العلمية والادبية التي يحق للمملكة العربية السعودية أن تعتز بها كل الاعتزاز ، ولذا فنحن نضعه على قمة المرشحين لنيل جائزة الدولة التقديرية للادب » .

أهم انجازاته

ـ انشا اول صحيفة في الرياض باسم اليمامة سنة ١٣٧٢ هـ .

ـ انشا اول مطبعة في الرياض في نفس العام .

ـ انشا دار اليمامة للبحث والترجمة والتاليف .

ـ اصدر مجلة العرب التي ما زالت تصدر منذ ١٨ عاما .

اهم مؤلفاته

المعجم الجغرافى للبـــلاد العربية السعودية ـ معجم القبائل ـ بلاد ينبع : لمحات تاريخية وجغرافية ـ رسائل في تاريخ المدينة ـ في شمال غرب الجزيرة ـ مدينة الرياض عبر التاريخ .

بالاضافة الى تحقيق عدة مصادر جغرافية وتاريخية ، والاشراف على اعادة طبعها ، ومئات المقالات والدراسات فى عدد كبير من المجلات السعودية ، والعربية الاخرى .

● عبد الله بن خميس
ولد سنة ١٣٣٩هـ
عمره الآن خمسة وستون عاماً

قالت عنه الجهة التى رشحته للجائزة :

« الأستاذ عبد الله بن خميس من الاعلام الشوامخ فى جزيرتنا العربية ، له دوره البارز فى العديد من المجالات الثقافية والفكرية . وله اسهاماته التى تميزت بالاصالة والحفاظ على التراث واحياء ما قد يكون قد الم به من عوامل الهدم والتغيير . وهو شاعر ممتاز وعالم بحاثة واديب مبدع شارك فى الكثير من المجالات الادبية فى ميادين الفصحى والتراث الشعبى على السواء ، كما انه من الادباء الذين لم يكتفوا بالبقاء فى ابراجهم ، بل اسهموا فى خدمة المجتمع باشتراكهم الجاد والمثمر فى اللجان التى شكلت لهذا الهدف » .

اهم وظائفه واسهاماته

مدير معهد الاحساء العلمي ـ مدير كليتي الشريعة واللغة بالرياض ـ عضو المجلس الاعلى للاعلام ـ عضو فى : المجمع العلمى بالقاهرة ـ المجمع العلمى بالعراق ـ مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة ، والمجلة العربية ـ ومجلة الدارة .

وهو يحمل وسام الشرف الفرنسي من درجة فارس ، والوسام الثقافي التونسي ، ووشاح منظمة « فتح » مع ميدالية من منظمة التحرير الفلسطينية .

اهم مؤلفاته

ـ الادب الشعبى فى جزيرة العرب .
ـ الشوارد ـ ٣ اجزاء .
ـ المجاز بين اليمامة والحجاز .
ـ شهر فى دمشق .
ـ بلادنا والزيت .
ـ معجم اليمامة .
ـ من جهاد قلم .
ـ الدرعيـــة .
ـ اهازيج الحرب او شعر العرضة .

هذا بالاضافة الى مقالات كثيرة فى صحف عدة ومساهمة فى عدد من المؤتمرات الادبية السعودية والعربية .

د . محمد جابر الأنصاري

يا جمال الدين .. لماذا يهاجمونك ويحقدون عليك إلى هذا الحد ؟!

مدرسة رائدة وإمام ضخم



بقلم محمد الغزالي

قلت لرجل يكره جمال الدين الافغانى : ما قيمة التشكيك فى انتماء جمال الدين لبلد ما ؟ ليكن افغانيا او ايرانيا او سودانيا ! فما يستمد الرجل شرفه من وطن ولد به ! إنما يستمد عظمته من سيرته وتراثه والاصداء البعيدة التى تركها فى العالم الاسلامى فايقظته من سبات .. !

قال : إنه ايرانى يستخفى بنحلتـــه الشيعية وراء نسب زائف !

ومبدا التقية عند الشيعة يتيح له ذلك !

قلت : ان اصدقاء جمال الدين واعداءه نقبوا فى اقواله وافعاله وخطبه وكتبــه فلم يروا ذرة من تشيع إلا للاسلام والسلف الصالح ، ولم يروا نبرة من حمـــاس إلا لاستعادة الحضارة الغاربة وإنعاش امتها المسكينة !

ان نفس الرجل تساقطت انفســا وهو يكافح الذل والجهل والذهول والتفرق وسائر العلل التى اكلت كياننا ، وما عرف عنه تعصب لمذهب كلامى او فقهى او جنسى ، كان الاسلام وحده شغله الشاغل حيث ولى وجهه فى اسيا او افريقيا او اوربا !!

قال : هذا من إتقانه لتمثيل دوره !

فقلت مقاطعا : هذا الكلام يشبه اتهام « كارل ماركس » بانه راسمالى تخفى وراء فلسفة صنعها او صنعت له كي يخدم الاغنياء وارباب العمل ..

دع عنك هـــذا اللغو ، ولننظر فى عمل الرجل لا فى نسبه ..

عندما ظهر « الافغانى » كانت الامـــة الاسلامية تركة رجل مريض يوشك ان يلفظ روحه ويقتسم ميراثه ! ولم تكن لها فى المحافل الدولية مهابة ولا رسالة ..

استطاع اعداؤها مع امتداد عصر الاحياء ان يجتازوا البارود إلى البخار وان يتهيئــوا للكهرباء والذرة على حين جثم المسلمون على مكانتهم يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب ، ولا يدرون شيئا قل او كثر عن الكون الذى يعيشـــون فيه .. !

اما ثقافتهم الدينية فاجترار غريب للنزاع بين الاشاعرة والمعتزلة او قصص عقيم عن فكر السلف والخلف ! ذاك فى ميدان العقيدة ، اما فى ميدان الفقه فتشريح للفروع ودوران حولها يجعل من الحبة قبة .

وقد قرات رسالة من مخلفات ذلك العهد الأنكد عنوانها « صواعق من نار فى الرد على صاحب المنار » ! وسر هذه الغضبة المضرية أن الشيخ رشيد قال : ان صياح المؤذنين بالصلاة على رسول الله عقب الأذان امر محدث ومن الخير الاقتصار على

الوارد !

وقاد الهجوم وقدم للرسالة الشيخ « الدجوى » عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

لم تكن للثقافة الاسلامية موضوعات ذات بال أو قضايا نفسية واجتماعية وسياسية مهمة ..

ماذا يصنع رجل حكيم حاد البصر والبصيرة بازاء هذا الاختلال العقلى أو هذا الموت المادى والأدبى ؟ لقد استجمع كل ما يملك من مواهب واشتبك فى صراع وحشى مع الحكام الذين أذلوا الشعوب ومع الشعوب التى ذلت للحكام ، وشرع يعرض الاسلام حركة عقل ، وإباء نفس ، ويبرز خصائص الحضارة الاسلامية الأولى بما حوت من فكر نضير ، وجراءة على الحياة ، وقدرة على التغيير !

كانت الشورى قد ماتت مبنى ومعنى ! كان الاجتهاد قد توقف وأمسى ذكريات بائدة ! كانت الطاقات الروحية والفكرية قد نفدت بين العامة والخاصة وسقط المسلمون من أعين البشر جميعاً .

وكان على جمال الدين ومن التف حوله من الرجال أن يستأصلوا علل التخلف ، ويردوا الأمة إلى الصراط المستقيم ، وبديه أن تكون الجامعة الاسلامية أساسهم فلا تعصب لجنس ، وأن يكون العقل الاسلامى رائدهم أو باعثهم فلا تعصب لمذهب أو رأى ..

وقد أحس الأفغانى بما يشيع فى أجواء المسلمين المنهزمين من خرافات ، وبما يصحب اليقظة الأوربية من باطل وهوى وظلم فأخذ يعرض الاسلام على نحو يقمع المغرورين ويستنهض المقهورين ..

وقد ذكر الأستاذ الكبير عبد القادر محمود أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ستة عناصر لنهج جمال الدين فى الاصلاح ، نومىء إليها باختصار لدلالتها الصادقة على فكر الرجل العظيم ..

(١) فالاسلام دين التوحيد الحق ، الرافض لكل صور التعدد ، الماحى لشتى الوثنيات وتبعية المرء لغير الله .

(٢) وهو دين الكمال العقلى ، دين أولى الألباب ، والأفكار الناضجة والمزايا البشرية السوية ، فلا مكان فيه لدعاوى جنسية وتفرقات عنصرية على نحو مازعم « رينان » الفيلسوف الفرنسى الذى ناقشه جمال الدين ووقفه عند حده .





جمال الدين الأفغانى : لقطتان : بالطربوش وبالعمامة

(٣) ينهض الايمان على النظر فى الكون وعلى أداء العقل لوظيفته المنطقية ، والاسلام يأبى تقليد الأوائل دون وعى ، ويرى تعطيل العقل مرادفاً للحيوانية ..

(٤) ومنذ بدأ الاسلام والمسلم عزيز الجانب ، قوى بربه سيد لما حوله يفعل الخير ويدعو إليه ويحترم الحق ويحكم به ويستمده من الوحى الأعلى ، ويقيم سلطان الدولة على دعائمه . ومن ثم فهو يزدرى الأهواء والتقنينات الأجنبية ، ويجعل شريعة الله أساس الحكم فى أرض الله .

(٥) والأطوار التى جدت على المجتمع الانسانى توجب على المسلمين ألا ينحصروا فى تقليد فقيه واحد من فقهاء الأمصار ، بل يجب العود إلى الينبوع الذى يستقى منه الكل ، أى الكتاب والسنة ، وأن ينفتح باب الاجتهاد للوفاء بالمصالح الدينية والمدنية التى جدت ..

(٦) غالى جمال الدين الأفغانى بالخصائص الأدبية التى كرم الله بها الانسان ، ونوه بعظمة العقل وإمكاناته على الكشف والحكم ، وأزاح العوائق التى تعترض نشاطه ، واحتقر الجمود الذى يلوذ به بعض المتدينين ، والفلسفات الانسحابية التى تشد المسلمين إلى وراء ..

ثم مضى الشيخ العبقرى يهدر فى كل بلد نزل به ! ويصرخ بعد قرون من الصمت لم تشهد هذا الصنف من الدعاة الرواد ! وفى كل قطر تيممه كان الرقود يصحون ! ولم يكن جمال الدين يخشى إلا الله ، وما شغله قط مال أو جاه ، ولا عناه إلا تكسير القيود التى أذلت جماهير المسلمين .

لا أدرى أكان المتنبى يصف نفسه أم يصف جمال الدين الأفغانى حين قال :

تغرب لا مستعظماً غير نفسه
ولا قابلاً إلا لخالقه حكمـــاً !
ولا سالكاً إلا فؤاد عجاجـة . !
ولا واجداً إلا لمكرمة طعمـــاً
يقولون لى : ما أنت ؟ فى كل بلدة
وما تبتغى ؟ ما أبتغى جل أن يُسمى

ومع التجهم الذى قوبل به من ذوى السلطان ، والمكايد التى دبرها له الحاقدون والحسدة فان الرجل بقى على وفائه لدينه وانتصافه لأمته وجراءته على العدى وتحمله للآلام .

كذا أنا يا دنيا ! فان شئت فاذهبى !
ويا نفس زيدى فى كرائهها قُدْماً
فلا عبرَتْ بى ساعة لا تُعزنى
ولا صحبتنى مهجة تقبل الظلمـــا

الفارق بين المتنبى والأفغانى أن الأول كان طالب إمارة يرى نفسه أحق بها من ملوك عصره ، أما الثانى فكان غاضباً للاسلام ، ناقماً على من حرفوه وأضعفوه !

وكان يرفض بعنف شديد الفصل بين الاسلام والعقل ، وبين الشورى والحكم ، وبين الانسان والحرية ، وكان حاسماً فى ربطه بين العبادات وزكاة الروح ، والتوكل على الله والزهد فى أعراض الدنيا وصحبة الكبراء ..

ونجح الافغانى فى تاليب الكثيرين على الاستعمار العالمى . ولا ريب أن مدرسة المنار فى مصر ومدرسة ابن باديس فى الجزائر ، ومدرسة القاسمي والكواكبي فى الشام ومدارس كثيرة فى العالم الاسلامى كانت اثرا مباشرا لهذه الثورة الفكرية والتربوية التى بداها جمال الدين ..

وفى هذه الأيام المهزولة من تاريخنا العلمى والسياسى تتعرض سيرة جمال الدين الأفغانى لمطاعن شديدة من صنفين متباعدين جداً ..

فالدكتور « لويس عوض » يصب جام غضبه على الثائر الاسلامى الحر ويصفه بكل موبقة . فهو « مغامر مجهول كافر مجنون مخاطر مغمور زنديق مخبول ملحد ماجور افاق دساس دجال متلون .. الخ » .

وقد كتب الأستاذان احمد بهجت وسامح كريم فى اهرام ١٩٨٣/٨/٢٩ تعليقات على طريقة لويس عوض فى البحث والحكم ، وبينا ان الرجل كان يرجع إلى تقارير المخابرات الدولية ، ويستقى من مصادر لا تعرف بالنزاهة والصدق .

وكتب الأستاذ الكبير جابر قميحة مقالاً تحت عنوان « التزوير وامانة الكلمة » ، يكشف فيه ان الدكتور لويس فى حديثه عن جمال الدين كان قاصر البحث غائب المنهج ..

والدكتور لويس رجل واسع الاطلاع على الثقافة الغربية ، شديد الولاء لاغراضها ، واعتقد ان كرهه لجمال الدين نابع من حبه لدينه واحترامه لدور اوربا فى احتلال الشرق الاسلامى ، وتغييرها الواجب لعقله وضميره !

وقد نفس عن كوامنه بالاسلوب الذى هاجم به جمال الدين ! ومع انى لا اتوقع ان يقول الدكتور لويس كلمة طيبة فى جمال الدين او فى محمود شاكر إلا انى فوجئت بهذا الضغن الشديد على زعيم من زعماء الاصلاح الاسلامى .. !

فلنترك التيار الصليبي ورجاله وطرائقه فى النيل منا ! ولننظر إلى صنف اخر من الناس يحارب مجددي القرن الماضى ، ويستميت فى تجريحهم ..

ولست ادافع عن شخص ما وإنما ادافع عن المبادىء التى ظهر بها ، مادمت اراها حقا ، ولا باس أن انظر إلى الشخص نفسه لاعرف : اكان صورة حسنة كما يقول ام لا ؟



وهنا اسال : علام كان يعتمد جمال الدين فى تحشيد الامة حول دعوته ؟ وماذا كان يقصد ؟ وهل للهاجمين عليه عذر فى نيلهم منه ؟

إن الاسلام وحده هو وجودنا المادى والأدبى ، وهو العنوان المشترك ، بل الموضوع المشترك ، بين ماضينا ومستقبلنا ولن نقبل ان يبتعد حاضرنا عن الاسلام قيد انملة ! .

ويوجد اقوام يقدمون رباط الاسرة على رباط الدين ، او يصغون إلى نداء الدم اكثر مما يصغون إلى نداء العقيدة ، وقد كثر فى عصرنا من يهتمون بالوطنية والقومية ولا يتحركون لقرابة الاسلام .

وانا ممن يفهمون الشرك على معناه الواسع الوارد فى القرآن الكريم !

فاذا رايت امرءا يطوح الصلة بالله بعيداً جداً ويرجح عليها صلة اخرى من نسب أو مال ، او منفعة لم استطع فهم كيف يكون موحدا ؟ إنه اشرك بالله « شيئاً » ونحن منهيون عن اشراك اى شىء مع الله .. « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .. » .

ويكاد المسلمون يتفقون على هذا المعنى وان تباينت مصطلحاتهم فى التعبير عنه .. !

وإنما يقع الاختلاف عند التطبيق ، وعندما تقع تجاوزات او انحرافات ! وإذا افترضنا حسن القصد قائما بين جمهور المؤمنين ، وان حال المسلم تحمل على الصلاح ابدا فان سبب الاختلاف يرجع إلى تفاوت العقول فى تقدير زاوية الانحراف ، او مدى التجاوز ..

إن هذا التفاوت العقلى قد يثير الدهشة والغضب . !

هذا رجل يكره المذهبية !حسنا لكن الا ابالى بكفاح الافغان ضد الشيوعية لانهم احناف ! هذا جنون ..

والا ابالى بكفاح المصريين ضد الاستعمار لانهم قبوريون ! والا ابالى بكفاح المغاربة ضد الصليبية لانهم صوفيون ! هذا وذاك لون من السفه لا يجوز ان يلبس ثوب التدين !

وثم امر اخر ان ايقاد البغضاء بين العوام بسبب خلاف فرعى جرم كبير لاسيما بين اتباع دين ياجر المخطىء والمصيب .

استمعت إلى حديث عن اديب انكليزى يكتب قصصا للاطفال كى يشبوا نافرين من الخلافات السخيفة !

قال الأديب لأطفاله : إن نزاعا نشب بين اهل مدينة كذا : هل تؤكل البيضة من احد طرفيها المدببين ام من وسطها العريض ! وتالف حزبان ، أو مذهبان ، كل يدعو لرايه واستفحل النزاع فصار حربا انهزم فيها احد الفريقين ، فالتجا إلى مدينة اخرى واستعان باهلها لينتصر على خصمه ! ونشبت حرب عامة بين المدينتين .. الخ .

قلت : ما احوج الدهماء فى بلاد الاسلام إلى سماع هذا الدرس .

على اية حال إن المصلحين الكبار يترفعون عما يشغل العامة واشباههم من قضايا .

وهم يتجهون إلى الاصلاح من المنبع لا من المصب .. وهذا ما فعله جمال الدين . ومن سار تحت رايته ..

إنه نظر فى احوال المسلمين على اختلاف العصور ، وعرف الداء وبدا العمل ..

وكان الرجل يتملكه احساس لاريب فى صدقه ، أن الفكر الاسلامى متخلف عن الفكر العالمى مسافة طويلة ، بل متخلف عن الاسلام نفسه وتاريخه البعيد !

اترى جمال الدين كان واهما فى هذا الشعور ؟ كلا ، ان هذا الشعور لا يزال يتملكنا بعد مائة عام من وفاة الرجل ! فان الضغط على امتنا شديد كيما تبقى فى الرغام ، ولقد اجتمع عليها الخصوم من كل ملة ، وبقيت متفرقة الهوى متناحرة على الهباء ..

وقد قيل : ان الفساد يهبط من اعلى إلى

اسفل ! وان الاصلاح يصعد من اسفل إلى اعلى ! وقد حاول جمال الدين أن يعمل بالميدانين معا ، فحاول اسداء النصح إلى الحكام ، وتعريفهم انهم اجراء للشعوب وملزمون بالشورى ! كما حاول استحياء الامة الهامدة وتجديد الخمول العلمى والخلقى الذى ران عليها ، والغى وجودها الأدبى والمادى فى السباق العالمى .. !

وكان إيمانه بقدرة الاسلام على استئناف رسالته وتجديد حضارته ..

وعندما اصدر هو وصاحبه محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » لم يكن صحافيا مهموما بالطبع والنشر ! كلا ، لقد مهد لذلك بتاليف جماعات او شعب تتواصى بنصرة الاسلام ، وتقسم الايمان المغلظة على جعل الولاء له فوق الولاء للابوة والامومة ! وتتجمع على مدارسة المجلة كى تضع اسس الجامعة الاسلامية الجديدة وتعيد العافية للكيان المريض ..

وقد اصدرها فى لندن ! والغريب ان لندن لا تزال إلى يوم الناس هذا البلد الذى تصدر منه صحف اسلامية قوية !

اما يدرس أولو الألباب هذه الظاهرة قبل أن يتهموا بالالحاد الرجل الذى رد على الدهريين ؟ وبالفوضى الرجل الذى اراد إلغاء القوميات الضيقة او الواسعة ليقيم على انقاضها الوحدة الاسلامية ؟

ان الجريمة الاولى والاخيرة لجمال الدين الافغانى انه اكتشف الروح الصليبية فى الاستعمار الغربى وحذر منها ونبه ان قلب بطرس الناسك لا يزال يخفق فى صدور الساسة الاوربيين !

والجريمة التى تتبعها انه قدم اسلاما بلا مذاهب مفرقة ، وداس بكبرياء ما انشغل به جلة علماء الدين من فروع الفقه وبحوث اللاهوت ..

وطبيعى ان تنطلق الابواق لتطعن فى شرف الرجل وعلمه ، وقد تكون هذه الأبواق خادعة ، او مخدوعة ! بيد أن الاستماع اليها هزيمة اسلامية شائنة ! ونصر مؤزر للصليبية الغازية ، وللسلطات العفنة التى عاشت وتعيش فى كنفها .. !

واوجه النصح إلى المسلمين المعاصرين بأن يستبينوا امرين كانا من اهم مادعا إليه جمال الدين وتلميذه العظيم محمد عبده



الشيخ محمد عبده

اولهما : أن دراسة العلوم الحديثة واجب اسلامى اول ! وان اى عقل نظيف يدرك ان هذه الدراسة امتداد محتوم لحديث القران الكريم عن الكون ! وأن نتائج الجهود العقلية الذكية دعم للايمان الصحيح ، ودمغ للالحاد ! .

وعلماء الدين الذين يبتعدون عن هذه الدراسات عمدا هم انصاف اميين ، وربما اساءوا الى الاسلام من حيث يبغون الاحسان إليه !

وقد اشرنا فى كتبنا الاخرى ان جهاز الجهاد الاسلامى سوف يتوقف كل التوقف بالجهل فى هذه الميادين ، بل إن العقل الاسلامى نفسه سوف يضار من هذا القصور !

والحق ان دراسة هذه العلوم اولى من التوفر على تفاصيل فقهية ما كان يعرفها الصحابة رضوان الله عليهم ! بل اولى من الخوض فى بحوث لاهوتية وجدل كلامى لو خاض فيه سلفنا الاول ما قامت لهم دولة ولا شمخت لهم حضارة .. !

اما الأمر الثانى؛ فهو حسن معرفتنا لانفسنا ، او بتعبير دقيق ، التفريق بين دين الله وبين عملنا به وله فى الماضى والحاضر !

دين الله مضبوط فى الكتاب والسنة ، ومنهما تستمد الاحكام .

اما التاريخ الاسلامى ، فى الماضى والحاضر ، فليس مصدرا للتشريع ، ولا مؤشرا على الحلال والحرام ! واخطاء السلاطين اكثر من صوابهم ، وعوج التقاليد اكثر من استقامتها !

وعندما ينهض مصلح فيغضب على تخلفنا ، ويحاكمنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ، ويلفتنا إلى سيرة القرون الخيرة الأولى ، ويذكرنا بامجاد حققناها لاسباب وفقدناها لأسباب فلا يجوز أن ننهش عرضه ، وننال منه ..

لماذا بقيت برية سيناء وشطوط الخليج مراعى للاغنام حتى جاء غيرنا فاستخرج منها النفط وافاض منها الخير ؟

اباؤنا الأوائل علموا أوربا النظافة وانشاء المدن المضاءة الشوارع الممهدة للمشاة والركبان !

وكان ذلك باسم الاسلام ومن الاصطباغ بحقائقه ..

فهل الاسلام ـ ام تخلفنا العقلى ـ سبب هبوط الاستعمار علينا واستخراجـــــــه دفائننا ؟؟

ان بيننا من لا يزال يشتم الرجال الذين نشطونا للدراسات الحديثة ، وقالوا لنا : لابد من دراسة الفيزياء والكيمياء وعلوم الاحياء ، ولابد من الدراسات الانسانية الكونية والفلكية !

ولماذا يشتمونهم ؟ لانهم ينقلون الضوابط الحديثة للشورى (!) ويخاصمون الحكم الفردى ؟

لانهم ينقلون الابداع الادارى المتفوق هنا وهناك كى يشدوا به اوصال امة مفككة ؟

لانهم يرفضون ان تؤخذ صورة الاسلام من تطبيقات القرون المنحطة ، ويرجعون بنا إلى المنبع الاول ؟

مما يؤلمنى ان ارى بعض « المتدينين » يحب الهجاء اكثر مما يحب الثناء ويسارع إلى خطأ ليفضحه اكثر مما يسارع إلى جميل ليمدحه .. وهذا البعض مستهتر بتجريح الكبار ، وغمط فضلهم ..

وقد تلاقى هذا البعض مع الدكتور لويس عوض فى التهجم على جمال الدين الافغانى .

والدكتور لويس يرى أن يعقوب حنـــا الذى خان مصر وانضم إلى الحملة الفرنسية هو زعيم قومى عظيم القدر (!) وان جمال الدين موقظ الشرق الاسلامى فى العصر الحديث جاسوس ملحد (!) .

وكما قلت ، لا عجب فى موقف الدكتور ! وإنما العجب فى موقف الذين تلاقوا معه فى ضرب رجل الاسلام ، والجنون فنون .

محمد الغزالى

ماقيمة الرأى الذي يتوصل إليه أهل الشورى؟



بقلم : الدكتور عبدالحميد إسماعيل الأنصاري

بعض الكتاب الاسلاميين يفتعل تناقضا غير مفهوم بين الشورى والديمقراطية حين يصور الشورى مرادفا لحكم الفرد ونقيضا لحكم الاغلبية فى مقابل الديمقراطية القائمة على الاغلبية ، وقد يكون دافع هذا الفريق حرصهم على ابراز تميز الشورى وتفردها انطلاقا من تميز حضارتنا واصالتها ولذلك فاذا كانت الديمقراطية تعتمد الاغلبية فلتكن الشورى بخلافها ، من باب وبضدها تتميز الاشياء .

ويتناسى هؤلاء ان الشورى بذلك تفقد اهم ميزاتها وتصبح شورى صورية لافاعلية لها فى ترشيد القرار وفى الرقابة والتقويم بل وقد تضاد حقيقتها (١)

إن الشورى مميزة ـ اساسا ـ من حيث انها فرع من نظام عقيدى كمل ومن حيث اهدافها العليا ـ ومن حيث اعتمادها على قيم موضوعية وضوابط محددة تحكم تصرفات الامة ، فلا تجعل للامزجة والميول والاهواء سبيلا . كان هذا مقدمة ضرورية لمواصلة الحديث عن «قيمة الراى الذى يتوصل اليه اهل الشورى» والذى بداناه فى الحلقة السابقة (٢) . ونستعرض فيما يلى بقية حجج هذا الفريق :

الشورى والعزم

يقول الله تعالى «وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله» (٣) . يستند هذا الفريق الى ان الخطاب اسند «العزم» الى الرسول صلى الله عليه وسلم (فاذا عزمت) ، وفى هذا دليل على استقلالية الرسول صلى الله عليه وسلم فى اتخاذ القرار دون تقيد براى اكثرية ، ومن ثم فان للحاكم ان لا يلتزم كذلك باكثرية . (٤)

واجابتنا عن هذا تتضح فيما ياتى :

(١) الآية ـ فاذا عزمت .... ـ بمعزل عما نحن فيه ، فالعزم هو «التصميم» ، لغة ، والتصميم إنما يكون على تنفيذ القرار لا على اتخاذه ، فهى متعلقة بمرحلة التنفيذ التى تلى مرحلتى المشاورة والقرار .

فالفكر حتى يصبح واقعا يمر بمراحل هى : تصوره ثم اتخاذه قراراً ثم العزم على تنفيذه . فالعزم مقدمة التنفيذ وهى تسبق القرار . فاذا وضح ذلك ، عرفنا ان الآية هنا تتحدث عن عزم لقرار سابق وهنا ياتى الخطاب ليقول للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إذا تمت المشاورة واتخذ القرار وكان العزم على التنفيذ ، فليكن اعتمادك على الله وحده لانك حينئذ بذلت كل ما فى وسعك تحريا للصواب واخذا بالأسباب .

يؤكد هذا المفهوم ان لو كان «العزم» متعلقا باتخاذ القرار ما ناسب اقترانه بالتوكل ، لان التوكل إنما ياتى حين التنفيذ وبعده ، فانت حين تنشط لتنفيذ امر ما ، يكون اعتمادك على الله فى إنجاح هذا الامر . واما ان الخطاب اسند العزم الى الرسول ، فلانه المسئول التنفيذى عن الامر فناسب ان يكون الخطاب موجها اليه .

(٢) فى حديث علي رضي الله عنه «سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن العزم ، فقال مشاورة اهل الراى ثم اتباعهم» (٤) .

يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم «العزم» بانه اتباع راى الجماعة ، وهذا التفسير اولى بالاخذ من غيره .

وهذا الحديث لم نعثر له على سند متصل ، ومع ذلك فاننا ناخذ به كبيان وتفسير لكلمة «العزم» خاصة وان الشواهد العملية من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته تؤكد صحة هذا المعنى .

ولا يضير ان يكون للعزم معنى لغوى ، ومعنى شرعى مختلف ، فذلك معهود فى العرف الشرعى .

(٣) الآية الكريمة (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله» .

ـ بسياقها وروحها والفاظها وسبب نزولها ـ تؤكد وجوب الشورى والالتزام بنتيجتها ، فقد نزلت فى اعقاب «احد» وعلى ضوء احداث هذه الغزوة يجب ان تفسر الآية ، وهنا نجد واضحا التزام الرسول صلى الله عليه وسلم براى الاكثرية ، فعلى هذا المعنى تحمل كلمة «العزم» وتفسر به .

فقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة فى الخروج او البقاء فكان راى الاكثرية الخروج على خلاف رايه المحبذ للبقاء (٥) فالتزم الرسول صلى الله عليه

وسلم برايهم ونزل على حكمهم ـ وقد يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ برايهم اقتناعا بصوابه لا التزاماً بنتيجة الشورى (٦) ولكن اجماع الروايات اكد انه صلى الله عليه وسلم اخذه التزاما لا اقتناعا ، فقد ثبت ان بعض الصحابة خشوا ان يكونوا اكرهوا الرسول صلى الله عليه وسلم فسارعوا اليه يقولون «يا رسول الله : فان شئت ان تقعد فاقعد» (٧) . فلو كان الأمر امر اقتناع لما كانت المسارعة والتفويض ـ ويخرج المسلمون وتكون مخالفة الرماة سببا فى الهزيمة ، ومع ذلك تنزل الآيات تامر بالمشاورة .

فما معنى هذا ؟

إن المعنى الهام هنا : ان يا رسول الله لا يكون هذا الذى حصل مانعا من الاستمرار فى المشاورة ومن الالتزام براى الجماعة كما التزمت فى احد .

ولكن ماذا ؟

لان إقرار المبدا وتعليم الجماعة وتربية الأمة على الشورى وممارستها والالتزام بنتائجها ، وفى اخطر الامور ، وفى اخطر الاوقات ، اكبر من الخسائر الوقتية فى حياة الأمة الراشدة ووجودها (٨) .

العام والخاص فى اجتهاد الامام

يقولون : إن الحاكم مجتهد ـ له الحق فى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ـ والمجتهد يجب عليه ان يعمل بمايهديه إليه اجتهاده ، ويحرم عليه تقليد غيره . فاذا ما طرحت المسالة للشورى ورأى الحاكم رايا خالفته فيه الاغلبية ، فكيف ينفذ رايهم وهو لم يقتنع به . (٩) .

وجوابنا : إن فى هذا الفهم تعميما وخلطا ، فالأمر ليس على إطلاقه ، إذ لابد من تحديد فيماذا يكون اجتهاد الامام مقبولا ؟

إن الراصد للتجارب والسوابق ـ ايام الراشدين ـ والتى كان فيها اجتهاد الحاكم يجد انها لا تخرج عن ثلاثة نوعيات :

فهى : إما فى أمور قضائية ، يقضي فيها الحاكم ـ بحكم كونه قاضيا اعلى ـ باجتهاده ، بما تطمئن اليه نفسه دون تقيد بشورى او بنتيجتها ـ وعلى هذا المعنى يحمل معظم كلام الفقهاء فى ندب المشاورة واستحبابها للحاكم ـ .

وإما ان يكون متعلقا بامور الفتيا ، حين يستفتى الامام فى قضية فقهية استنباطية خاصة ، يصدر فيها بما يهديه اجتهاده .

وإما ان يختص بامور إدارية تنفيذية متروكة لحسن تقدير المسئول واجتهاده ، مما لا يدخل فى مجال الشورى دفعا للحرج والجمود وبغية المرونة وسرعة التصرف .

ومن الامثلة لما سبق : اقضية الخلفاء الراشدين وبخاصة ـ عمر ـ رضي الله عنه (فى عقوبة الخمر ـ قتل الجماعة بالواحد ـ عدم تنفيذه للحد فى الشبهات او الضرورة ـ إباحة الطلقات الثلاث مرة واحدة ـ فى المواريث ـ جمع الناس على التراويح ـ نهيه عن بيع الأمهات) .

فهذه القضايا ـ إذن ـ ذات خصوصية تميزها عن القضايا المتعلقة بمصالح وحقوق الأمة العامة (١٠) .

وقد يكون فى هذه الخصوصية ما يسوغ قبول الاجتهاد الفردى فيها ، من حيث ان الخطـا فيه يسير مغتفر ، ويمكن تدارك الضرر الناشىء عنه لمحدودية الأطراف التى يشملها الاجتهاد . ولكن باى مبرر او سند شرعى يرجح الاجتهاد الفردى فى القضايا العامة على الاجتهاد الجماعى ، مع ان الضرر الذى قد يحصل هنا عام يلحق بالمجموع وقد لا يمكن تداركه إلا بعد حصول كوارث .

ثم إن هؤلاء الذين يطرحون القضية بهذه الصورة ـ الامام مجتهد والمجتهد يعمل باجتهاده ـ يغفلون عن نقطة جوهرية ، وهى أن المجتهد (الفقيه) لا يلزم الآخرين باجتهاده ـ إذ هو يلتزم باجتهاده فى خاصة نفسه ـ فاين الدليل الذى يرجح العمل باجتهاد الحاكم او يلزم الاخرين به ـ خاصة فى القضايا العامة ومع وجود غيره من المجتهدين المخالفين له فى الرأى والذين قد يفوقونه اجتهاداً ـ ؟ (١١) .

الحقيقة ان هؤلاء خلطوا بين العام والخاص حين تناولوا المسائل كلها على مستوى واحد مع وجود اختلافات نوعية بينها ـ ومن ناحية اخرى ـ التبس عليهم الامر بين طبيعة عمل الفقيه المجتهد ، وطبيعة عمل ولي الامر حين ساقوا قاعدة قصد بها تقرير الحرية الكاملة للباحث فى سعيه للحقيقة والصواب .

المسئولية والعدالة

إن الحاكم مسئول امام الامة عن نتائج عمله ، فلا يتفق مع العدالة ولا مع المنطق فى شيء أن يلزم الحاكم بالعمل براى مخالف لرايه ثم يحاسب على نتائج هذا العمل . (١٢) .

وللرد على هذا الاستدلال نقول :

إن الحاكم فى ظل نظام الشورى لن يتحمل المسئولية وحده بل يتعاون معه فى ذلك مجلس الشورى ، وإذا كان ثمة قرار اتخذه المجلس وكانت النتائج سيئة فالمسئولية حينئذ مسئولية مجلس الشورى يتحملها بصورة جماعية ولن يوجه اللوم الى الحاكم احد .

أما الحاكم ـ فى ظل نظام الشورى ـ فتنحصر مسئوليته فى تنفيذ القرار وطريقته ، فهو مسئول عن التنفيذ لا عن صحة القرار وهذا هو ما يقضى به المنطق والعدالة ، وهو المعمول به فى الدول الديمقراطية .

هـــــوامـــــش

(١) الشيخ محمد الغزالى (نظرة على واقعنا الاسلامى) ص ١٦ دار ثابت ـ القاهرة .

(٢) مجلة «الدوحة» نوفمبر ١٩٨٣ .

(٣) من الآية (١٥٩) آل عمران .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٤٢٠ ، الدر المنثور للسيوطى ٢ / ٩٠ .

(٥) للرؤيا التى راها ـ فتح البارى ٨ / ٣٤٨ .

(٦) د. حسن هويدى «الشورى فى الاسلام» ص ٧ المنار ـ الكويت ١٩٧٥ الشيخ محمد متولي الشعراوى فى حوار «الشورى غير ملزمة للحاكم» مايو ١٩٨٢/٦/٧ .

(٧) فتح البارى ٣٤٨/٨ ، المصنف ٣٦٤/٥ .

(٨) الاستاذ سيد قطب (فى ظلال القرآن) ١٢٠/١

(٩) د. حسن هويدى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٢ .

د. علي عبد الواحد وافي ـ الحرية فى الاسلام ـ ص ١٠٩ دار المعارف ٦٨ .

(١٠) وهى القضا العامة ذات الصبغة السياسية والاقتصادية (السياسات العامة للتعليم . للاسكان .. الخ ـ المعاهدات ـ الحروب ـ الاولويات) .

(١١) راجع فى اهمية التمييز بين الخاص والعام فى اجتهاد الحاكم :

ـ الشورى واثرها فى الديمقراطية ـ كتابنا ، ص ١٦٦ .

ـ صياغة موجزة : لمشروع دستور اسلامى ـ مقتبسة من رسائل الاستاذ المودودى ، ص ٢٧ .

ـ الشورى ليست ملزمة دائما ـ مقال للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، مجلة العربى سبتمبر ١٩٨٠ ، مع ان الأمثلة التى ذكرها (حروب فردة ـ السواد) كامثلة للاجتهاد الفردى غير الملتزم براى الجماعة ، لا تسعفه ، إذ هى من قبيل الاجتهد الجماعى ، لأن المخالفين للخليفة وافقوه فى النهاية ـ اقتناعا ـ فصدر الحكم بموافقتهم ، والعبرة بالنهاية دائما .

ومع ذلك راجع : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام للشيخ ابو زهرة ص ١٦٢ حيث يذكر ان عمر رضي الله عنه كان حتى فى القضايا الخاصة يستشير ، فيقول ان لعمر (الشورى الخاصة) فى الامور ذات الصبغة الفقهية والمتعلقة بتخريج الأحكام ، و (الشورى العامة) عندما يتعلق الامر بتقرير مبدا ، او كان للأمر خطورة معينة ـ أرض السواد ـ .

(١٢) ـ د. عبد الكريم زيدان : للمجتمع الكويتية فبراير ٧١ ، وايضا : كتابه (اصول الدعوة) ص ٢١٣

د. علي عبد الواحد وافى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٩ .



بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

إنه حوار حول حرية الكلام جرى بين رجلين ، فرنسي والماني ، ايام كان البير لبرون رئيساً للجمهورية الفرنسية وكان ادولف هتلر زعيماً للرايخ الالماني . قال الفرنسي :

ـ الحرية الصحيحة هى ان تستطيع التعبير عن رايك اينما شئت وكيفما شئت ، اى حرية لكم يا معشر الالمان فى ظل دكتاتورية الحزب النازى ؟ انا قادر على ان اقف فى وسط باريس ، فى جادة الشانزيليزيه ، وارفع صوتى بانتقاد مسيو لبرون ، رئيس جمهوريتنا ، والسخرية به بل حتى بشتمه ..

فرد الالماني قائلا : واى شيء فى هذا ؟ انا قادر على ان افعل مثله فى الكورفرستندام دون خوف او وجل .

فساله الفرنسي : هل تقدر حقا على ان تنتقد هتلر فى جادة الكورفرستندام فى وسط برلين ؟

اجابه الالماني : لم اقل هذا ، استطيع ان افعل مثلك ، اعني ان اقف فى الكورفرستندام واشتم مسيو لبرون ، مثلما تشتمه انت !

يخطر هذا الحوار ببالي عندما اقرا ما تمتلىء به الصحف العربية وما يكتبه كتابنا فى انتقاد اعدائنا وتبيان استهانتهم بالحقوق المشروعة وبالعوامل الانسانية ومهاجمة تصرفاتهم الاجرامية ، بينما تنعقل الالسنة وتجف الاقلام فى الحديث عما يجرى بين ظهرانينا من اعوجاج يبدا بالتهاون المشين ويستمر الى التخريب الى ان ينتهى بالاجرام .

فى ذلك تناقض اجهد شخصياً لأ تحاشى الوقوع فيه . فاذا اتاحت لي زياراتى للبلاد البعيدة او قراءاتى فى المصادر المختلفة اطلاعا على الوان من افاعيل اعدائنا وثارت ثائرة التعبير فى نفسي فهممت بالحديث عن تلك الالوان او بالكتابة فيها ، انبرى من اعماقى معترض يقول : اولئك اعداء ، واعداء الداء .. افترجو منهم رحمة بقومك او تهاونا فى مصلحتهم الذاتية التى هى فى تحطيم قيم امتك ومقوماتها ؟ اذا كان فيك خير وقدرة على الانتقاد فانتقد ما هو معوج من سيرة الناس من اهلك ، هؤلاء الذين يساقون طائعين الى الهلاك ، والذين يصفقون لمهلكيهم لقاء لقمة تؤكل او بهرجة ترف ينعمون بها .

وتلجمنى اقوال هذا المعترض المنبعث من اعماق وجدانى فأسكت ، وأصرف لسانى عن شتم الاعداء او عن التحدث عما فيه دمارنا من تصرفاتهم حين اجدنى عاجزاً عن الاشارة ولو بالإيماء الى اخطاء الاقربين او جناياتهم .

• • •

ومع ذلك فانا اعترف انى غير قادر دوما على هذا السكوت الذى اجهد فى اخذ نفسى به . ثمة امور تلفت نظرى من تصرفات اعدائنا الالداء اولئك ، ومن تصرفاتنا نحن ، اجدنى مسوقاً الى التحدث بها على الرغم مني ، لا افعل ذلك طمعاً باثارة اهتمام مواطنينا العاديين او بتحريك همة مسؤولينا ذوى المراكز الكبيرة ولكن لابرىء ذمة نفسي امام نفسى فى الاشارة الى اشياء قد لا يكون فطن لها إلاقلة من الناس سواى .

هذه الامور التى اعنيها ليست قضايا واضحة الخطورة مثل تمادى عدونا فى انتهاكاته للقانون الدولى والاعتبارات الانسانية ، او مثل متابعته تنفيذ مخططاته الاجرامية بخطى ثابتة فيها ، او مثل هواننا نحن على ذلك العدو حين لا نجابهه الا باقوال تكذبها الافعال . هذه وتلك امور تذيعها الاذاعات يومياً ويعرفها قراء صحف العالم اجمع . انى فى الحقيقة اقصد لمحات خاطفة من الامور قد تمر على مشاهدها مرور البرق فلا يفطن الى ما وراءها من مكائد ومناورات او ما ينصب لنا تحتها من شباك واشراك .

منذ أسابيع قليلة وقعت عينى فى المجلات الفرنسية على صور احتفال اقيم فى اوبرا باريس عرضت فيه باليه روميو وجولييت عرضاً خاصاً للنخبة من نجوم المجتمع المالى والثريائه ، وخصص ريعه لصالح ابحاث مكافحة السرطان . تراس الاحتفال الممثل الامريكى جيرى لويس الذى جاء من هوليوود خصيصا لهذه الغاية . وكان احتفالا ناجحا من كل الوجوه ، وبلغت حصيلته المادية مليون فرنك فرنسى اضيفت لميزانية هذا العمل الانسانى الجليل ، مكافحة السرطان .

الى هنا والخبر لا يعدو ان يكون إشادة ببادرة محمودة يقوم بها اناس بارزون لخدمة غاية انسانية . ولكننا حين نقرا اسم المؤسسة التى دعت الى هذا الاحتفال وحين نستعرض اسماء المشتركين فيه ، ونتعرف على شخصياتهم ، نعرف ما الذى اشترى القيمون عليه بالمليون فرنك فرنسى الذى جادوا به على ابحاث مكافحة السرطان . المؤسسة الداعية هى مؤسسة باستور ـ وايزمن . وهذا الجمع بين اسمى رجلين هما لويس باستور وحاييم وايزمن ، ذائعي الصيت وبالغى الشهرة كل فى جوه وفى انجازاته التاريخية ، احدهما لخير الانسانية والثانى لشرها ، هذا الجمع وحده يكفي لتنبيه القارىء العربى بصورة

خاصة الى خلفيات هذه الحفلة ذات المظهر الانسانى التى بلغت حصيلتها مليون فرنك فرنسى ..

• • •

باستور ـ وايزمن .. لويس باستور وحاييم وايزمن ! .. اى صلة تربط بين هاتين الشخصيتين فى الاتجاه العلمى والاخلاقى ، او فى الانتماء القومى ، او فى تاريخ العيش ، حتى يجتمع اسماهما فى اسم واحد لهذه المؤسسة البالغة النفوذ التى يراس مجلس ادارتها احد حاملى جائزة نوبل والتى تجند لنشاطاتها اصحاب الاسماء الكبيرة فى كل مجال ؟

لويس باستور هو احد كبار المحسنين الى البشرية باكتشافاته وبانجازاته العلمية . غيرت ابحاثه فى علم الجراثيم واعماله فى تهيئة اللقاحات خريطة الامراض التى تصيب الانسان ، وحملت الامل والشفاء الى ملايين النفوس والاجساد فى كل الاصقاع . كان رجلا بسيطا متواضعا متجردا من الغايات المادية ومن التعصب اللاانسانى . شعاره كان : « من انت ؟ لا يهمنى .. لا يهمنى من قومك وما هى عقيدتك .. انت مريض وكفى تعال الى لاوفر لك البرء والشفاء » اما حاييم وايزمن فهو الكيميائى الصهيونى الذى كانت وسيلته الى التقرب من ساسة بريطانيا العظمى اثناء الحرب العالمية الأولى هى اكتشافه طريقة جديدة تسهل صنع متفجرات تزرع الموت والدمار فى كل مكان . قضى هذا الصهيونى عمره ساعيا لاستلاب ارض ليست له مشردا شعبها الامن المستقر فيها . وخطط لخلفائه

وتلامذته من بعده سياسة المذابح لمن بقى من هذا الشعب فى ارضه او نزح الى جوارها ، بدءا من دير ياسين وكفر قاسم وانتهاء بصبرا وشاتيلا ومرورا بالمجازر التى ذهب ضحيتها الفلسطينيون والعرب الاخرون فى حروب اسرائيل المتعاقبة .

ليس ثمة تقارب او تشابه بين هذين الرجلين ، لويس باستور وحاييم وايزمن ، بل هو التعارض والتضاد الكامل . ومع ذلك فان الصهيونية العالمية عملت على ان تجمع بين أسميهما فتسمى بهما مؤسسة ذات مظهر انسانى لتغطى بحسنات باستور ومنجزاته شرور وايزمن وجرائم خلفائه . جندت لهذه الغاية ، كما قلت ، اصحاب الاسماء الكبيرة التى تستحق ان نقف عندها ونستعرضها من خلال حضورها باليه روميو وجولييت ، من الحان الموسيقار





لويس باستور

حاييم وايزمان

الروسى سيرغى سيرغييفيتش بروكوفييف فى صالة اوبرا باريس .

• • •

جيرى لويس ، الذى ما احسبه إلا يهوديا امريكيا ، تلقى الدعوة الى ترؤس الاحتفال من رئيس مجلس مؤسسة باستور ـ وايزمن ، وهو البروفيسور اندره لووف ، اليهودى ايضا ، حامل جائزة نوبل للطب . اما شهادة العضوية الفخرية للمؤسسة فقد تسلمها جيرى لويس من السيدة سيمون فايل ، الوزيرة الفرنسية السابقة ورئيسة البرلمان الاوروبى فى واحدة من دوراته ، اليهودية الناجية من احد معتقلات النازى فى الحرب العالمية الثانية . هذه السيدة التى تبرز صورها فى كل مناسبة والتى تكثر حول اسمها الدراسات والاستفتاءات تركز عليها الصهيونية العالمية وتهيؤها لتخوض الانتخابات الرئاسية المقبلة فى سبيل ان تصبح اول رئيسة امراة للجمهورية الفرنسية ! ولست ادرى اذا كان بروكوفييف ، مؤلف روميو وجولييت هذه الباليه التى دعت الى حضورها مؤسسة باستور ـ وايزمن ، يهوديا ايضا .. إلا انى اعرف ان احدى اشهر مقطوعاته الموسيقية تحمل هذا العنوان : افتتاحية عن قضايا يهودية !

واضح ان هذا التركيز على المزاوجة بين اسم احد كبار المحسنين للانسانية واسم صهيونى مجرم بحق الانسانية ، وهذا الحشد للاسماء العالمية اللامعة ، حول هذه المزاوجة ، يستحقان اكثر من مليون فرنك فرنسى تدفعها الصهيونية العالمية او تجبيها من اثرياء ممالئين او مخدوعين او متحمسين ، لكى تبرر تسمية مؤسستها باسم باستور وايزمن ، ساعية بذلك الى التمويه على جنايات الاخير بالهالة العبقرية للاول .

يقول ابا إيبان ، وزير خارجية اسرائيل الاسبق ، فى كتابه «شعبى» ان لويد جورج رئيس وزراء انكلترا اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها ، عندما ودع حاييم وايزمن عقب انتهاء مؤتمر سان ريمو الذى ثبت فيه وقوع فلسطين فى قبضة بريطانيا وبالتالى اصبح لوعد بلفور مفعوله وقوته ، قال له : «الان اصبحت لكم دولتكم ، وعليكم انتم ان تكسبوا الرهان» .

ونحن نعرف جميعا كيف كسبت الصهيونية بقيادة حاييم وايزمن الجولات الاولى من هذا الرهان وكيف يستمر خلفاء وايزمن فى كسب باقى الجولات . يكسبونها فى الحرب بالنار والدمار ، وفى السلم بهذه النشاطات الماكرة التى توهم العالم بان صانعى النار والدمار ليسوا إلا ملائكة بررة ، وان حاييم وايزمن صنو للويس باستور فى العمل لخير الانسانية . يستهين بهذه النشاطات بعضنا ويبتسم بعضنا ساخرين من اهتمامنا بها ، وتتمزق لها صدور بعض اخرين منا . إنها من تلك التى سبق فيها القول :

امــور يضحك السـفهاء منها
ويبكـى من مغبتهـا الحليـم

• • •

وبعد ، فان حكاية مؤسسة باستور ـ وايزمن واحدة من اساليب اعدائنا فى تغطية الجرائم التى قام عليها كيانهم وفى صبغ مؤسسى هذا الكيان بصبغة المحسنين الى الانسانية . انها حلقة من سلسلة طويلة من الاعمال ، نغفل نحن عنها وهم دائبون فى سلوك سبلها الى الغاية التى خططوا لها منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الاول عام ١٨٩٧ فى بازل . وهل اذكر من هذا القبيل جهودهم الدائبة لمحو مقطع من الانجيل يؤمن به كل مسيحيى الشرق والغرب ؟ انه مقطع المسئولية الابدية عن دم المسيح . وقد اقر بها اليهود على انفسهم فاستحقوا بذلك لعنة المسيحيين لهم ابد الدهر ... وذلك حين قالوا ، على ما ورد فى انجيل متى ، لبيلاطس البنطى وهم يطالبونه بصلب السيد المسيح : دمه عليه وعلى اولادنا !

ولكن هذا حديث يطول . وارى نفسى تلومنى وتدعونى الى السكوت قائلة : «ما اهون ان تكون مثل ذلك الالمانى القادر على ان يشتم البير لبرون فى جادة الكورفرستندام فى برلين ، بينما هو مطالب بان ينتقد تصرفات هتلر بحق وطنه وشعبه والانسانية ! » . واجد لنفسى الحق فيما تقوله ، فاطيعها . واسكت .

قصة قصيرة

حكاية شرخ في الجدار

بقلم : الدكتور طه وادي

١ ـ محاولة لمعرفة أصل الحدوتة

انتابت عبد الله حسرة اليمة حين اكتشف فجاة شرخا هائلا فى الجدار الخلفى للبيت ـ بيت عائلة المنصوري ـ اخذ يتامل الجدار من الداخل مرة ومن الخارج مرات . استبد به الخوف والقلق . البيت ـ بيت عائلة المنصوري .. على وشك التداعي .. وربما السقوط والانهيار . هذا البيت ورثه ابوه الحاج محمد رمضان عن الجد عبد الله المنصوري الكبير . الجد رمضان عبد الله المنصوري كانت له اكثر من زوجة . كبر اولاده وتزوجوا . كان لا يستطيع ان يفرق بين احفاده ، وحين يعاتبه ولد صغير لانه نسي اسمه ، يقبله عند مفرق شعره مبتسما : كلكم اولادي .. كلكم اولاد المنصوري ، ان شاء الله تملاون البلد حركة وبركة .

أمر واحد كان يثير حفيظة الجد رمضان ويحـــول الجمل العجوز الى ضبع هائج ، وهو ان يرى احدا يفعل ما يسيء الى حرمة البيت الكبير . كم صاح في زوجات اولاده وبناتهم قائلا : لا ترموا المياه بجوار الحائط يا ابناء الفاعلة (يسعل في شدة في فورة غيظه) من لا يحافظ على داره لا يحافظ على أصله .

ذهبت ايام وجاءت ايام ياسادة يا كرام ، واصبح عبد الله كبير عائلة المنصوري . كان له إخوة كثيرون لكنهم تفرقوا في بلاد عديدة . ترى لم خلف الجد رمضان المنصوري كل هذا العدد الكبير ، ولم لم ينصح زوجاته باستخدام حبوب الامان ، او حبوب انفولار ٢١ او حتى انفولار ١٨ ؟ سامحك الله ياجدي رمضان .. اولادك كثيرون لكن هل يستطيعون ان يرمموا الشرخ ؟ !

●●●

٢ ـ محاولة اخرى لبيان ان الحبكة لم تتم

ارسل عبد الله خطابات الى إخوته ـ اولاد الحاج محمد رمضان المنصوري :

ـ مصطفى المنصوري .. مدينة اوتاوا بكندا .

ـ جلال المنصوري والعائلة .. مدينة برلين عن طريق المانيا الشرقية .

ـ حامد المنصوري وعروسه سوسن .. مدينة العين بابو ظبي .

ـ فاطمة المنصوري وزوجها سالم .. مدينة مكة المكرمة .

وفي ظهر كل مظروف يكتب (يصل في خير وسلام .. وشكرا لساعي البريد) .

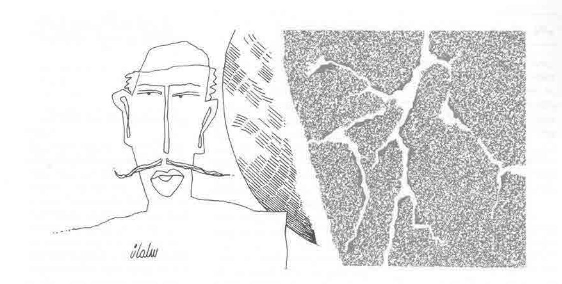
مرت الليالى وطالت ، والشرخ يتسع يوما بعد يوم . صار عبد الله مهموما لا يهنا بنوم او طعام ، حتى زوجته نفيسة ـ ابنة عمه ـ غدا يهملها ولا يسافر فى بحار عيونهــا يبدو ان اخوته قد نسوا البيت ومن فيه . فالذى يده فى الماء ليس كمن يده فى النار .

بعد مضي سبعة وستين يوما ذهب الى اخيه الصغير عوض ، عوض المنصوري تزوج فتاة جميلة ، لا باس .. فالله جميل يحب الجمال . كم تمنى ان تكون زوجته نفيسة او حتى ابنته رجاء تتمتع بقدر من جمالها الحلو ورشاقة قدها المياس . لكن من تحسبه موسى يكون فرعون . اصرت على ان تسكن في بيت جديد .. بعيد . سامحك الله يا عوض .. لم تكن اخي .. وانما ابني البكر ما كنت اظن ان امراة تاخذك مني ؟ !

●●●

٣ ـ وما تزال الحكاية غامضة

تاه عوض في كرسي فوتيه ضخم . بدا مثل النملة وهو يحاول ان يبرر عجزه امام اخيه . كانت انفاسه متلعثمة وكلماته متقطعة ، حاول ان يقنع اخاه الذي يعول جيشا من الاطفال وكلهم فى المدارس انه ليس في حاجة الى بيت كبير قديم ، وانما الى شقة حديثة . ماذا لو قبلت يا عبد الله طلب الاستاذ سالم الموجي زوج اختنا فاطمة ، إنه يريد شراء البيت بالسعر الذي تحدده . كاد يلطمه بكفه العريض ، وصاح محركا يديه صارخا :



ـ هل جننت يا عوض . أكيد جننت يا عوض . البنت شربات خرقت عقلك . بيت عائلة المنصوري ياخذه سالم الموجي ويعمل فيه ورشة وبوتيكات .. ؟

دخلت شربات في ثوب مكشوف ، وضعت كوبين من الشاي ، ومرقت سريعة متفادية النظر الى عيني عبد الله . أحس عبد الله كبير العائلة ان ليست هناك عائلة ولا يحزنون . لقد ربى إخوته وعلمهم حتى في حياة ابيهم . لكن لا فائدة كل ما فعله من اجل الجميع ذهب ادراج الرياح . لا امل في كبير ولا صغير . كل واحد مشغول بهمومه ومهامه . لا أحد اليوم يرى غير نفسه . في حجرة الصالون مراة معلقة على الحائط تبرز صورة نجفة الكريستال التي تتدلى من سقف الغرفة . لا فائدة في الكلام .. ولا أمل في رسالة تاتي . كان يظن ان له اخوة ، لكن ها هو وحيد .. والشرخ يتسع يوما بعد يوم . ترك بيت أخيه دون أن يصافحه ولسان حاله يقول : جئتك ياعبد المعين تعينني فوجدتك يا عبد المعين تعبان .

٤ ـ أزمة عبد الله المنصوري

وقف امام الجدار المتصدع يتامل الشرخ في صمت حزين . لم يعد الشرخ في الجدار فحسب . احس أن الشرخ انتقل الى كل شيء في عالم الأحياء ، حتى الراس راس عبد الله احس بها وقد صارت ثقيلة خربة من الصداع والتصدع . جسمه النحيل صار مثل عود الأذرة الجاف . غاض الوفاء ولا حياة لمن ينادي . احس ان ريقه مر المذاق . اين ايام الخير والبركة يوم كانت عائلة المنصوري يدا واحدة . الجد رمضان المنصوري كان يجلس هنا وسط الدار وقد التف داخل عباءة سوداء ، يكلم كل الاولاد والاحفاد في نفس واحد . شيخ قبيلة تملأ البيت حركة وبركة . عشرون فرداً باربعين يداً ياكلون حول صينية واحدة . يوزع اللحم والفاكهة كما يشاء . يد الله مع الجماعة ، حكمة يرددها كثيرا وهو يعطي اي فرد من ابناء العائلة قطعة لحم بعد ان ياخذ منها قضمة . ينتظر كل واحد دوره حسب سنه ومكانته في نفس الشيخ . كان الجميع في نظره اولادا حتى الزوجات والبنات . لم يكن يقول لاحد شيئا ، لكن الكل يعمل له الف حساب وحساب . ذات يوم رفض جلال وهو طفل ان يذهب الى الكتاب . انهال عليه بعصاه ضرباً . لن يذهب احدكم الى المدارس إلا بعد ان يحفظ شيئاً من القران . افاق من تاملاته وقد هاله ما بين اليوم والامس ، احس لدغة عقرب حين تذكر الغد . تاملته نفيسة في حزن وهو يقف ساهما امام الجدار المشروخ الشرخ اللعين كان فى الجهـــة الخلفية ، لذلك لم يفطن اليه عبد الله ولا حتى زوجته بدأ نور الشارع يطل من ثنايا الشرخ .

الشرخ متعرج مثل افعى رقطاء . إخوتك كثيرون وحالتهم طيبة ولكن احدا لن يسمع شكواك يا عبد الله . نظرت الزوجة فى حنو وإشفاق . احس صداعا يفلق راســـــه . سامحكم الله يا ابناء المنصورى ، ليس هذا بيتى وحدى . إنه ليس حوائط ومنافذ ، إنه رمز لمجد غابر وعز حاضر .. إنه بيت الحاج رمضان المنصورى ، وبيت المنصورى يجب أن يستمر .. يجب ان يتوقف هذا الشرخ ، ترى كيف يمكن أن يكون هذا ؟

● ● ●

٥ ـ كل عقدة ولها حلال

احس عباس فراش المدرسة ان الأستاذ عبد الله مدرس اللغة العربية ليس كعادته حاول ان يخفف عنه بعض همومه . يا اخى الهم يقصف العمر ، وكل عقدة ولها عنــد عباس حلال . لم يكن من عادته ان يشكو إلى احد . ما فائدة ان تشكو للغريب وقد وضع اهلك اصابعهم فى اذانهم .

بدأ السيد سامى الغرباوى المـرابى فى صورة المنقذ . رجل صار كبير البــلد بما أتاه الله من مال ، لا يعرف احد من اين له هذا ، لكنه سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب . رفع الغرباوى سبابته فبـدا فى خنصره خاتم ذهبى عريض ، وقال :

ـ لن اسلفك الا بشرطين .



ـ ما تقوله على العين والراس يا كبير البلد .

كان الشرط الاول هو ان يحدد السيد سامى الطريقة التى يتم بها الاصلاح ، وفى المكان الذى يراه هو مناسبا للبدء فى إصلاحه ، مع انه ليس صاحب البيت ولا يهمه أمره ، وشرطه الثانى الا يعطيه المبلغ المطلوب مرة واحدة وإنما على اقساط فصاحب المال لا ينفق ماله إلا فيما يراه . إنه لم يضربه على يديه حتى يأتى اليه . ومادام قد اتى فعليه ان يقبل الشروط كاملة. اهتزت الدنيا امام عينيه وهو يقول له امرك يا سامى . احس وهو يقبض القسط الاول ان الشرخ قد تحول إلى حبل من الكتان يلتف حول عنقه . تخيل امراته فى مهب الريح ، وقد ظهرت بطنها المترهلة من كثرة ما انجبت ، فقال فى سره كانما يريد ان يطرد وساوسه : يا خفيّ الالطاف نجنا مما نخاف .

● ● ●

٦ ـ عين الأعور

اخذ السيد سامى الغرباوى يناور ويحاور . حجته ان ضرب الاعور على عينه لا يجدى فهى تالفة ، فلو بدا المنصورى فى إصلاح الجدار الخلفى فقد ينهدم البيت كله . الحل الافضل هو ان تقوى واجهة البيت وتصلح ، وبعد ذلك يبدا فى إصلاح الناحية الخلفية وهو مطمئن الى ان الجزء الاخر لن يفاجئه بما قد لا تحمد عقباه . ووعده ان يعطيه كل ما يطلب من مال . إنه من اسرة طيبة هى أصل البلد كلها .. ومن من الناس لا يعرف افضال عائلة المنصورى ؟ بدا عبد الله يدرك ان الذى معه قرش يستطيع ان يجد اى مبرر لكى ينفقه انى شاء ؟!

اشتد تاثير الصداع ، وهو يرى العمال يغيرون شكل الواجهة ، وصار البيت بيتا اخر . نظر الى السماء فى عتاب وهو ينكر صورة لاخيه مصطفى تنظر إليه فى سخرية وهو ياكل قطعة جاتوه بالشوكة والسكين .

● ● ●

٧ ـ الواحد بدء الألف

تغيرت واجهة بيت المنصورى . رمم العمال مالا يحتاج إلى ترميم ، وطلوا الحائط الخارجى بالجير الملون . طلب اكبر الابناء من ابيه ان يكون للواجهة لون واحد حتى يظل لبيت المنصورى وقاره . لكن الوالد كذب على ولده . كيف يقول له إن هذه أوامر السيد سامى . اوهمه أن هذه القطارات والطائرات قد تكون فالا حسنا ويحج ابوه الى بيت الله ، ويدعوه سبحانه وتعالى ان يكشف الغمة .

اخذ يعد حبات المسبحة وتذكر ان نصف البيت مرهون ، والجزء الخلفى الذى به الشرخ لم يمس بعد .

باب البيت ـ بيت المنصورى الذى كان لا يفتح إلا لاستقبال فرد من ابناء الاسرة ـ صار الآن مفتوحا طوال النهار وجزءا كبيرا من الليل . واختلط العمال بالاسرة وصارت ادواتهم وملابسهم التى يعملون بها تحتل جزءا من البيت . رحم الله الجد رمضان المنصورى كان دائما يطلب من ابنائه ان يغلقوا باب البيت قائلا : إن الباب المغلق يمنع القضاء المستعجل .

قريبا سوف تنصلح الاحوال ويوم ترى البنت شربات زوجة عوض البيت وبابه المفتوح على الدوام سوف تندم ، لانها تركت بيت العائلة ، وتعيش فى شقة مثل جحر الارنب . كل هذا من فضل الله ، وببركة السيد سامى الرجل الطيب .

● ● ●

٨ ـ رسالة عن طريق الجو البارد نهاراً. اوتاوا فى يوم لا ينسي

عزيزى الاخ عبد الله .

بعد التحية . وصلتنى الرسالة . لا استطيع إرسال نقود الآن . لا شيء يتبقى من الدولارات المجنونة . الحياة هنا صراع ونار . لكنى تاقلمت ، اصبحت مربوطا بالعجلة اللعينة . البيت بيتك فافعل ما تشاء . سلامى إلى ابنائك الذين لا اعرفهم . تحياتى للجميع والى لقاء .

المخلص

المهندس مصطفى المنصورى

● ● ●

٩ ـ فى انتظار الذى لن ياتى

اصبح نصف البيت المرمم ـ المرهون غاية فى الزخرفة والزركشة . الباب مفتوح ولكن بلا حركة ، فالعمال قد توقفوا عن العمل . الجزء المهدد بالسقوط والهدم مازال على حاله والشرخ يتسع . سال عنه عباس الذى اخذ خمسة جنيهات كاملة نظير ما فعل من معروف فقال بحدة :

ـ هل تظن ان السيد سامى يترك شغله من اجلك ، إنه رجل اعمال ، عنده تجارة وشغل فى اكثر من بلد ، اصبر حتى ياتى ..

ـ الصبر قد يفلق الجدار .

بقى وحده فى حجرة المدرسين ، يحاول ان يصلح كراسات التطبيق . تعجب فى نفسه : الاولاد يكتبون موضوعات إنشاء لا باس بها ، لكن التطبيق ملىء بالاخطاء مع انه يشرح لهم القواعد ؟ نظر إلى حائط الحجرة . نتيجة الحائط لم يعد بها ورقة .. اى ورقة . لم يستطع ان يتذكر تاريخ اليوم كل ما يشغله هو ان يعود الحاج سامى قبل أن يسقط الجدار .

● ● ●

١٠ ـ نفيسة تموت من الهم

نفيسة زوجة عبد الله ابنة عمه فهى ايضا من عائلة المنصورى ، والبيت عزيز عليها كما هو عزيز عليه . كانت تدرك بالفطرة والحس ان زوجها لا يسير فى سكة السلامة . إنه معذور ، ولكن الاعذار ـ وهى بيد الله ـ جعلت حال البيت لا يتصور بعد أن سقط الجدار المشروخ الذى كان يستر دورة المياه وحجرة الكرار . اصبحت الواجهة المزركشة علامة زائفة على ما هم فيه من ضياع ووقف حال . ذاب السيد سامى كما يذوب فص ملح فى نهر كبير . عبد الله انتقل الشرخ من الجدار الى راسه لا فائدة من الكلام معه . كان عبد الله حزينا من اجل البيت ، لكنها امست حزينة من اجل البيت ومن اجل الزوج المشروخ . لم يسمع الكلام وركب راسه ، وهذه عاقبة من لا يعجبه الا راسه .. يغرق ويغرق كل من معه . لا فائدة من الكلام بعد ان نفذ السهم أعدت للعائلة طعام العشاء ونامت غير راغبة فى الطعام او الكلام . فى الصباح وجدها عبد الله جثة هامدة .

● ● ●

١١ ـ البقاء لله ... لكن الدنيا تمشى

اخى عبد الله المنصورى المحترم .

التحية لكم من بلاد الله الطاهرة ، والسلام على روح المرحومة الاخت نفيسة . اصبر يا اخى على ما اصابك . كلنا اموات اولاد اموات . اعذرنى يا اخى على عدم الحضور . زوجى الحاج سالم لا يستطيع اخذ اجازات . انت رجل العائلة الآن فشد حيلك . الكل قد تنازل لك عن حقه فى البيت سالم يعرف انك فى ازمة ، وهو مازال على استعداد لشراء البيت بالسعر الذى تحدده وسوف يرسله فى شيك تلغرافى حتى تحل كل مشاكلك . نحن فى انتظار ما ترى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اختك العزيزة

الحاجة فاطمة رمضان المنصورى

مكة المكرمة ص . ب ٤٤٤٤

• • •

١٢ ـ ماذا تفيد المظلة بعد سقوط المطر ؟

ارسل حامد الذى يعمل صحفيا فى ابو ظبى مبلغ الف جنيه لاخيه عبد الله حتى يدبر حاله بعد وفاة زوجته . لكن عبد الله لم يعد يحس للحياة طعما بعد رحيل نفيسة المفاجىء . فالزوجة شىء عزيز فى الحياة .. قد تكون اعز من الوالد والولد اذا ما كانت صالحة مثل نفيسة ، التى كانت السلوى فى الحزن والهم، ومصدر السعادة والانس فى ليال يغيب فيها القمر . لم يعد يستطيع ان يعود للسرير وحده ، صار ينام على كنبة فى حجرة المسافرين . الحياة بدون اليف قبر لا يطاق يا نفيسة ! .

تحسس الالف جنيه فى جيبه ، كانت عديمة الجدوى مثل ورق الجرائد الذى جاءت منه . شعر انه يشم هواء نقيا حين اخبره عباس بان الحاج سامى قد عاد من رحلته التجارية الطويلة .

• • •

١٣ ـ القانون لا يحمى التعساء

ماتت البسمة الشاحبة على فم عبد الله حين رفض السيد سامى ان ياخذ منه النقود . فى البداية كان يظنها شهامة منه ، لكن الرجل اخبره ان موعد الرهن قد انتهى .. وبناء عليه .. بناء على انه لم يرد الدين فى موعده ، فقد صار البيت .. البيت الآن ملكا له .

ـ مستحيل .. هذا كذب .. نصب .. احتيال ، بيت عائلة المنصورى ؟

ـ اصبح الآن ملكى .. ملكى بالقانون يا استاذ عبد الله .

ـ يا ظالم .. يا مفترى ، خرب الله بيتك .

ـ تذكر انك الآن فى بيتى بالفعل .

هجم على الرجل يريد ان يخنقه . يموت او يميته .. سيان . خلصه عباس وانصار السيد سامى وهم كثيرون من قبضة الرجل الحديدية . رموه كما ترمى الليمونة بعد عصرها الى خارج البيت .

• • •

١٤ ـ وضاع البيت يا نفيسة

صار قبر نفيسة هو المكان المفضل لعبد الله .. سامحينى يا اختى . لم لا اموت مثلك ؟ ليتنى سمعت كلامك ، حصاد الوهم هو ما اجنيه الآن من انفرادى باتخاذ القرار. إخوتى هم السبب . ليت يدى ـ سيد القطع ـ قطعت قبل ان توقع على الكمبيالات اللعينة .

نظر عوض الى اخيه فى صمته الثقيل . هد الهم حيلك يا عبد الله . كبير عائلة المنصورى شاخ وهرم . اصبح لا يعى ما يقول او يفعل . نظر الابناء الى ابيهم فى صمته وهو جالس فوق الانقاض . كان فى عالم وحده لا يسمع ولا يرد .. وربما لا يرى . بعد لحظات صمت قد تطول او تقصر يذكر فى حزن اسم نفيسة . تخيل شربات زوجة عوض تضحك ساخرة ، بينما نفيسة قد لبست ثوبا اسود ولفت راسها بطرحة سوداء .

• • •

١٥ ـ لحظة التنوير المظلمة

جاء مدرسو مدرسة مكارم الأخلاق الابتدائية المشتركة ليروا زميلهم الاستاذ عبد الله ، حتى عباس جاء معهم ، لكن الرجل فى عالم اخر كان . سبحان من يغير ولا يتغير . هكذا قال الشيخ جاد .

لعن عباس فى سره السيد سامى القرباوى واليوم الذى عرف فيه عبد الله المنصورى به . لم يكن يظن ان الافاعى يمكن ان تنشر الخراب بهذه السرعة .

نظر عوض إلى اخيه فى صمت وقد مرت فى خاطره صور باهتة لاخوة مغتربين .. وأسرة ممزقة . احس ان الشرخ اخذ يتسع .. ويمتد .

انتفض الأولاد والعم على حركة مباغتة من الوالد عبد الله المنصورى . كان يجرى حافيا وهو يتعثر فى جلبابه . وقف مكان الشرخ . نظر بعينين ضعيفتين حوله فى كل اتجاه . جلس القرفصاء واخذ يحمل تراب الجدار ، ويعفر نفسه من الراس الى القدم . حاول الابناء ـ وعيونهم غرقى بالدموع ـ ان يوقفوه عن الحركة ، لكنه مالبث ان سقط بينهم .. فى نفس المكان الذى كان يوجد به الشرخ . حاولوا ان يحملوه .. نظر وهو مطروح فى الارض كانما يبحث فى السماء عن شىء بعيد . تخيل الجد رمضان يقول فى عتاب :

ـ سامحك الله يا عبد الله .

جاءت ابنته الصغرى وجذبت الثوب ومدته على جثة العزيز الراحل .



طـه وادى



رمال شمال سيناء تحيط بمدينة العريش . والصورة من الجو ١٩١٤ ولقد تغيرت اليوم تغيرا كبيرا ..



لماذا لا تقوم شركة عربية كبرى لصناعة الزجاج في شمال سيناء؟

بقلم : درويش مصطفى الفار

إثر نقاش مستفيض متشعب حول الكثبان الرملية واشكالها وهندسة انتقالها وعن منشا رمال الصحارى واحجـــام حبيباتها وخصائصها المعدنية تطرق حـــديث جمـــاعة من الجيولوجيين والمهندسين العاملين فى صحراء سيناء ، إلى تاريخ نشاة الكثبان الرملية التى تغطى الركن الشمالى الغربي من شبه جزيرة سيناء ، وهل هى هكذا منذ فجر التاريخ ام كان لها شان اخر ؟ فدفعنى هذا السؤال للقيام بتجربة علمية استغرقت خمسمائة وستة وثمانين يوما بالكمال والتمام ، فيما بين ١٨/٨/١٩٥٩ ، ٢٠/٦/١٩٦١ . وذلك للحصول على إجابة علمية لذلك السؤال ..

كانت مبررات تلك التجربة ، ما ثبت لى يقينا ، قبلها بعام ، من أن الرمال السوداء ، وما معها من الرمال البيضاء ، جاءت الى شمال سيناء من ملايين الأطنان من فتات الصخور ، التى كانت فروع النيل السبعة ، والتى لم يبق منها سوى فرعى دمياط ورشيد ، بينما اندثرت الاخرى مع ما دثرته عوادي القرون المتعاقبة ، تنقلها إلى البحر الابيض المتوسط ، وأن الرياح السائدة على مدار العام فى هذا الموقع من خريطة العالم هى القادمة من الشمال الغربى ، وأن اقصى ما وصلت اليه الكثبان الرملية فى شمال سيناء ، مما تحوى رماله معادن نيلية ، يقع على بعد ثمانين كيلومترا جنوب ساحل سيناء الشمالي ..

اخترت للتجربة مجموعة من الكثبان الرملية الهلالية (الاحقاف) المنتشرة فى ذلك السهل المتسع الموسوم باسم منطقة « السر » بين جبال ريســـان عنيزة ولبنى ويلق والمغارة ، ووضعت علامة ثابتة أمام كل كثيب على مسافة اخترتها لدى الوجـــه الجنوبى الشرقى فى خط متعامد مع منتصفه ، وكان علي أن اقيس مقدار زحف كل كثيب تجاه العلامة الخاصة به ، على فترات ، وأن اسجل ذلك فى دفتر العمل الحقلى ، حتى إذا ما انتهت تجربتى تلك ، حسبت معدل الإنتقال اليومى للكثيب ، فكان خمسة سنتيمترات واثنى عشر بالمائة من السنتيمتر فى تلك المنطقة ، اى أن رمال الكثبان البعيدة القصوى عن ساحل البحر الابيض المتوسط فى ذلك الاتجاه ، يمكن القول بانها قد بدات طوفانها منذ اربعة الاف سـنة طبقـا لنظريـــة (اليونيفورميتاريانيزم) المشهورة فى قواعد علم الجيولوجيا ، والتى جاء بها الى الاوساط العلمية العلامة السير تشارلز ليلل سنة ١٨٣٠ م ، والتى تعنى انه خلال تاريخ الارض ، ظلت العوامل المؤثرة فى تشكيل سطحها على نفس النمط والرتابة مع اختلاف فى الدرجة ، اى أن عربات رمسيس الثانى (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق.م) لم تصطدم بعائق الكثبان فى شمال سيناء ، كما اصطدمت مجنزرات اليهود سنة ١٩٦٧ م مما حدا بهم قبل أن يخططوا لمفاجاة الجيش المصرى باختراق المنطقة الرملية بين العوجاء بفلسطين وبير لحفن جنوب مدينة العريش حاضرة شمال سيناء ، أن يطلبوا الى المصانع التى تمدهم بالسلاح والعتاد فى اوروبا وامريكا أن تزيد بضع بوصات فى عرض الجنازير ، فكان لهم ما ارادوا ...

وبعد الاختبار المجهرى لحبيبات رمال الكثبان ، ومقارنة تكوينها المعدنى تذكرت قضية قديمة ...

كان ابى ، يرحمه الله ، قد احضر لي عينة من الرمل الابيض الذى لا تشوبه



طبقات متتابعة تمثل كل منها زمنا فى عمر الأرض فوق طبقات الرمال البيضاء فى جبل خشم منظور

سيارة بدائية لم تقو على اجتياز رمال سيناء الشمالية قبل الطرق المسفلتة

الدليل البدوى محمود بن لهمان يقف امام رمال بيضاء فى شمال سيناء

الشوائب ، من راس واد يسمى وادى «ام قرضية» فى الركن الجنوبى الشرقى لسلسلة جبل منظور ومسك صيارة والركيب والمحاش ، المحيطة بجبل المغارة من الشرق والجنوب ، فكان لابد من زيارة ذلك الوادى ، للبحث عن مصدر تلك العينة ، وتحديد جيولوجيتها ...

واسفرت الزيارة ، عن أن الرمال البيضاء التى قد تتجاوز فيها نسبة السليكا ، اى ثانى اوكسيد السليكون ، ٩٩٫٩٪ ، تنتشر فى امكنة عديدة كثيرة فى طبقات الطباشيرى الادنى ، بصورة لا تقتصر على تلك السلسلة المحيطة بوادى ام قرضية ، ولكنها تتعداها الى كتل كثيرة من القباب الجبلية فى شمالى سيناء على سعته ...

اى ان هنالك مئات ملايين الاطنان من تلك الخامة الحضارية التى يمكن ان تقوم عليها صناعة «الزجاج» ومشتقاته المتعددة للاستهلاك المحلى (العربى) وللتصدير خارج الوطن العربى ، لو حالفنا الرشاد والتوفيق ...

ولو اخذنا بعين الاعتبار ، وجود مصدر كبير للطاقة ، فى طبقات الفحم الحجرى التى اكتشفت فى منطقة الصفاة بجبل المغارة بشمال سيناء قبل عدوان سنة ١٩٦٧ ، والتى (لابد) من وجود امتداد لها ، تحت الأرض فى منطقة جبل الحلال على بعد خمسين كيلومترا الى الجنوب الشرقى من المغارة ، فان قيام شركة عربية كبرى لصناعة الزجاج فى شمال سيناء ، على المستوى العالمى ، امر يمكن ان يكون واقعيا ...

ولسوف يستتبع قيام شركة عربية كبرى لاستغلال الرمال البيضاء فى شمالى سيناء قيام ركيزة حقيقية للعمران الزراعى والتعدينى والسياحى ، فى شمال سيناء كله ...

وتستطيع تلك الشركة العربية الكبرى المأمولة ، ان تخطط لاستغلال الرمال السوداء ، والفحم ، وخامات الاسمنت ، والدولومايت والرخام ، وكبريتات الصوديوم ، والحجر الجيرى الفوسفاتى ، وغيرها من الخامات المعدنية التى لا يستهان بها ..

وإلى جانب المغانم الاقتصادية والعمرانية فى الرمال البيضاء فان استغلالها يستوجب دراستها من الناحية الاكاديمية ، مما يثرى المعرفة العلمية ،

ويتيح لمجموعات كثيرة من الشباب العرب ان يثبتوا قدراتهم فى استنباط اصل وتاريخ تكون تلك الرمال ، ومن اين جاءت وكيف تناقلتها الرياح والبحار والأنهار ،

وشكلت حبيباتها ورفعت نسبة السليكا فيها ، بعد ان ازالت منها ما عداها من المعادن ، مما قد يسفر مع المثابرة والاصرار عن تغييرات جذرية فى ميادين التنظير الجيولوجى ، ويثبت فى هذا العصر ايضا ،

إن دماء اولئك الذين وضعوا كثيرا من أسس العلوم الحديثة فى الاندلس وصقلية والقيروان والأزهر الشريف ، لازالت تجرى فى عروق ابناء هذه الأمة ، التى خرجت فى القاهرة ودمشق واصفهان وبغداد وسمرقند عباقرة لم يستطع توالى القرون ان يطمس اخبارهم ...



محارب بلا سلاح!

بقلم: محمود السعدني

أول مرة رأيت فيها الخميسي كانت فى الأربعينات حضر إلى قهوة عبد الله ذات مساء ، وقضى السهرة فى ركن أنور المعداوى ، وأشاع جواً من البهجة والمرح ، وعزم الشلة كلها على العشاء ، ومنح جرسون القهوة مبلغاً كبيراً من المال ودس فى يد الولد الذى قام بتلميع حذائه جنيهاً كاملاً ، وأعطى عباده مجنون قهوة عبد الله مبلغاً من المال اكتشفنا فى الصباح أن المبلغ كان خمسة جنيهات صحيحة .. المهم أنه غادر المقهى فى ساعة متأخرة من الليل وقد وهب السعادة للجميع ، حديثاً ، وطعاماً ، وهبات .

وغاب الخميسي طويلا عن قهـــــوة عبد الله ، وعرفت من زكريا الحجاوى ، أنه عاد الى مقر عمله فى فلسطين ، فقد كان يعمل فى إذاعة الشرق الأدنى مع مجموعة من الفنانين والمثقفين العرب من بينهم سامى داود ، وسيد بدير ، وسليم اللوزى ، وعميد الامام .

ولم ألتق بالخميسي بعد ذلك ، الا فى جريدة الكتلة وكان قد بدأ ينشر فيها قصصاً من تأليفه شدتنى إليها كثيراً ، فقد كانت مختلفة عما ينشره محمود كامل ومحمود تيمور ، كانت شخوص قصص الخميسي أكثر حياة وأحداثها أكثر حرارة ، وكان أسلوب الخميسي نابضاً بالحياة ، موسيقياً وشاعرياً وأشبه ما يكون بأسلوب



عبد الرحمن الخميسي

كاتب فرنسى من العصر الرومانسى .. الساحر الغامض المثير !

وأحببت الخميسي منذ أول لقاء ، كان نموذجاً للفنان الذى رسمته فى خيالى ، كان شديد الزهو ، شديد البساطة ، وعظيم الكرم ، دائم الفلس ، وكان يمشي دائماً فى الطريق يتبعه أكثر من شخص يلازمونه كظله ، ويطيعون اشارته ، وكان حريصاً على أن يرتدى ملابس أنيقة وغالية الثمن وعلى العموم كان الخميسي فى مظهره وسلوكه يختلف عمن عرفت من الشعراء والأدباء والفنانين ، وأحببت الخميسي من أول لقاء ، ولكن صلتى به لم تتوثق إلا بعد ذلك اللقاء بمدة طويلة ، قدمني له زكريا الحجاوي وهو جالس مساء فى جريدة (المصرى) وناقشنى في بعض ما عرضته عليه من كتابات وكان ودوداً للغاية ، وأبدى اهتماماً شديداً بى ، وبما كتبت ، وكأنه صديق انقضت على صداقتنا أكثر من عشر سنوات .

ولم تمض أيام قليلة على معرفتى به ، حتى كنت قد عرفت قصة حياته كاملة ، وأدق أسراره ، وتفاصيل مشـــاكله ، وأحسست بصدقه ، ومسح بحديثه على جروح فى نفسي ، فقد كانت نشأته الأولى شبيهة بنشأة العبد لله ، وبقدر ما مسح حديثه من جروح فى نفسي ، بقدر ما أمدنى بشحنة هائلة من التفاؤل والأمل ، وإذا كان الخميسي ورغم كل هذه الظروف ، إستطاع أن يقهرها ويطفو على السطح ، فحتما سيكون فى مقدورى أنا الآخر أن أصل يوماً ما إلى ما وصل إليه الخميسي من مكانة وشهرة وانتشار .

كان الخميسي فى ذلك الوقت الذى حكى لى فيه قصة ضياعه وتشرده فى البلاد وهروبه من مدرسة المنصورة الثانوية ، بحثاً عن نفسه وعن فنه فى عاصمة فرعون أقول .. كان الخميسي واحداً من أشهر الكتاب فى مصر على الاطلاق ، إن لم يكن أشهرهم ، كان ينشر قصصاً مسلسلة فى

جريدة المصرى واستطاع بقصصه ان يرفع توزيع الجريدة إلى ما فوق المائة الف نسخة ، وعندما دخل معركة مع محمد التابعى ، وكان عميد كتاب الصحافة المصرية وقتئذ ، استطاع الخميسي ان يقهر التابعى وان ينتصر عليه ، وكان يتقاضى مرتباً عن عمله فى جريدة المصرى يسيل له لعاب كل الادباء الجالسين على قهـوة عبد الله ، وكان لا يتردد على قهـوة عبد الله كل ليلة ، ولكنه كان يسهر كل ليلة من ليالى الأسبوع مع شلة مختلفة ، وكانت كل الشلل خليطاً من الكتاب والشعراء والفنانين ، وكان حريصاً على ان تظل صلاته بالجميع موصولة ، فهو يتردد على الدكتور لويس عوض بين الحين والاخر ، ويفاجىء نبوية محمد احيانا بالزيارة ، ويحرص على رؤية الشجاعى وعبد الحليم نويره .

وبقدر استمتاع الخميسي بالسهر مع الاحبة والخلان ، كان حريصاً ايضاً على انجاز ما عليه من اعمال ، كان يتولى بنفسه تصحيح قصصه فى المصرى ، وكان يقضى الساعات الطوال فى استوديوهات الاذاعة يعد بنفسه برنامجه الاسبوعى الذى كان يتناول بالعرض والتحليل ، قصص مشاهير واعلام الموسيقى فى التاريخ ، وكان برنامجه الموسيقى من اعظم البرامج التى قدمتها اذاعة مصر فى تلك السنين . وعندما قامت الثورة أيدها الخميسي بحماس واعتبر نفسه واحداً من رجالها ، ويبدو ان الثورة التى غيرت نمط الحياة فى مصر ، غيرت الخميسي ايضاً ، فتحول من كتابة الف ليلة وليلةإلى كتابة قمصان الدم !

كانت قصص الخميسي الجديدة مختلفة تماماً عن قصصه القديمة ، وامتلأت قصصه الجديدة بنماذج من عامة الناس ، وأصبحت البطولة فى قصصه للرجال العاديين ، واختفى قصر السلطان وحل محله الشارع والمقهى والدكان ، وانحاز الخميسي إلى الضعفاء من النـــاس والمستضعفين من البشر ، واختفت من ثنايا سطوره شاعريته القديمة ، وعذوبـة اسلوبه .

هجر الخميسي الشعر ، واقلع عن الغناء وصار رجلا واقعيا ، وتحول من كاتب تقليدى إلى مناضل من طراز خاص ، وانتهى به الحال إلى دخول السجن ، وغاب الخميسي خلف الاسوار ثلاث سنوات ، ثم عاد وانضم إلينا ككاتب بجريدة الجمهورية ولكن الخميسي الذى جاء بعد السجن ، كان شخصاً اخر يختلف ، صار اكثر حذراً ، واقل جهداً ، وتصورت انها خطة من الخميسي لكى ينجو بنفسه من رقابة العسس ، ويختفى بنفسه عن عيون البصاصين ولكن يبدو أن تجربة السجن كانت مريرة إلى الحد الذى احدث شرخاً فى نفس الخميسي ، لم يعد يبالى كثيراً بنشر انتاجه على الناس ، وتحول من الشعر التقليدى إلى الشعر الحديث ، ولكن شعره الجديد لم يكن فى مستوى شعره القديم . وسرعان ما هجر الشعر والقصص ، والقى بنفسه فى بحر المسرح ، كتب اوبريت « مهر العروسة » ، وانشغل بها ايما انشغال ، وفرض نفسه على العمل المسرحى ، يشارك فى الاخراج والموسيقى ، وانتهى به الحال إلى خلاف حاد مع الموسيقار محمود الشريف ، الذى ترك العمل فى الاوبريت وحل الموجى محله ، وعندما ظهرت « مهر العروسة » على المسرح ، وبعد شهور طويلة من الاعداد ، بدا واضحاً بصمات الخميسي على العمل كله ، ولاقت الاوبريت نجاحاً كبيراً وتالق الخميسي اثناء عرض المسرحية ، ثم عاد إلى بياته الشتوى من جديد .

وغرق الخميسي فى حب جديد ، وخيل إلى اصدقائه انه انشغل بحبه الجديد عن اى شىء وكل شىء ، ولكن الخميسي الذى لا يقهره شىء ولا يمكن لشىء ان يستحوذ عليه ، انفجر من جديد ، وفى الاذاعة هذه المرة وبرواية شغلت مصر شهراً باكمله لدرجة أن شوارع القاهرة كانت تضيق بالمستمعين لحظة إذاعة حلقة من رواية « حسن ونعيمة » ، التى كانت بحق اعظم ما قدمت الاذاعة من مسلسلات فى حقبـة الخمسينات . وعاد الخميسي إلى تالقه من جديد ، وكانما نجاح المسلسل قد حفزه على العودة الى الاضواء ، فقرر أن يسبح فى التيار الجديد ، ولكنه اختار المسرح هذه المرة ليعاود نشاطه الفنى ، فكون فرقـة مسرحية ، واستعان بعدد من الشبان ، صار لبعضهم شان عظيم بعد ذلك ، عادل امام ، وسعاد حسنى وصلاح السعدنى ، وحلمى هلالى ، والشقيقان ابو الفتوح وفاطمة عمارة .

ولكن سرعان ما تلبدت غيوم السياسة على الساحة العربية ، وناصبت بغداد القاهرة العداء ، ولم تكن القاهرة عاصمة مصر وقتئذ ، ولكنها كانت عاصـــمة الجمهورية العربية المتحدة ، وانفتحت ابواب السجون والمعتقلات من جديد واختفى داخلها مئات من شباب مصر ، صحفيين وادباء وكتاب وفنانين ، واثر الخميسي أن يوقف نشاطه المسرحى ، واختفى فترة ، ليظهر من جديد فى احد استوديوهات السينما ، ليقدم « حسن ونعيمة » على الشاشة ، مكتفياً بدوره كمؤلف وكمكتشف لاثنين من الوجوه الجديدة ، سعاد حسنى التى تربعت على عرش السينما فترة طويلة من الزمان ، ومحرم فؤاد الذى لمع فترة كمطرب ذى صوت متميز ثم لم يلبث ان اصابه النهتان بعد حين . كان العبد لله من بين الذين غابوا وراء الأسوار فترة امتدت عامين بالكمال والتمام ، وعندما خرجت من السجن كانت اشياء كثيرة قد تغيرت من القاهرة ، فانهدمت قهوة عبد الله ، وانزوى انور المعداوى فى مقهى ديانا بالدقى ، وانشغل زكريا الحجاوي بالفن الشعبى ، وسرح وراء اولاد « رمز » فى البرارى والحقول ، وتفرغ نعمان عاشور للمسرح وغرق فيه ، واشتغل يوسف ادريس بالسياســـة حينا ، ثم عاد إلى كتابة القصة من جديد ، وبحثت عن الخميسي وعثرت عليه .. فى مكتب صغير بعابدين واستقبلنى بحفاوة ، وهون على نفسى أيام السجن الكئيبة ، والح على فى ان اشترك معه فى مسرحه ، وطلب منى ان اكمل روايتى « عزبة بنايوتى » ، وكنت قد فرغت من كتابة فصلها الاول ، قبل ان اذهب فى رحلة الاغلال والقيود ، وامدنى الخميسي بطاقة هائلة ، وخرجت من عنده إلى منزلى وعكفت على كتابة الفصل الثانى من المسرحية التى قدر لها أن تظهر بعد ذلك على مسرح الخميسي من اخراج الخميسي وبطولة الخميسي ، واحدث ظهورها على المسرح دوياً هائلا ، وعرضت فى مصر عدة سنوات وشهدها الملايين من شعب مصر ، من اسوان وحتى العريش .

البقية العدد القادم

مِنْ مَواقِفِ أبي عَلِيّ:



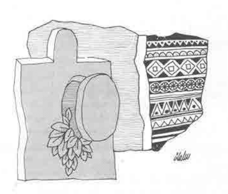
شعر: حسن طلب

اوقفنى السوسنُ فى موقفٍ :
يبقى من يهلكُ عشقا !
قال : ساصحبُكَ الآنَ إلى حيثُ ساطلِعُكَ
على مالم أُطْلِعْ احداً من قبلُ عليهِ
فلا تنبِسْ نُطُقا
وابتسمَ وقال :
إذا انت تكلَّمتَ سترحلُ
او إنْ انت صمتَّ ستبقى
قلتُ : ساسكُتُ .
قال : فحقًّا ؟ قلت : اجلْ حقًّا
فاخذنا الميثاقَ .. واطلقْنا السَّاقَ
.. توجَّهنا شَرْقا
ومضـــينَا ..
حتى لما ان صرنا داخلَ صحراءٍ :
يشبِهُ رونَقُها سيناءَ
وتحت سماءٍ :
يشبه ازرقُها مُهَجَ الشهداءِ ،
نظرنَا ..
فكشفنا عن افقٍ أُفْقَا !
فابتسمَ ، وقالَ : انظرْ :
هذا جبلٌ خَجِلٌ
يصعد نحو ذؤابتِهِ رجلٌ وجِلٌ
قال ، وهذى إبلٌ
يجفُلُ عنها جملٌ
فازيزُ الطائرةِ الامريكيةِ فى مسمعِهِ :
خطرٌ داهٍ
وحِمامٌ محتمَلٌ
واولئك ــ قال ــ اناسٌ يدرونَ .. ويتَّجرونَ ،
فهم مَوْسومونَ ..
ومنهم من يبتهلون .. ويرنون
يحيون الطائرةَ الامريكيةَ وهى تدورُ
.. وتلقى بنفايتها

ثم تحلِّقُ فوقا !
فتعجبْتُ ، وصِحْتُ :
امجنونونَ اولئكَ ؟ ام حمقَى ؟!
فابتسمَ ، وقالَ :
الم اصحبْكَ على ان تصمِتَ ؟
قلتُ : نسيتُ ،
وما انسانيهِ سوى الغيظِ ،
فرِفْقَا
وتبادلنا الردَّ ..
وجدَّدْنا العهدَ .. مضينَا
فقطعنا من عمقٍ عمقَا
حتّى لما ان كنا فى وادٍ ذى شجرٍ
ونخيلٍ منتشرٍ
وقف على الحافَّةِ ،
ثم ارانى ما قطفَ وقالَ :
أَصِبْ مِنْ هذى الفاكهةِ الغضَّةِ رِزْقَا
وصمتٌ ..
فاعطانى إحدى الثمراتِ وقال : تذوَّقْها ..
فاذا هى كالعلقَم ذوقًا !
فتقزَّزْتُ والقَيْتُ بها نحو الشجرِ المنتشرِ ، وقلتُ :
الا .. عُودى من حيثُ اتيتِ ..
قُتِلْتِ ، وساء بك الملْقَى
وغضبتُ .. وقلتُ :
فافٌ لك ايتها الشجراتُ الاشتاتُ ،
وايتها النخلاتُ المتعددةَ الجنسيات !
فمال ــ وقد ضحكَ ــ وقالَ :
فها انتَ وعدتَ ..

ولم يكُ وعدُكَ صدقًا !
فخجلتُ .. وقلتُ :
لقد غلَبَ القَهْرُ .. وقد نَفَد الصبرْ ،
وإنْ كاد ليقْتُلُنى هذا الثمرُ المرُّ ،
فقال : لئنْ اطلقتَ لسانكَ ثالثةً ..

فلانك انت الاشقى !
وزجرنا الدابة نحو الشرق .. وسرنا
حتى حين عبرنا مجمع ما بين الجبلين ،
وصرنا فى برزخ ما بين البحرين ،
انحسر بياض الماء ..
عن السمك الميت .. والاشلاء
وعن افئدة الشهداء
وكل بقايا الاسلحة وانصاف الاعضاء ..
فصحت به :
قد ادركنى الاعياء ..
فاخرجنى من هذى الفوضى والبعكوكاء ..
وقلت : لقد انست هنا شبح الحرب القادمة ،
ونيران الاعداء



فقال : نعم ..
فهنا يبدا سودد سيناء !
وقال : انظر :
هذا جندى يصعد بالعلم ..
وفى الخلف اناس كالسيل ،
يدوسون الارض .. ويتسعون ،
فهم وشامون ،
فصحت : الا مرحى
قال : وهذان هما الامريكيان الشوامان ،
فصحت : الا تبا
قال : وهذون بهودون ..
يجيئون على مهل .. ويعودون ،
فهم يتهادون .. ويهدون .. ويستهدون !
فصحت : الا سحقا ، قال : نعم سحقا
فضحكت ، وقلت :
الآن انكشف اللغز ،
فقال : سانبئك بتاويل الرمز :
فاما القوم الوشامون :
فمصريون مضيئون ،
واما الموسومون .. فمصريون ورائيون ،

فقلت :
وماذا من امر الجبل الخجل ؟
فقال : اسير ينشد من رق عتقا !
فتعجبت ، وقلت :
فماذا سيكون إذن من شان الرجل الوجل ؟
فقال :
سيرقى
وسيحلم فى حضرة محبوبته
يتهيأ ان تلقاه .. ويلقى
سيضم عليها الزندين
فتحمله فى آفاق العينين
وتسقيه إذا استسقى
وسياخذها من مجمع ما بين الجبلين
إلى برزخ ما بين البحرين
ويقرا فى عينيها :
سبع قصائد غرقى
سيكونان بمنجاة
فيحييها بقصائد مزجاة
فتدل عليه بسحر :
.. لايرقى الشعر إليه
وسحر : يرقى !

وقال : اشيم يا سيناء برقا
فقال : وكيف ؟ قلت : اقى ثراها
فقال : وفيم ؟ قلت : اليس قومى
فقال : توق قتلك . قلت : كم من
فليس ارق ـ قال ـ من ابن قوم

فقلت : اهيم يا سيناء شوقا
بقلبى ، إن شق القوم عقا
عليها استشهدوا شنقا وحرقا ؟!
اخى فرق سيلقى ما توقى
يقيم الحق ، قلت : وليس ارقى

رسالة لندن من : مجدي نصيف

وليم جولدنج .. الروائي البريطاني الحاصل على جائزة نوبل هذا العام



أحب التاريخ والبحر والأرض العربيّة

اثار حصول الروائى البريطانى وليم جولدنج على جائزة نوبل للأدب لهذا العام ضجة لم تحدث من قبل . الاعتراضات وعلامات الاستفهام جاءت حتى من رسميين وليس من النقاد فحسب . « جاء قرار الاكاديمية السويدية بمنح الروائى البريطانى جائزة نوبل فى الأدب كوقع الصاعقة على كل فرد تقريبا » هكذا علق المحرر الأدبى لمجلة تايم الامريكية . ادى هذا القرار إلى خروج واحد من أعضاء الأكاديمية الثمانية عشر (الذين يختارون واحداً من بين المرشحين لنيل الجائزة) فى سلوك لم يحدث ابداً من قبل ، إلى توجيه شكوى ضد القرار . لقد اعتبر آرثر لوندكفست (٧٧ عاما) « ان اختيار جولدنج للجائزة هو بمثابة « انقلاب » ووصفه بانه « ليس جديرا بهذا الاستحقاق » . رد لارز جيلينستاين السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية على اعتراضات لوند كفست بانه « شخص منعزل ثرثار » . ثم اعلن « ان اللجنة رات استحقاق وليم جولدنج لجائزة نوبل للأدب هذا العام عن جدارة ، والمفروض على اعضاء الأكاديمية الا يتحدثوا عن قراراتهم خمسين عاما » .

وربما كان هناك ايضا اخرون لم يقتنعوا بسرعة بسلامة الاختيار هذا العام . وقد شرح بيان الاكاديمية باسهاب مبررات اختيار جولدنج .

لاحظ البيان أن مؤلفات جولدنج « يمكن قراءتها باستمتاع وفائدة دون حاجة إلى بذل مجهود كبير للتعلم او الفطنة ودقة الملاحظة » المشكلة فى هذا البيان هى ان كلا من تلك الصفات صحيح ، وان شيئا اقل من ذلك يمكن ان يؤدى إلى منح هذه الجائزة التى تعد ارفع من اى جائزة عالمية اخرى فى هذا المجال .

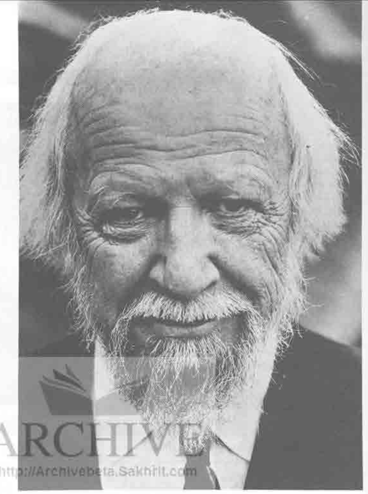
بعض الصحف البريطانية ذكرت صراحة انه كان من الضرورى منح الروائى الكاتب البريطانى جراهام جرين هذه الجائزة ، التى رشح لها ايضا خاصة وانه احتفل فى هذا الأسبوع بالذات بعيد ميلاده التاسع والسبعين . وكان من الممكن ان يتجنب جولدنج الذى يبلغ الآن الثانية والسبعين كلا من جائزة نوبل والخلافات التى احاطت بمنحها له . فقد قال جولدنج الذى يتميز بانه « رجل رقيق متواضع » . ذات مرة : « ان كتبى قد كتبت لهذا النوع من الناس الذين يعيشون مرحلة المراهقة المتاخرة » . وهذا التقييم الذاتى ماكر ، لان القراء الذين احبوا مؤلفاته ، اصبحوا طبقا لتقييمه من الأجيال التى تعيش « مرحلة المراهقة المتاخرة » .

كان آخر كاتب بريطانى منح جائزة نوبل للأدب هو ونستون تشرشل عام ١٩٥٣ ، وقبله منحت لكل من برتراند راسل ، والشاعر ت . إس اليوت (الأمريكي المولد) ، وجون جالزوورثى ، وجورج برنارد شو ، وروديارد كبلنج . اما فى عام ١٩٨١ فقد منحت الجائزة لالياس كانتى الكاتب البلغارى الذى يعيش فى بريطانيا .

عاش جولدنج طفولة مريحة وهادئة ، وكان والداه يريدانه ان يتخصص فى العلوم ، لكنه بعد عامين من الدراسة فى اكسفورد قرر أن يتحول إلى دراسة الادب الانجليزى . بعد انتهائه من مرحلة الدراسة الجامعية التحق بوظائف مؤقتة ، من بينها العمل فى احد المسارح المحلية . ونشر جولدنج وهو فى سن الثالثة والعشرين ديوانا من الاشعار ، نشرته له احدى دور النشر الاقليمية ، إذ انه لا يعيش فى لندن العاصمة حتى الآن ، فهو من ويلشاير حيث عاش معظم حياته ، وان كان قد ولد بمدينة كورنويل (ميناء ايضا على البحر) . وتعتبر ويلشاير من اجمل مناطق انجلترا .

كان هدف حياته المسرح . وقبل وبعد الحرب العالمية الثانية انغمس فى العمل بالمسرح فى شركات صغيرة ـ انتاجا وتمثيلا . وخلال الحرب خدم فى « سلاح البحرية البريطانى » ، على مدمرات وسفن حربية ، حتى أصبح قائداً لسفينة حربية صاروخية .

بعد الحرب عمل ناظرا لمدرسة واستمر فى هذا المجال حتى عام ١٩٦١ . انعكست



الروائى البريطانى وليم جولدنج الذى حصل على جائزة نوبل للأدب

هذه المرحلة على عمله الاول «سيد الذباب» "The Lord of The Flies" الذى نشره عام ١٩٥٤ . كان فى الثالثة والأربعين من عمره عندما نشر هذا العمل الذى يعتبر اول عمل روائى له . استقال بعدها ، لان دخله منها مكنه من ان يكرس وقته كله للكتابة ، فتوالت رواياته بعد ذلك . فى هذه الرواية يتصور جولدنج مجموعة من الصبية التلاميذ فى جزيرة معزولين بمفردهم ، دون مدرس او ناظر او مسؤول . وهو موضوع حساس ودقيق وتربوى ، لانه يعالج القيم والتقاليد والتصرفات والسلوكيات .

بعد ذلك توالت رواياته «الورثـة » (عام ١٩٥٥) ويمكن ان يطلق عليها انها رواية من القصص الخيالى العلمى حول الآثار ، لانها تحدث فى الايام الأخيرة من انسان نياندرتال . « بنشر مــارتن » (١٩٥٦) وكلها حوار داخلى لبحار يبدو انه فى لحظاته الأخيرة بعد ان تحطمت سفينته فوق الصخور . ثم « سقوط حر » (١٩٥٩) وفيها يبحث جولدنج قضية الخطيئة الأولى . بعد هذا الانتاج الغزير الذى جاء متتالياً بعد نشر عمله الأول صمت جولدنج عدة سنوات ، نشر بعدها روايته الخامسة «البرج» تروى محاولة راهب بناء برج فوق كاتدرائية وعناده وتصميمه حتى يحقق هدفه . ثم اصدر «الهرم» (١٩٦٧) روايته السادسة . بعد اثنى عشر عاما أصدر روايته الهامة «الظلمة المرئية» (١٩٧٩) عاد فيها مرة اخرى لدراسة الخير والشر عند الانسان . ثم روايته السابعة والأخيرة «شعائر العبور» (١٩٨١) وعاد فيها ليكرر موضوعه المفضل : الخير والشر فى الانسان . وقد نالت جائزة بوكر كافضل رواية عن عام ١٩٨١ . وهذه اول مرة ايضا فى تاريخ الأدب الانجليزى يحصل فيها روائى بريطانى حائز على جائزة بوكر ــ على نوبل .

يلاحظ النقاد فى رواياته انه يلجأ الى فترات تاريخية بعيدة ، بعضها يذهب الى الانســان الاول ، واخــرى الــى مصر الفرعونية . لكنها مع ذلك ليست روايات تاريخية باى حال ، إنها ليست اكثر من فترات رمزية ليناقش بحرية ما يريد ان يناقشه حول الخير والشر عند الانسان .

ولكن الذى لاشك فيه ان حلمه القديم الذى يريد ان يحققه الآن هو ان يسافر الى مصر ويمكث هناك فترة ليكتب عن تاريخها وثقافتها وتقاليدها . وهو يريد ان يكتب عمله هذا فى سفينة يتنقل بها من الاسكندرية فى النيل حتى اسوان ، إنه حلم قديم قد تمكنه قيمة جائزة نوبل (١٢٥ الف جنيه استرلينى) من تحقيقه . وهو يذكر ان محاولته الأولى فى الكتابة كانت وهو فى السابعة من عمره فقط . حاول كتابة قصة مسرحها مصر الفرعونية القديمة . انذاك اقتنع بعبث جهده خصوصا وانه «كان يعمل ــ حسب تعبيره ــ على تحريك شخصيات مصرية قديمة فى مناخ بريطانى خالص ، وكان الحوار بينها باللغة الانجليزية» .

السمة الثانية لأدب جولدنج ، ان البحر يلعب دوراً هاما فى رواياته . قد يكون السبب انه ولد قرب البحر وعاش طفولته هناك . وبعد ذلك ركب البحر فى الحرب العالمية الثانية . لقد ابحر كثيرا ، والتقطت ذاكرته صوراً كثيرة انعكست بعد ذلك فى رواياته ، لدرجة ان بعض النقاد يشبهه بالكاتب الامريكى هيرمان ميليفل مؤلف رواية «موبى ديك» بل ان بعضهم يقول ان جولدنج يبدو تجسيدا لشخصية العجوز فى رواية ارنست هيمنجواى «العجوز والبحر» ، خاصة حين يتجه الى البحر وهو يردد : «هذه الامواج ، اعماق البحر ، إنما تعكس لاوعينـا . نحن نرى اعماقنا ، نرى ماضينا الانسانى فى حركات البحر وانفاسه ، فى غضبه وفى هدوئه» .

ولعل اكثر الناس فرحا من البريطانيين هم ناشرو أعمال جولدنج . ماثيو ايفانز رئيس مجلس ادارة «فابر اند فابر» للنشر علق على الضجة المثارة بقوله :

ــ «إننى لا اعير اى انتباه لاتهامات عجوز سويدى فى الثامنة والسبعين من عمره . انه اهبل . يمكنه ان يقول ان جولدنج لا يهم القراء خارج بريطانيا . اما داخل بريطانيا ، فكلا !» .

ثم قال ان رواية جولدنج الأولى «سيد الذباب» باعت اربعة ملايين ونصف مليون نسخة ، منها ثلاثة ملايين ونصف مليون خارج بريطانيا . اما مجموع ما تم طبعه وبيعه من رواياته السبع كلها ، فقد بلغ اكثر من عشرين مليون نسخة .



بدر الدين أبو غازي

نموذج فريد للمثقف العربي

بقلم: فتحي رضوان

ليس ثمة شك فى ان بدر الدين ابو غازى هو نموذج لا نظير له ولا ند بين المثقفين وحملة الاقلام فى العالم العربى .

فهو رجل قانون بالدراسة والمؤهل الجامعي ، وهو رجل ضرائب وتشريع مالي بالوظيفة التي تدرج في مراتبها ودرجاتها من ادناها الى اعلاها ، ولكنه مع ذلك استطاع ان يحتل مكانة لم ينافسه فيها ، ولم يزاحمه عليها احد ممن يكتبون الكتب او يراسلون الصحف ، تلك هي مكانة الناقد في مجال الفن التشكيلي . صحيح ان في حياة الأدب والفكر ابناء ورثوا عن ابائهم تركة ادبية او فنية ، فانتسبوا الى الفرع الذي يمارسه ابوهم ، وان لم يكن في مثل قدرته واستعداده ، ف (محمد البحر) مثلا ، اعتبر نفسه الوصي على فن ابيه الملحن العظيم (سيد درويش) ، وراح يغني ادواره وطقاطيقه ومقطوعاته المسرحية ، ودخل في خصومات عديدة مع افراد وهيئات ، من فرط تحمسه لتركة ابيه ، ولكن بدر الدين ابو غازي لم يزعم قط انه فنان ، وان في قدرته ان يقدم للناس اعمالا في الحفر او الرسم او الزخرفة لمجرد ان اول مثال مصري في العهد الحديث كان خاله .

ولم يحب بدر الدين ابو غازي وحده (محمود مختار) المثال الرائد في مصر التي اعقبت ثورة سنة ١٩١٩ ، ولم يحبه فقط الرسامون والحفارون الذين تاثروا به ، وحذوا حذوه ، بل احبته مصر كلها ، واعتبر واحداً من الشخصيات الهامة التي برزت مع انفجار هذه الثورة من الخطباء والشعراء والمحامين والكتاب، فقد قدم نفسه لأمته ، لا بوصفه حفاراً ، بل بوصفه صاحب فكرة البعث القومي في مجال الفن الذي قدمته مصر بدورها الى الانسانية منذ بضعة آلاف من السنين ، والذي تجسد في بضعة آلاف من التماثيل الرائعة والنادرة من الجرانيت والبازلت والحجر الجيري ، فكانت بداية لفن رائع ورصين قادت به مصر خطى الفن في بلاد اخرى جاورت مصر في حوض البحر الابيض المتوسط ، وتاثرت بها ، وتعلمت منها .

لقد اقترن اسم محمود مختار المثال المصري الاول بتمثال عرف فيما بعد بتمثال نهضة مصر .ولم يكن التمثال عند المصريين عملا فنيا جديداً تبدا به مصر صفحة جديدة في جهادها الثقافي والحضاري الذي بشر به الاجداد والآباء منذ الحقب والعصور ، بل كان رمزاً سياسيا بحتا .

وتبدا الحكاية قبل ثورة سنة ١٩١٩ ببضع سنوات ، فقد مات زعيم مصر الشاب وباعث نهضتها الوطنية مصطفى كامل في العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ . وكانت الوفاة بعثا وحياة ، لان مصر خرجت لأول مرة ، بلا دعوة من احد ، ولا تحضير ولا اعداد من حزب او هيئة ، لتودع جثمان زعيمها الذي احبها حبا ملك عليه زمام مشاعره وعواطفه ،فاصبح بحق كما وصفه امير شعراء مصر احمد شوقي بقوله (حبيب مصر وشهيدها) . فقد تغنى بامجاد وطنه واثاره ، ومائه وسمائه ، وبره وبحره ، وماضيه وحاضره ، وفنه وعلمه ، ورجاله وابطاله ، غناء عذبا رقيقا حارا الهم قلوب الملايين من ابناء مصر ، بحب في نفس حرارة وتدفق وعمق حب مصطفى كامل .

ولذلك فقد تسابقت الامة ـ ولاول مرة ايضاً ـ الى الاكتتاب لصنع تمثال للزعيم الشاب الذي غادر دنياه وهو بعد في الرابعة والثلاثين من عمره وجمعت البلاد بضعة الاف من الجنيهات قدمتها لفنان فرنسى هو المثال (سيفين) ، ليصنع لمصطفى تمثالا .

واهل الفن في الغرب من اشد الناس افتناناً بالفن المصري القديم . لذلك بدا للمثال الفرنسي ان يدخل في تمثال مصطفى كامل عنصراً من الفن الفرعوني ، فجعل مصطفى كامل يستند بيده الى راس ابي الهول . وكانه يحييه . وبقيت هذه الصور في خيال محمود مختار . فلما قامت الثورة سنة ١٩١٩ وراي وجوب تخليدها بتمثال يوضع في احد الميـادين فى القاهرة ، اقتبس نفس الصورة ، بعد أن احل فتاة ريفية محل مصطفى كامل ، وجعل هذه الفتاة توقظ ابا الهول رمزاً ليقظة مصر وبعث ماضيها،

وتحمس المصريون للنموذج الذي عرض لهذا التمثال ، واعتبروا التبرع له ، ثم اقامته بعد ذلك ، جهاداً وطنيا ، وذاعت صورة هذا التمثال واستعملها عدد كبير من المتاجر والمصانع المصرية التي انشئت في اعقاب الثورة ، ونظمت فيه الاشعار والازجال ، وحلى الشباب في المظاهرات والمواكب الوطنية عرى ستراتهم بدبابيس تحمل صورة مصغرة لهذا التمثال الجميل حتى كاد يكون رمزاً لثورة سنة ١٩١٩ . ولما تعثر صنع التمثال واقامته في احد ميادين القاهرة بسبب السلطات التي كانت موالية للانجليز ، وعاملة بتوجيهاتهم ، اعتبر التمثال والدفاع عنه والعمل على تحقيقه واخراجه جزءاً من جهاد مصر الوطني العام .

وبقي هذا الشعور يتعمق قلب المصريين ، ويشغل خاطرهم حتى تم بناء هذا التمثال ، و على صورة جعلته اقرب الى قلب المصريين ، فان (مختار) ابى ان يكون التمثال المصري الاول في العصر الحديث من البرونز ، واصر ان يكون من الجرانيت الذي نحتت منه تماثيل مصر القديمة ، وقد كانت هذه محاولة مرهقة للغاية وبكلفة اضعاف اضعاف صنع التمثال من البرونز . وقد كشفت هذه المحاولة عن جانب رائع من الحضارة المصرية القديمة فقـد كان الواجب على (محمود مختار) ان يستعين في نحت صخر الجرانيت (بازميل) من حديد ، لصلابة الصخر ، وقد ثبت ان الأزميل المصنوع من الحديد لا يحتمل الا طرقتين او ثلاثا ، ثم ينكسر ، فترتب على المثال المصرى ان يقيم مصنعـا لصهر وصب (الأزاميل) لا ينكسر منها واحد حتى يجد غيره .. وهكذا الى أن تم صنع هذا التمثال .

وكان التمثال قد استحال الى بناء مصر الجديدة حقا لا مجازا ، فقد جاهد المثال والذين معه في صنع التمثال ، وتحملوا الكثير ، حتى تم صنعه من نفس المادة التي صنع منها مثالو مصر القديمة اثارهم الراقية والباقية .

ولكن بقي سؤال : كيف كان مثالو مصر القديمة ينحتون من هذه الصخور الصلبة كالجرانيت والبازلت ولم يكن الحديد قد عرف ، ولم تكن لديهم هذه للصانع التى يصهر فيها الحديد ثم تصب الأزاميل ؟

ولكن لم يكن هذا سوى جانب واحد من جوانب حضارة مصر القديمة باسرارها الفنية والعلمية الغامضة ، اسرار بناء الاهرام وتحنيط جثث الموتى والنقش على جدران القبور فى الظلام الذي لا يعرف احد كيف بدده الفراعنة ، وعلى اي نور تم هذا النقش الخالد حقا ، فقد قاوم البلى قرونا بعد قرون .

في هذا الجو العبق بذكريات المجد المصري ، وبعطر الفن الجميل ، بايات الحب للوطن ، وبالاستبسال من اجل بعث الثقافة المصرية ، في هذا الجو الروحي الفني ، نشا بدر الدين ابو غازي ورأى له (خالا) ليس لاحد من زملائه في الحي او في المدرسة خال او قريب مثله . ففي تلك الايام لم يكن هناك حفارون ولا رسامون ، ولم يكن للفن ذكر ، ولا لآثار مصر سواء كانت فرعونية او عربية ، صدى لا في التربية ولا فى التهذيب .

ولعله تابع خاله الذي كان يرسل على ظهره ضفائر من الشعر الاسود الناعم المسترسل ، والذي كان يبدو على قسمات وجهه ، ونبرات صوته وطريقة مشيته وجلسته ، انه مشغول القلب بهموم لا تثقل احداً سواه . وكان الكثيرون ممن يترددون على خاله في

بدر الدين أبو غازي

نموذج فريد للمثقف العربي

مرسمه وفي بيته اجانب ،يتحدثون معه في شئون الفن والثقافة ، ويحملون معهم كتبا ، فيها من الصور الفنية ، ومن صور التماثيل واللوحات الفرعونية والعربية ، ما أيقظ احساسه بالفن وادراكه لمعنى تاريخ بلاده . فنما وهو اكثر نضجا من سنه ،واكبر من اخوانه ، فلما مات خاله ، احس بالمصاب ، فزاد الحزن الذي ران على العائلة من رجولته ، ومنحه صبرا وثباتا . فلما راى ان اقرب الناس اليه يحاولون نهب تركة خاله بعد ان كانوا يتحاشون الاتصال به ويرفضون انتسابه اليهم لان الفنان في ذلك الحين كان سبة ولم يكن شرفا . فلما عظم مقام مختار ، وذاعت شهرته ، وتردد اسمه في الصحف وانتبه الشعب الى معركة التمثال ، واقبل عليها ، واهتم بها ، عادوا الى مختار وتقربوا اليه ، واظهروا له الحب والود . فلما مات وخلف وراءه بعض المال ، الذي كان دينا في ذمة الحكومة مقابل تمثالين كلفته الحكومة صنعهما لسعد زغلول ثم فسخت العقد كرها في سعد ، لان الحكومة التي تعاقدت مع مختار والتي كانت تناصر سعدا سقطت وحل محلها غيرها ، على كل حال كان لمختار تركة ، وان كانت في ذمة الحكومة فجاء ورثة مختار ، واستلموا هذه التركة من الحكومة ، ثم ابوا ان يعطوا منها شيئا لشقيقتي مختار ، عمتي بدر الدين ابو غازي ، فسقط على كتف بدر الدين عبء الدعوى ضد هؤلاء الاقارب أكلي الحقوق .

وكان بعد طالبا فى كلية الحقوق، فعرف نصيبا جديدا من الهم ولكن هذه المحنة اتاحت لي فرصة التعرف على بدر الدين أبو غازى وهو فى مطلع شبابه ، فقد لجا الي كمحام . وقد طال نظر هذه الدعوى امام المحاكم كعادة القضايا فى بلادنا ، وعلى طول الأيام او قل السنين لم تتغير خصال بدر الدين وفضائله ، فقد بقي طوال هذه المدة غير القصيرة صابرا لا يشكو ، ثابتا لا يهتز ، باسما لا يقطب جبينه ، ولا تصدر عنه كلمة غليظة أو عبارة جافية .

وتطورت القضية اذ جاء لجموع المعتدين من اقارب مختار رجال ذوو نفوذ ، تدعوهم إلى مخاصمة بدر الدين وعماته ، والطمع فى مالهم ، دوافع غير الطمع لا تشرف اصحابها . فتحولت القضية الى ما يشبه الصراع السياسى ، ووصل زعيم هذا الفريق المعتدى الى أكبر المناصب القضائية ثم اختير وزيرا ، ونحن لا نابه لكل هذا ونواصل جهادنا فى نطاق القانون ، وبدر الدين يثبت اقدامى بابتسامته التى لا تفارق شفتيه ، وثقته بمحاميه التى لا تتزعزع ، حتى كتب له النصر كاملا واستوفى حقه غير منقوص .

الا ان بدر الدين ورث عن خاله ـ غير هذا النزاع ـ حبه للفن ـ كما سبق القول ـ وكان يمكن ان يحب الفن ، فيتذوقه ويروح الى المعارض فيشاهدها والى الكتب التى تتحدث عنه فيطالعها ، ولكنه فعل ذلك ، واضاف إليه انه قرا مراجع الفن التشكيلى ، واستوعبها ، واحاط بها ، وتوسع فى اقتنائها ، حتى اصبح عليما بدقائق هذا الضرب من الفن ، فاخذ يكتب شارحا لمناهج ومذاهب الفن فى الحفر والرسم والزخرفة ، ثم اخذ يقدم كبار الفنانين وخصائص آثارهم ، ودقائق حياتهم ، حتى اصبح مرجعا من مراجع هذا الجانب من الثقافة الحديثة ، تلتمس مقالاته ودراساته المجلات الرفيعة ، ثم انتقل بعد ذلك الى مرحلة اخرى ، فبات ناقدا للفن التشكيلي يبصر الفنانين بما يجب ان يتبعوه ، وما يجب ان يتحاشوه ، وكاد ينفرد بهذا الجهاد حتى اوشك ان يكون وقفا عليه . فكان بدر الدين ابو غازي نسيج وحده حقا .

ولم يخرجه علمه العميق باسرار الفن التشكيلي الى الادعاء بانه فنان تشكيلي ، فقد بقي في حدود علمه الذي حصل بالاجتهاد والمثابرة . وتوالت كتبه عن مختار ويوسف كامل ومحمود سعيد ، وعبد القادر رزق وراغب وغيرهم . ثم اختير رئيسا لجمعية محبي الفنون الجميلة ، فجعل من مكتبه فيها معهدا للدراسات الفنية وملاذا لكل طالب عون من الفنانين والناشئين وندوة لاهل الأدب والفكر ، وكبر مقامه وذاع اسمه ، ولكنه بقي على تواضعه ، وعلى هدوئه ، وعلى بساطته ، وبقيت الابتسامة الخجولة على شفتيه يقابل بها كل الناس ، في كل الظروف لا يضيق باحد ، ولا يعزف عن احد ، قريبا الى كل الناس حبيبا الى كل القلوب حتى امتحنه الله باقسى ما يمتحن به الانسان فقد ثكل في اكبر ابنائه ، فقد صدمته سيارة ، وقضت عليه يوم عيد ميلاده . وتقاطر الناس على جنازة الشاب الذي اسماه ابوه باسم خاله (محمود مختار) ، كما لم يفدوا الى جنازة شهدتها القاهرة ، وحسبت ان البسمة التي ازدان بها وجه بدر الدين ستختفي وان الصبر الذي تحلى به سيتخلى عنه ، وان احتماله للناس سيتبدد ، فاذا به الطف مدخلا الى نفوس الناس ، واقرب الى قلوب الناس ، واصبحت مجاملته لمن يحتاج الى المجاملة ضربا جديدا من ضروب الفن التي يعرفها ويتذوقها بدر الدين ابو غازي .

وكان بدر الدين يفعل شيئا اخر في نفس الوقت ، هو تدرجه في العلم بالقانون ، وبالقانون المالي ، حتى اختير أمينا عاما مساعدا لشئون الوحدة العربية الاقتصادية .

كان طبيعيا ان يختار وزيرا للثقافة وان كانت الظروف لم تتح له أن يسدي الى الثقافة في مصر وفي البلاد العربية ما كان يمكنه ان يسدي اليها لامور خارجة عن عمله ، الا انه لم يهتم بالمنصب ، ولم يثقل باله به ، وخرج الى الحياة العامة في أوسع ساحاتها ، يعمل فى دابه المعهود ، ولطفه المعروف ، وذكائه الذي يعينه على الابداع والتفوق ، وسعة البذل .

وفيما كان الجميع يشعرون بالامل لوجوده بينهم ، وبالفرح كلما راوه في مجال من مجالات نشاطه المتعددة المتنوعة ، اذا بهم يسمعون فجاة بانه غادر دنيانا . فوجم الذين عرفوه واحبوه ، وغرقوا في حزن لا نهاية له ، وقد هزتهم الصدمة حتى لم يبق في وسعهم حتى البكاء .

وقد امتحنني الله إذ رايته وهو يتهيا للسفر للعلاج العاجل فى امريكا ، فرايت ابتسامته تتالق على وجهه ، وان كان كل شيء فيه يقول انا اعلم انني ماض ، فلا تحزنوا ، فانني معكم ، ترونني وتحسون بي وتبدو لكم ابتسامتي ، لكيلا يغلبكم الياس ويطغى عليكم الالم .

فتحي رضوان



٣ - ٥ صفر ١٤٠٤هـ • ٧ - ٩ نوفمبر ١٩٨٣م

قادة مجلس التعاون في مؤتمرهم التاريخي بالدوحة



الدورة الرابعة للمجلس الأعلى

لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

قضايا الخليج والأمة العربية

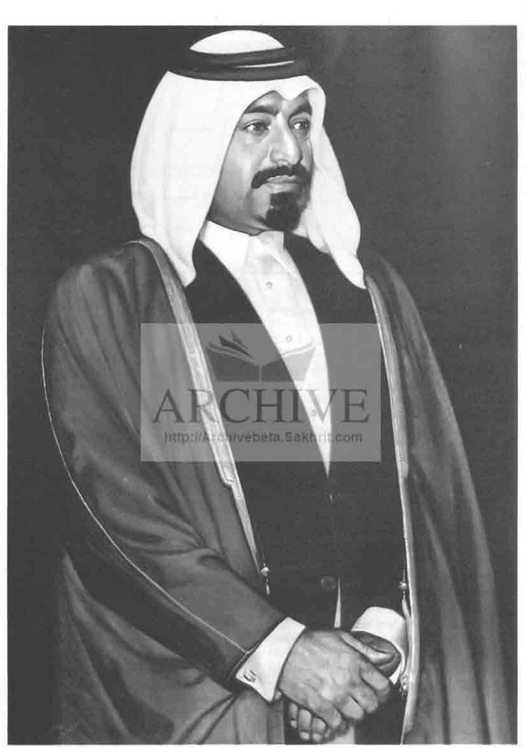
في حديث سياسي شامل لسموّ أمير البلاد المفدّى



■ قيام المجلس برهان على قدرة العرب على تجميع كلمتهم

■ دول مجلس التعاون تتخذ مواقف موحّدة تجاه القضايا العربية والدولية

فى الأيام القليلة السابقة لعقد الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بالدوحة أدلى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى بحديث شامل بالغ الأهمية للصحافة المحلية فى قطر حول القضايا الحيوية الراهنة على الساحتين الخليجية والعربية ، وفى هذا الحديث الهام حدد سمو الأمير السياسة المبدئية لدولة قطر فى القضايا الرئيسية التى تواجه المنطقة والوطن العربى كله ، وهى سياسة تقوم على مبادىء ثابتة واضحة ، فى العمل على وحدة الخليج ، والحرص على التضامن العربى ، ودعم كل الخطوات التى تؤدى إلى حل المشكلة الفلسطينية حلا عادلا ، يضمن الحقوق المشروعة الكاملة للشعب الفلسطينى كما أكد سمو الأمير على ضرورة إنهاء الحرب العراقية الايرانية ، وإحلال السلام والمفاوضات محل الصراع الدموى القائم الآن والذى يهدد المنطقة بالمخاطر ، ويضعف وحدة العرب والمسلمين فى وجه العدو الصهيونى المشترك ، وقد لقى حديث سمو الأمير المفدى اهتماما واسعا من اجهزة الاعلام العربية ووكالات الانباء الدولية ، وهذا هو النص الكامل لحديث حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى :



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر

■ مجلس التعاون يتخذ موقفاً حازماً في وجه نظرية فراغ القوة صوناً لاستقلال دول المنطقة

■ أمن الخليج واستقراره هما مسئولية دوله وشعوبه

■ كان للمجلس جهود كبيرة في خدمة القضايا المصيرية العربية والإسلامية وبخاصة القضية الفلسطينية لب النزاع في الشرق الأوسط

السؤال الأول :

● فى الوقت الذى تستعد فيه الدوحة لاستضافة مؤتمر القمة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية .. هل تتفضلون سموكم باعطاء لمحة عما حققه المجلس حتى الآن ؟ وعلى ضوء ذلك كيف تنظرون سموكم إلى مستقبل المجلس ؟

الجواب :

– من منطلق الروابط الاخوية الوثيقة التى تجمع بين شعوبنا العربية الخليجية ، كانت هذه الشعوب تشعر دائما ان من الطبيعي بل الحتمي ان يقوم بينها من التعاون والتكامل ما يمكنها من تحقيق ما ترجوه من قوة ورخاء وامن واستقرار . ولقد جاء انشاء مجلس التعاون الخليجى محققا لهذه الأمنية الغالية التى طالما تطلعت اليها تلك الشعوب . بل انه حدث عظيم في تاريخها حيث قد ادخلها فعلا الى مرحلة جديدة قوامها توحيد الصف وتضامن الجهود من أجل العمل الجماعي المشترك .

ولقد اكتسب المجلس اهمية خاصة بقيامه فى وقت اشتدت فيه الشكوك للاسف الشديد فى قدرة العرب على جمع كلمتهم وتضامن جهودهم بسبب تصاعد خلافاتهم ، فجاء برهانا عمليا على خطأ تلك الشكوك .

وليس من شك فى ان المجلس استقطب اهتمام العالم باسلوبه المتميز فى تنظيم سبل تطوير التعاون بين الدول اعضائه بما يتلاءم مع واقع حاجاتها وامكاناتها . ولقد كان نجاحه فى تحقيق إنجازات هامة فى شتى المجالات خلال فترة وجيزة لا تزيد عن عامين ونصف عام مدعاة لتقدير العالم العربى والاسلامى والدولى على السواء . وقد تكفى الاشارة إلى اهم ما تم من هذه الانجازات فى مجالين هما المجال السياسى والمجال الاقتصادى .

اما فى المجال السياسى :فقد حقق المجلس التنسيق المنشود بين دوله من خلال الاتصالات المباشرة والاجتماعات المتصلة ، واصبحت هذه الدول تتخذ مواقف موحدة تجاه القضايا العربية والدولية . وبين أهم هذه المواقف – على سبيل المثال – تأييد مشروع السلام الذى تبنته الدول العربية مجتمعة وظهرت بذلك مبادرة عربية ، اجمع العرب لأول مرة عليها ، من اجل احلال السلام القائم على العدل الذى تنشده وينشده العالم كله معنا لمنطقتنا .

وصونا لاستقلال دول المنطقة وتجنبا للتدخل الأجنبي في شئونها وتسرب نفوذه إليها ، اتخذ مجلس التعاون موقفا حازما فى وجه نظرية فراغ القوة ، واعلن رفضه لها مؤكدا ان امن الخليج واستقراره هما مسئولية دوله وشعوبه . ولقد حرص المجلس على ان يقرن هذا الاعلان باتخاذ كل ما يستطيع من خطوات عملية تتفق وتصميم دوله على الاعتماد على قوتها الذاتية فى الدفاع عن سيادتها وحقوقها ومصالحها وصيانة امن المنطقة وسلامتها . ولقد لقي موقف المجلس تجاه هذه المسالة الحيوية تاييد القوى السياسية المحبة للعدل والسلام فى العالم .

ولقد كان للمجلس جهود كبيرة فى خدمة القضايا المصيرية العربية والاسلامية ، وبخاصة القضية الفلسطينية لب النزاع فى الشرق الاوسط ومحور ازمته ، حيث قام بدور هام فى تاكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى تقرير مصيره بحرية تامة واقامة دولته المستقلة



على ارض وطنه بقيادة منظمة التحرير ممثله الشرعي ، والعمل على كسب اكبر دعم دولي ممكن لتلك الحقوق .

ويواصل المجلس مساندة الشعب اللبناني لايجاد حل يضع حداً لتقاتل ابنائه وينهي الاحتلال الاسرائيلي الغاشم لاراضيه ويحفظ له استقلاله وعروبته ووحدته .

وقياما بواجبها نحو امتها العربية والاسلامية ، بذلت دول المجلس وما تزال تبذل جهوداً كبيرة مثابرة من اجل تحقيق التضامن العربي الذي تعتبره هدفاً اساسياً للمجلس . فكانت وساطاتها المتصلة لتنقية الاجواء بين بعض الدول العربية الشقيقة والبعض الآخر . وحرصاً من المجلس على احلال السلام في المنطقة واقامة علاقات الاخوة وحسن الجوار بين دولها ، بذل المجلس جهوداً ناجحة موفقة لانهاء النزاع بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . كما بذل المجلس وما يزال يبذل جهوداً متواصلة لايقاف الحرب العراقية الايرانية .

واما في المجال الاقتصادي : فقد كان اهم الانجازات ابرام دول المجلس فيما بينها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ومباشرتها فعلا في تنفيذ بعض احكامها الهامة . ومعلوم ان القوة الاقتصادية هي الدعامة الاساسية لتقدم الدول وحماية استقلالها وصيانة امنها واستقرارها . تلك هي بعض الانجازات والجهود الموفقة التي حققها المجلس في الفترة القصيرة التي انقضت منذ انشائه . وانني لوطيد الثقة ان التفاف شعوب المنطقة حول المجلس الذي حقق قيامه اغلى امانيها، وتضافر الجهود الجادة المخلصة التي يبذلها قادته في سبيل السير قدما بمسيرته نحو التكامل المنشود كفيلان بضمان توفيق المجلس في متابعة بلوغ اهدافه السامية .

السؤال الثاني :

● تحقيق امن واستقرار الخليج من الاولويات السياسية لدول المنطقة .. كيف ترون السبيل الى ذلك ؟

الجـــواب :

ــ رايي في اختصار شديد ، ان تحقيق الامن والاستقرار في المنطقة يتطلب تطبيق مبـــادىء لا يمكن تطبيقها الا بالعمل الجماعي وتنسيق سبله بين دولها . واهم تلك المبادىء هي ان الامن في المنطقة يشكل كلا لا يتجزا ، فاذا اختل في اي جزء منها تسبب ذلك في الاخلال به في الاجزاء الاخرى ، وان الحفاظ على الامن والاستقرار في المنطقة مسئولية ابنائها الذين يرفضون كل تدخل اجنبي في شئونهم ويتمسكون بالاعتماد على قوتهم الذاتية للاضطلاع بتلك المسئولية بعيداً عن صراعات القوى الكبرى ، واخيراً وليس آخراً ان هناك ترابطاً وثيقاً بين استتباب الامن والاستقرار والجهـود المشتركة الواجب بذلها في سبيل تحقيق مستوى من التقدم والتنمية يكفل للمواطنين في كل المنطقة حقهم في العدل والطمانينة والحياة الكريمة . ولاشك ان مجلس التعاون هو خير ضمان لوضع هذه المبادىء موضع التنفيذ على النحو الذي يكفل تحقيق الغايات السامية التي نستهدفها .

■ لا قوة للاقتصاد بغير أمن قوي .. ولا قوة للأمن بغير اقتصاد راسخ يسانده ويدعمه

■ توحيد العملة أمر لا بد أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ في المستقبل عملاً بأحكام الاتفاقية

■ تطورات الحرب العراقية الإيرانية في هذه المنطقة الاستراتيجية لا تهدد فقط طرفي النزاع وإنما تهدد المنطقة بأسرها

السؤال الثالث :

● **يقال ان هناك تيارين يتجاذبان اهتمامات قادة مجلس التعاون ، ينادى احدهما باعطاء الاولوية للتعاون العسكرى ، فى حين يركز الآخر على الناحية الاقتصادية .. ما رأى سموكم فى ذلك ؟**

الجـــواب :

ـ لا صحة لوجود هذين التيارين . وليس ادل على ذلك من اننا فى ذات الوقت الذى بدانا نطبق فيه احكام الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، شرعنا ايضاً فى تطبيق التعاون العسكرى الذى بدت صورة مشرقة له فى مناورة درع الجزيرة وهى المناورة التى اود ان اعرب عن بالغ سرورى بما تاكد من نجاحها فى تحقيق اهدافها واثبات حسن تدريب قواتنا المسلحة الخليجية وقدرتها القتالية وكفاءتها فى استخدام الأسلحة المتقدمة .

ولاشك ان هذه المناورة باعتبارها خطوة اخرى فى اطار توثيق اواصر التعاون العسكرى بين جيوش دول المجلس ، تشير الى تصميم هذه الدول على الوقوف صفا واحداً للدفاع عن اراضيها وحماية ثرواتها وتوفير الأمن والاستقرار لشعوبها .

ان التعاون العسكرى والتعاون الاقتصادى سبيلان اساسيان للتكامل الذى ينشده المجلس .

ولا مجال للحديث عن الأولويات فى شانهما ، لانه لا قوة للاقتصاد بغير امن قوى ، ولا قوة للأمن بغير اقتصاد راسخ يسانده ويدعمه .

السؤال الرابع :

● **هل من ضمن برامج او افكار قادة مجلس التعاون اقامة سوق مشتركة او ايجاد عملة موحدة يطلق عليها مثلا اسم الدينار الخليجى ؟**

الجـــواب :

ـ منذ ان ابرمت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين الدول اعضاء مجلس التعاون اصبحت هذه الاتفاقية برنامج التعاون الاقتصادى بين هذه الدول فى سعيها لتحقيق تكاملها الاقتصادى . والسوق المشتركة ـ كما هو معلوم ـ خطوة متقدمة على طريق هذا التكامل . واتفاقيات السوق المشتركة تهتم بدرجة كبيرة بالنص على ازالة الحواجز بين دول اعضائها ، وهو ما فعلته اتفاقيتنا الاقتصادية الموحدة ، بل ان كثيراً من هذه الحواجز قد زال فعلا . ويمكن القول بانه عندما يتم تطبيق احكام الاتفاقية بصورة كاملة ، سوف تصبح دول مجلس التعاون سوقاً واحدة .

اما بالنسبة لموضوع العملة ، فقد نصت الاتفاقية على وجوب العمل على توحيدها ليكون هذا التوحيد متمماً للتكامل الاقتصادى المنشود . وبالتالى فان توحيد العملة امر لابد ان ياخذ طريقه الى التنفيذ فى المستقبل عملا باحكام الاتفاقية .

وسوف يتم ذلك بعد ان تتم الدراسات والاجراءات اللازمة لدخول هذه المرحلة العليا من مراحل التكامل الاقتصادى .



السؤال الخامس :

● المساعى العديدة التى بذلت لوضع حد للحرب العراقية الايرانية ال جميعها الى الفشل .. الا ترون سموكم نهاية لهـــذه الحرب ؟

الجـــواب :

ان هذه الحرب سوف تنتهى بلاشك . ولكن الذى نرجوه هو سرعة انهائها .

لقد دخلت الحرب العراقية الايرانية للاسف الشديد عامها الرابع ، تلك الحرب التى تدور بين ابناء بلدين جارين مسلمين تربطهما اوثق الروابط والتى لا يمكن ان يترتب على استمرارها الا المزيد من اهدار أرواح الالاف من هؤلاء الاشقاء وتبديد موارد البلدين وطاقاتهما التى كان يجب ان توجه لتنمية ورخاء شعبيهما وللاسهام فى مواجهة المخططات العدوانية والاطماع الاجنبية التى تهدد المنطقة .

ان تطورات هذه الحرب فى هــــذه المنطقـة الاستراتيجية البالغة الأهمية من العالم لا يهدد فقط طرفى النزاع،وانما يهدد المنطقة باسرها . واننا اذ نقدر كل التقدير جميع الجهـــود الدوليـــة والاسلامية والعربية التى بذلت لانهاء هذه الحرب وكان آخرها المسعى الذى قامت ومازال تقوم به دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، لناسف اشد الأسف لعدم نجاحها فى تحقيق هدفها . واننا لنعرب عن تقديرنا لما ابداه العراق من تجاوب مع جهود الوساطة ، ونناشد الدولة المسلمة الجارة ايران ان تحذو حذو العراق ، عملا بتعاليم ديننا الحنيف الذى يدعو للسلام والوئام ونبذ العداوة والخصام ، وتحقيقاً لآمالنا جميعا فى ان تكون القدرات البشرية والامكانات الاقتصادية التى يتمتع بها العراق وايران مصدر خير لشعبيهما،وشعوب المنطقة والعالم اجمع .

ولما كان استمرار الحرب العراقية الايرانية يهدد السلام والأمن الدوليين ،فان واجب المجتمع الدولى كله ان يبذل مزيداً من الجهود الجادة لوضع حد لهذه الحرب .

السؤال السادس :

● سمو الأمير ، الحديث عن لبنان يثير الحزن والالم فى النفس .. فما هى توقعات سموكم لـــه ؟

الجـــواب :

ـ لقد تابعت امتنا العربية باشد الاسى احداث لبنان التى استمرت طوال ثمانية اعوام وتطورت الى حرب اهلية الحقت بهذا البلد الشقيق وشعبه العزيز أعظم الاضرار والدمار وعصفت بامنه وسلامه وهزت استقلاله وسيادته . واننا لنرجو ان يكون اتفاق وقف اطلاق النار الذى تم التوصل اليه نهاية للماساة اللبنانية،وفاتحة مرحلة من الحوار اللبنانى الوطنى المسئول لاعادة الوفاق اللبنانى الشامل الى سابق عهده ، فينعم لبنان من جديد

■ مشروع السلام العربي يجسّد فكرة السلام العادل الشامل الذي يتطلع إليه الشرق الأوسط

■ الخلاف الذي دبّ بين الإخوة الفلسطينيين على النحو المؤلم الذي نراه يهدد وحدتهم التي تشكل قوّتهم في كسب قضيتهم

بوحدته وترابطه الوطنى ، وامنه واستقراره اللذين يرتبط بهما امن واستقرار وطننا العربى الكبير ، ويعود هذا البلد العربى الاصيل سيرته الأولى ركيزة راسخة من ركائز امتنا العربية وعونا لها على الدفاع عن حقوقها وبناء السلام العادل الشامل الذى تنشده للمنطقة والذى يرتهن به السلام العالمى .

وفى هذا المقام ، لابد لي من التنويه بالجهود العظيمة المثابرة الجديرة باعمق التقدير التى بذلها صاحب الجلالة الأخ الملك فهد والتى تم التوصل للاتفاق بفضلها .

وان دولة قطر لتقف مع امتها العربية مطالبـــة بالجلاء الاسرائيلى الفورى عن الاراضى اللبنانية لانهاء العدوان المنكر الذى اقدمت عليه اسرائيل فى العام الماضى بغزو لبنان . وتناشد الاسرة الدولية، وبخاصة القوى العظمى التى تحمل اكبر مسئولية عن حماية الشرعية الدولية ان تقوم بواجبها لوضع حد لانتهاك اسرائيل الغاشم لاستقلال وسيادة هذا البلد الشقيق .

السؤال السابع :

● مع تطور الاحداث والمواقف هنا وهناك فى منطقة الشرق الأوسط الا زلتم ســموكم تعتبرون القضية الفلسطينية مشكلة المشاكل فى المنطقة ؟ أم انها باتت تحتل مكانا ثانيا ، او ربما ثالثا فى سلم الأولويات العربية التي تحتاج الى حل مُلِحّ ؟

الجـــواب :

ـ القضية الفلسطينية هى القضية العربيـــة المصيرية ، ولقد بات من المسلمات ان المجتمع الدولى كله يجمع على ان هذه القضية هى جوهر الصراع فى الشرق الأوسط ومحور مشكلاته ، وان السبيل الأوحد لانهاء هذا الصراع هو حل هذه القضية حلا عادلا شاملا يعيد للشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة ، وفى مقدمتها حقه فى اســترداد وطنه المغتصب وحقه فى تقرير مصيره بحرية تامة واقامة دولته المستقلة على ارض هذا الوطن .

بل ان الراى العام العالمى منعقد على ان استمرار بقاء القضية الفلسطينية دون التوصل الى ذلك الحل يعرض السلام والأمن فى المنطقة وبالتالى السلام والأمن الدوليين لاجسم الاخطار . وقضية هذا شانها مكانها الطبيعى هو مكان الصدارة فى الأوليات العربية بل الدولية .

واسرائيل تعرف تماما هذه الحقيقة ، ولذلك تحاول ـ عبثا ـ تحويل الانتباه عن القضـــية الفلسطينية الى قضايا اخرى كما حدث مثلا فيما اقدمت عليه فى العام الماضى من غزو لبنان . ولاشك ان هذا الغزو يترجم النزعة الاسرائيلية العدوانية ويشكل جزءا من مخططاتها التوسعية ، ولكنه فى ذات الوقت ينهض دليلا على ان القضـــية الفلسطينية هى لب الصراع فى الشرق الاوسط .

السؤال الثامن :

● مضى عام على تبنى مشروع السلام العربى ومازالت القضية الفلسطينية تراوح فى مكانها .. هل ثمة من وسيلة لاحياء المشروع او النظر فى مقترحات ســلمية اخرى ؟ .

الجـــواب :

ـ مشروع السلام العربى مشروع يجسد التوجه العربى الجاد نحو السلام العادل الشامل الذى يتطلع اليه الشرق الأوسط والذى يفقده منذ زمن



بعيد بسبب الممارسات الاسرائيلية العدوانية المنكرة على الحقوق والاراضى العربية . وهو مشروع يستمد حيويته وقوته من الاتفاق العربى الاجماعى عليه،ومن قيامه على اساس من قواعد القانون الدولى واحكام ميثاق الامم المتحدة والقرارات التى اصدرتها فى شان القضية الفلسطينية ، الامر الذى اكسبه تاييداً عالمياً كبيراً .

ومن هذا المنطلق يفتح هذا المشروع الطريق السوى أمام العمل العربى المشترك المثمر على الساحة الدولية للتوصل لانهاء الصراع العربى الاسرائيلى على اسس عادلة منصفة متوازنة ، ولا سيما ان الراى العام العالمى أصبح يتفهم عدالة تلك القضية ويستوعب الصراع العربى الاسرائيلى وموقف وسلوك طرفيه ازاء الحل السياسى السلمى الذى تصبو اليه الأسرة الانسانية جمعاء .

بيد انه مما يبعث على الاسف الشديد ان الخلافات التى تمزق صفنا العربى جاءت تدعم محاولات اسرائيل الآثمة من اجل تحويل اهتمام العالم عن القضية الفلسطينية وعن مشروعنا العربى لاحلال السلام ولحل هذه القضية الحل العادل الشامل المنشود .نحن فى سباق مصيرى مع قوى الشر التى تتربص بنا . وقد أن الاوان حقاً ان نقيم الدليل على ان مواقفنا عندما يجد الجد هى تلك المواقف المسؤولة التى نضع بها مصالحنا القومية المصيرية فوق كل اعتبار وكل خلاف ، وان نعمل بما نؤمن به جميعاً من ان تضامننا هو سبيلنا الى صون تلك المصالح واننا لم نكن احوج لوحدة الصف منا فى هذه الظروف البالغة الدقة التى تمر بها امتنا . وليس هناك محل بتاتا للنظر فى مقترحات سلمية اخرى ، فمشروع السلام العربى مشروع اجمعنا على الاتفاق عليه، وواجبنا ان نكرس اقصى جهودنا المتضامنة لدعم التاييد الدولى له ومتابعة مساعينا المشتركة لاتخاذه اساساً لاحلال السلام فى المنطقة ، وفقاً لقرارات مؤتمر فاس .

السؤال التاسع :

● **ليس من شك ان الخلافات داخل حركة المقاومة الفلسطينية تضعف مركز منظمة التحرير الفلسطينية وتؤثر سلباً على القضية الفلسطينية على كافة الأصعدة .. فما هو ـ من وجهة نظر قطر ـ الاسلوب الافضل لتخطي هذه الأزمة ؟**

الجــواب :

ـ طوال نضال الشعب الفلسطيني فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الغاشم على وطنه واغتصاب حقوقه المشروعة ، ضرب هذا الشعب الشقيق بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية اروع امثلة الوقوف صفاً واحداً بكل البسالة والشجاعة فى وجه العدو المشترك . وكان تمسكه بوحدته وتضامنه نموذجاً يحتذى به . وانه ليحز فى نفس كل عربى مخلص ان تتبدل امامه الصورة فيرى الخلاف بين المناضلين الاشقاء يصل بهم الى حد ان يقتتلوا فيما بينهم وان يوجهوا سلاحهم الى صدور بعضهم البعض .

ان الخلاف الذى دب بين الاخوة الفلسطينيين على النحو المؤلم الذى نراه يهدد وحدتهم التى تشكل قوتهم ويرتكز عليها كفاحهم فى سبيل كسب قضيتهم التى هى القضية العربية المصيرية الاولى. وليس اخطر من تقويض هذه الوحدة على هذا الكفاح . وليس اضر بما كسبه الشعب الفلسطيني من تقدير عالمى لمواصلة نضاله الباسل العادل صفاً واحداً متماسكا من استمرار ذلك الخلاف. وليس ادعى لوضع حد له من متابعة اسرائيل تنفيذ مخططها العدواني الاستيطاني فى الضفة الغربية وغزة وتماديها فى ارتكاب اعمال القهر والبطش الباغية تحقيقاً لهذا المخطط .

ان الأخطار والاضرار والتحديات الجسام التى يتعرض لها الشعب الفلسطيني والتى تهدد حقوقه الوطنية للضياع تتطلب اول ما تتطلب تضامنه وتلاحمه .

ودولة قطر ، اذ تثق ثقة كاملة فى وطنية الأخوة القادة الفلسطينيين وتقديرهم لمسئوليتهم القومية تضم صوتها الى صوت الأمة العربية جمعاء مناشدة اياهم ان ينهوا خلافاتهم بالحوار الاخوي ، وان يعودوا الى سابق عهدهم مثلا غاليا لوحدة الصف والراى والعمل ، حفاظا على ثورتهم وتمكينا لشعبهم العظيم من مواصلة جهاده المقدس فى سبيل استعادة حقوقه المغتصبة واسترداد وطنه السليب ليمارس على ارضه حقه فى تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة .

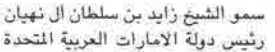


الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

قادة مجلس التعاون
بريشة الفنانين القطريين



سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
أمير دولة البحرين



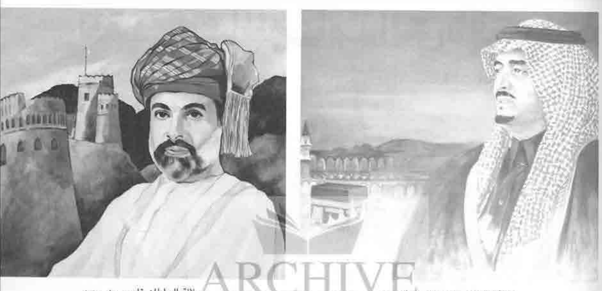
سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الامارات العربية المتحدة

على هاتين الصفحتين ست لوحات زيتية لقادة دول مجلس التعاون ، رسمها خمسة من الفنانين التشكيليين القطريين وهم : جاسم زيني ، يوسف احمد ، سلمان المالكي ، يوسف الشريف ، عيسى الغانم .. وهي لوحات تؤكد دور الفن التشكيلي في إرساء وترسيخ مسيرة التقدم في قطر وتفاعل الفنانيين مع الأحداث الوطنية الهامة في المنطقة ..

والواقع ان الحركة التشكيلية المعاصرة في قطر لم تأت من منطلق عفوي ـ كما قال جاسم زيني عميد الفنانين التشكيليين ـ ذلك لأن الفن التشكيلي في قطر له جذوره التاريخية القديمة المرتبطة بالارض والبيئة والتعبير عنها وترجمتها بلغة الشكل ، فاذا كان الفنان القديم قد ابدع في بناء القوارب وسفن الصيد وصناعة الحلي والسلاحات وزخارف البناء والمباخر وغيرها من منتجات البيئة ، فان الفنان المعاصر يؤكد كل يوم مدى ارتباطه بالتراث والاصالة وحرصه على المساهمة في كل المناسبات الوطنية ..

والمعروف ان الحركة التشكيلية في قطر لم تقطع شوطاً بعيداً من عمرها فقد بدأت باقامة معرضها الاول منذ عام ١٩٧٣ لتتوالى بعد ذلك المعارض العامة في الداخل والخارج ..

وقد قامت وزارة الاعلام بتقديم كافة امكانياتها للنهوض التشكيلي ، فشجعت قيام المعارض بصورة مكثفة ، واستقدمت معارض وافدة لفنانين لهم دورهم المؤثر واتاحت الفرصة للراغبين من الهواة للدراسة بالمعاهد الفنية المختلفة ، وشجعت البارزين منهم بتكملة دراساتهم العليا للاستفادة والمعرفة ، وانشأت مرسماً حراً لاحتضان الموهوبين والموهوبات في مجال العمل الفني وامدتهم بكافة الخامات المتاحة . ورأينا عقب كل ذلك التشجيع ظهور الجمعية القطرية للفنون التشكيلية التي اقامت ثلاثة معارض منذ انشائها ، كان آخرها في شهر ابريل ١٩٨٣ واشترك في هذا المعرض ١٥ فنانا وفنانة عبروا عن احاسيسهم من خلال رؤية شفافة ترقى بالنفس وتهفو الى كل ما هو جميل ومبدع .



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
عاهل المملكة العربية السعودية

جلالة السلطان قابوس بن سعيد
سلطان عمان



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى
أمير دولة قطر



سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت



الدورة الرابعة للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

القضايا الهامة التي ناقشها

لقطة عامة للجلسة الافتتاحية لاجتماعات الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى عقدت فى مدينة الدوحة بدولة قطر

ركز البيان الختامى للدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج الذى عقد فى مدينة الدوحة بدولة قطر من ٣ صفر ١٤٠٤ هـ (٧ نوفمبر ١٩٨٣ م) حتى ٥ صفر ١٤٠٤ هـ (٩ نوفمبر ١٩٨٣ م) على عدة قضايا هامة هى :

- الروابط السياسية والاقتصادية بين دول الخليج العربية ..
- التنسيق فى الشئون الدفاعية بين الدول الاعضاء .
- الوضع السياسى فى منطقة الخليج على ضوء الاحداث الجارية ..

وهذا بالاضافة إلى الجهود التى بذلتها الدورة الرابعة لمجلس التعاون فى السعى لانهاء الخلافات العربية ووضع حد للحوادث بشمال لبنان وذلك من خلال الاطلاع على نتائج المشـــاورات والاتصالات التىاجراهاوفد مجلس التعاون إلى دمشق الذى ضم كلا من الشيخ احمد بن سيف ال ثاني وزير الدولة للشئون الخارجية بدولة قطر والشيخ صباح الاحمد الجابر نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاعلام بدولة الكويت ، وقد لاقت تلك الخطوة من جانب المجلس ارتياحا تاما ، عبر عنه البيان

قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



احاديث ومشاورات متبادلة بين اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

الختامى عندما اكد على حرص المجلس على حقن الدم العربى فى اطار المساعى والجهود الحثيثة المبذولة لانهاء الاقتتال المؤسف الجارى على الساحة الفلسطينية ، بغية رأب الصدع والوقوف صفا واحدا خلف منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى .

وقد تصدرت الروابط السياسية والاقتصادية بين الدول الأعضاء مقدمة البيان الختامى للدورة الرابعة ، حيث أعرب البيان عن ارتياحه للمستوى الذى وصل إليه التعاو: بين الدول الاعضاء ، تحقيقا للمبادىء التى جسدها النظام الأساسى ، كما اشار إلى الخطوات التى تمت فى تحقيق التنسيق السياسى والتشاور المستمر من اجل اتخاذ مواقف موحدة على الصعيد الدولى وكيف انها قد زادت من صلابة المجلس وكرست اواصر الروابط بين دوله ..

والواقع ان الانجازات البارزة التى حققها مجلس التعاون خلال هذه الفترة القصيرة من عمره ، جعلته يحتل مكانة هامة ، خاصة وان هذه الانجازات تواكب تطورات الحياة فى المنطقة ،

القضايا الهامة التي ناقشها قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



لقاء سمو الامير باخيـــه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ال ســـعود عاهل المملكة العربية الســـعودية

مع اخيه سمو الشيخ جابر الاحمد الصباح امير دولة الكويت

سمو الامير اثناء زيارته لاخيه سمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة امير دولة البحرين

وتلبى متطلبات التطور ، وتاخذ فى الاعتبار مصالح الدول الاعضاء وشعوبها . وتعتمد على الخطوات الثابتة المتانية والدراسات المستفيضة التى تواجه كافة الحقائق وتطرح الحلول على ضوء ظروف المنطقة وامكانياتها الذاتية ..

- وقد اعتمد مجلس التعاون ـ منذ انشائه ـ على عدة عوامل أساسية لتوفير النجاح لكل خطواته من اجل تحقيق التعاون الشامل والتكامل المنشود ، وياتى فى مقدمة هذه العوامل استمرارية اجتماعات لجانه الفرعية فى مختلف أوجه النشاطات وعلى كافة المستويات ، لتُرفع توصيات هذه اللجان للامانة العامة التى تبلورها فى بنود جدول اعمال وزراء الخارجية الذى يسبق قمة دول مجلس التعاون الذى يتم فيه اتخاذ القرار ..

وفى البيان الختامى للدورة الرابعة فى الدوحة استعرض المجلس ما تحقق فى تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية الموسعة ، وقرر توسيع دائرة النشاطات الاقتصادية التى تسمح لمواطنى دولة عضو بممارستها فى الدول الاعضاء الاخرى وذلك اعتباراً من أول مارس عام ١٩٨٤ ، كما اخذ المجلس علما حول استكمال الاجراءات الخاصة لمؤسسة الخليج للاستثمار والتى تباشر اعمالها بنهاية شهر نوفمبر ١٩٨٣ .

والمعروف ان المرحلة الاولى من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول مجلس التعاون ، بدات فى أول مارس ١٩٨٣ ، وان المرحلة الثانية من تطبيق الاتفاقية الاقتصادية بدات فى سبتمبر عـــام ١٩٨٣ ، وهذه الاتفاقية فى مجملها اطار عام جامع للخطوط الرئيسية لاهداف دول المنطقة فى التكامل الاقتصادى ، وهى فى نفس الوقت اطار مرن للعمل الاقتصادى الخليجى المشترك بما يتفق مع ظروف التخطيط الاقتصادي والاجتماعى والظروف التنموية التى تمر بها الدول الاعضاء بهدف مواكبتها لركب التقدم والنهضة .

اضواء على الاتفاقية الاقتصادية

وتتضمن الاتفاقية الاقتصادية عدة امور هامة من بينها



من كلمات سمو ولي العهد

الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

● لا شك ان مؤتمر القمة الرابع لزعماء دول مجلس التعاون الخليجي يمثل خطوة هامة وجديدة على طريق تحقيق الطموحات العزيزة للمجلس والمتمثلة فى ترسيخ التعاون الوثيق والتكامل الحقيقى بين ابناء دوله من اجل ضمان الأمن والاستقرار والرفاهية لمنطقة الخليج بصورة خاصة والمنطقة العربية بصورة شاملة .

● ليس هناك ادنى قدر من الخلاف حول حقيقة ان مجلس التعاون لدول الخليج استطاع خلال الفترة القصيرة التى مضت منذ انشائه فى ٢٥ مايو عام ١٩٨١ م وحتى الآن ان يقطع شوطا كبيراً على الطريق نحو تحقيق الهدف الاسمى المتمثل فى ارساء دعائم التعاون والتنسيق والتكامل الشامل بين دول المجلس .

وقد شهدت الفترة الماضية من عمر المجلس سلسلة متواصلة من الاجتماعات واللقاءات المبشرة بالخير على مختلف المستويات لتحديد الملامح والأطر المطلوبة للتعاون المنشود والذى يستهدف فى المقام الأول تحقيق الأمن والاستقرار والرفاهية للمنطقة بعيداً عن دوامات الصراعات الدولية واطماع التكتلات الاجنبية .

السماح باستيراد وتصدير المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية بين دول المجلس ووضع حد ادنى للتعرفة الجمركية لدول المجلس تجاه العالم الخارجى .. كما انها تقرر حرية تجارة العبور (الترانزيت) وتعمل على تنسيق السياسات التجارية تجاه العالم الخارجى ، وهذا بالاضافة إلى :

● حريات التملك والارث والانتقال وحركة رؤوس الأموال بين الدول الاعضاء .
● تنسيق خطط التنمية والسياسة البترولية .
● اجراء تنسيق صناعى وتوحيد التشريعات الصناعية فى الدول الاعضاء .
● دعم المشروعات المشتركة والتعاون الفنى والاتفاق على شروط نقل وتطويع التكنولوجيا .
● وضع وتنسيق برامج التدريب والتاهيل وسياسات القوى العاملة .
● معاملة وسائل النقل من مختلف دول المجلس معاملة وسائل النقل الوطنى بما فى ذلك البواخر والسفن والقوارب .
● التعاون فى مجالات النقل البرى والبحرى والاتصالات .
● تنسيق مشاريع البيئة الاساسية .
● توحيد انظمة الاستثمار .
● تنسيق السياسات المالية والنقدية والمصرفية .
● تقديم المعونات الاقتصادية .

وقد تم تنفيذ بنود المرحلة الاولى للاتفاقية الاقتصادية بنجاح كامل ودون اية صعوبات وذلك فى مجالاتها التالية :

● اضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائل النقل العائدة لمواطنى دول المجلس دون اية اجراءات سوى تواجد الاستمارة والرخصة ، على ان تكون سارية المفعول

● منح كافة التسهيلات لمرور بضائع منتجات الدول الست بطريق العبور والاعفاء من كافة الرسوم والضرائب .
● ان يكون النشاط الاقتصادى الذى يبدا بممارسته من قبل مواطنى دول المجلس الطبيعيين والاعتباريين فى المجالات الصناعية والزراعية والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات .

القضايا الهامة التي ناقشها قادة دول مجلس التعاون في الدوحة



الشيخ خالد بن حمد ال ثاني وزير الداخلية اثناء زيارته للامير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية



الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني وزير المالية والبترول فى المؤتمر الصحفي الذى تحدث فيه عن القضايا البترولية والمشروعات المشتركة بين دول مجلس التعاون



عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى اثنــــاء لقائه بمندوبى الصحافة والاعلام بالمركز الصحفى بفندق الخليج

الشيخ احمد بن سيف ال ثانى وزير الدولة للشئون الخارجية وإلى جواره عبد الله بشارة الامين العام لمجلس التعاون اثناء المؤتمر الصحفى مع مندوبى الصحافة العرب والاجانب

● فتح باب التسجيل فى دول المجلس لاصحاب مهن الطب والمحاماة والمحاسبة والهندسة بما فى ذلك المكاتب الهندسية والاستشارية الادارية والاقتصادية والفنية والزراعية والسمكية والصناعية ، ويسمح لاصحاب هذه المهن الحاملين لجنسية اى من الدول الاعضاء بممارسة مهنهم فى اى دولة عضو بشرط الحصول على التسجيل والترخيص المطلوبين عادة مما يماثلونهم من مواطنى الدولة العضو المضيفة .

● منح التسهيلات اللازمة للبواخر والسفن والقوارب المملوكة لاى من الدول الاعضاء ومعاملاتها كمثيلاتها الوطنية سواء عند رسوها فى موانئها او مرورها بها .

اما بالنسبة لتنفيذ المرحلة الثانية من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، وهى التى بدات مؤخراً منذ حوالى ثلاثة شهور ، فقد تضمنت بنداً واحداً هو وضع حد ادنى لتعرفة جمركية موحدة تطبقها دول المجلس تجاه العالم الخارجى وذلك لحماية المنتجات الوطنية فى مواجهة المنتجات الأجنبية المنافسة ، واتفق على أن يكون الحد الادنى لهذه التعرفة اربعة فى المائة والاعلى عشرين فى المائة ، مع استثناء بعض السلع الاساسية .

وقد اتخذت الدورة السادسة للجنة الوزارية للتعاون المالى والاقتصادى التى عقدت بالرياض فى ١١ اكتوبر ١٩٨٣ عدة قرارات اقتصادية هامة فى مقدمتها :

● الأخذ بمبدأ المواطنة الخليجية بديلا عن المواطنة المحلية فى الاتفاقية .

● اضفاء الصفة الخليجية على الانتاج الوطنى لأى من الدول الاعضاء .

● فتح مجالات النشاط الاقتصادى للمواطن من اى من دول المجلس دون تحديد .

● فتح الباب للمواطن الخليجى لمزاولة مهنته بدون تحديد فى اية دولة عضو .

كما انه فى نفس هذه الدورة تم اجتماع الجمعية التاسيسية لمؤسسة الخليج للاستثمار لأول مرة ، وعقب هذا الاجتماع تم اعلان قيام المؤسسة براسمال يبلغ ٢١٠٠ مليون دولار ، توزع حصصها بالتساوى بين الدول الاعضاء ، على ان تسدد الدول الاعضاء ٢٠ فى المائة من راس مال المؤسسة الجديدة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٨٣ فى المصرف المركزى ، وبحيث يبدا سريان اتفاقية المؤسسة منذ يوم اعلانها وهو يوم ١٢ اكتوبر ١٩٨٣ .

التنسيق الدفاعى

وإذا كان الاقتصاد هو عصب الحياة فى عصرنا الحاضر ، فان مواجهة التحديات المحيطة بالمنطقة وتحويل مبدا « امن الخليج مسئولية ابنائه » إلى حقيقة ، اصبح ضرورة لتاكيد الهوية السياسية ، ومن هنا كانت تطورات العمل الدفاعى وفقا لحماية المصالح الذاتية وتحمل مسئولية الأمن الوطنى بكل ما يتطلبه ذلك من تقوية القدرة العسكرية بالاعتماد على الذات ، ومحاولة تطوير بناء القوة العسكرية من مختلف المصادر التى تناسب المنطقة وظروفها ..

ولهذا اضطلع اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج فى جلستهم الثالثة يوم ٨ نوفمبر ١٩٨٣ على بحث تطورات العمل الدفاعى بين الدول الاعضاء على ضوء تقرير من رئيس اللجنة العسكرية .

وذكر البيان الختامى للدورة الرابعة التى عقدت مؤخراً فى الدوحة ان المجلس قد استعرض ما قطعه التنسيق العسكرى بين دوله تنفيذا للقرارات التى اتخذت فى الدورة الثالثة التى عقدت فى دولة البحرين فى نوفمبر ١٩٨٢ م والهادفة إلى بناء القـــوة الذاتية للدول الاعضاء والتنسيق بينها بما تحقق اعتماد دول المجلس على نفسها فى حماية امنها والحفاظ على استقرارها ، واعرب عن ارتياحه لما تم انجازه فى هذا المجال

الحرب العراقية الايرانية

وقد جاءت قضية استمرار الحرب العراقية الايرانية وتطوراتها المتلاحقة في مقدمة اولويات اهتمام قادة دول مجلس التعاون في مؤتمرهم الرابع في الدوحة ، حيث جدد القادة مناشدتهم للبلدين المسلمين الجارتين بوقف القتال .

وجاء في البيان الختامي . ان المجلس استعرض الوضع في المنطقة ، وتدارس استمرار الحرب العراقية الايرانية ، واثرذلك على استقرار المنطقة ، واعرب عن امله في ان يتوصل البلدان الى انهاء الحرب بينهما من اجل حقن دماء الشعبين المسلمين ووقف استنزاف طاقات البلدين الجارين ،

كلمات سمو الأمير

وفى الخطابين الهامين اللذين القاهما سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ، اثناء افتتاح الدورة الرابعة وفى الجلسة الختامية ، تحدث عن اهم القضايا على الساحتين الخليجية والعربية واهداف وانجازات وتطلعات مجلس التعاون وروح التعاون المخلص والجهود العظيمة التى بذلها القادة وكان لها كل الفضل فى النتائج الهامة لهذه الدورة ..

وفى خطاب افتتاح الدورة عبر سمو الامير عن اهمية هذا الحدث التاريخى بقوله :

● كم تغمرنى الغبطة بلقائكم اليوم بالدوحة فى هذا الاجتماع الرابع لمجلسنا الذى يتيح لنا فرصة سعيدة نجدد فيها معا ذكرى ذلك الحدث التاريخي الذى حققنا به املا غاليا طالما تطلعت إليه منطقتنا العربية ـ قادة وشعوبا ـ الا وهو قيام هذا المجلس من اجل تنظيم سبل تكامل قدراتنا الطبيعية وطاقاتنا البشرية وصولا إلى ما ننشده من رخاء ومنعة واستقرار ، فى ظل عقيدتنـــا الإسلامية السمحة السامية وقيمنا العربية الرفيعة ..

● لقد كان نهجنا لادراك تكاملنا يقوم على اساس تطوير وسائل هذا التكامل على نحو يشق به طريقه التدريجى إلى اغراضه بما يتلاءم مع واقع ظروفنا وإمكاناتنا . ومرد ذلك إلى اقتناعنا بان ذلك السبيل هو خير ما يكفل لمجلسنا الثبات والدوام والنجاح ..

وتحدث سمو امير البلاد المفدى فى هذا الخطاب عن الظروف التى تتعرض فيها امتنا العربية لأكبر الاخطار التى تتطلب منا جميعاً أول ما تتطلب اعادة بناء تضامننا الشامل لوضع حد لاستمرار العدوان الاسرائيلى الغاشم على حقوقنا واراضينا العربية ، وحل قضايانا المصيرية التى نشات عن هذا العدوان وفى مقدمتها القضية الفلسطينية والقضية اللبنانية بما يحقق اقامة السلام العادل الشامل فى المنطقة الذى ننشده وينشده المجتمع الدولى معنا .. وتحدث ـ كذلك ـ عن وحدة الصف العربى ، والحرب العراقية الايرانية ، وغير ذلك من القضايا الحيوية والهامة .

اما الخطاب الذى القاه سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني فى الجلسة الختامية للدورة فقد تحدث فيه عن القرارات التى اتخذت فى الدورات السابقة والتى ادت إلى خطوات ايجابية كبيرة لدعم سبل التعاون وتجميع الطاقات وتنسيق الامكانات فى شتى المجالات من اجل التوصل إلى التكامل باعتباره السبيل الامثل إلى تحقيق امال شعوب المنطقة فى المزيد من التقدم والرخاء فى ظل الامن والاستقرار وتعزيز القدرة على اداء واجبها ازاء امتنا العربية والاسلامية ..

القضايا الهامة التي ناقشها قادة دول مجلس التعاون في الدوحة

وعبر عن وطيد ثقته فى ان دعم شعوب المنطقة لمجلس التعاون ، وعزمها على مواصلة المسيرة الجماعية ، سوف يظلان خير كفيل لأن يصبح هذا التكامل فى انسب صوره حقيقة واقعة بعد أن كان املا منشودا .

وفد دولة قطر

والواقع ان الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية التى عقدت فى الدوحة تميزت بدقة التنظيم وحشد كافة الامكانات والجهود الكبيرة التى بذلتها دولة قطر اميرا وحكومة وشعبا ، والتى كان لها اكبر الاثر فى انجاح المؤتمر الذى توصل إلى عدة نتائج هامة ..

وقد تشكل وفد قطر لاجتماعات الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية برئاسة سمو امير البلاد المفدى وعضوية كل من :

● سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى ولى العهد ووزير الدفاع .

● الشيخ خالد بن حمد ال ثانى وزير الداخلية .

● الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثانى وزير المالية والبترول .

● الشيخ أحمد بن سيف ال ثانى وزير الدولة للشـــئون الخارجية .

● الدكتور حسن كامل مستشار سمو الأمير .

● السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام والمتحدث الرسمى باسم المؤتمر .

تصريحات القادة

وقد اكدت تصريحات قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ منذ وصولهم الى مطار الدوحة ـ اهمية تضافر الجهود كضمان للمسئولية المشتركة وخير المنطقة والامة العربية والاسلامية والأسرة الدولية ..

● قال سمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة امير دولة البحرين ان انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى دولة قطر يعتبر حدثا تاريخيا هاما وخطوة اساسية فى مضمار العمل الخليجى ، سيكون لها مردودها الايجابى المثمر على مستقبل هذه المنطقة وابنائها ..

وتحدث عن المكتسبات التى تحققت عنه خلال الدورات الثلاث السابقة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا من اجل تامين مستقبل الأجيال القادمة ، واعرب عن ثقته المطلقة بالنتائج الايجابية التى ستتحقق بفضل ما هيىء لهذه الاجتماعات من جهد واعداد ممتاز لدفع عجلة التعاون خطوة جديدة إلى الأمام .

● وقال سمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيس دولـة الامارات العربية المتحدة إن ما تم التوصل إليه حتى الآن فيما يتعلق بمجلس التعاون يعتبر مؤشر خير يدعو إلى التفاؤل بمستقبل مشرق ويعد نموذجا يحتذى به فى المناطق الأخرى ، وان القيمة الحقيقية لمجلس التعاون هى انه تتويج للجهود المبذولة فى التنسيق بين دول المنطقة ، لاننا فى الخليج اعضاء فى الجسم الكبير وهو الوطن العربى ، نقوى به ويقوى بنا ..

وقال الشيخ زايد ان اجتماعنا ياتى فى وقت نحن فيه اشد حاجة الى التنسيق والتعاون وفق خطط مدروسة وجادة لمواجهة التحديات التى تحيط بالمنطقة ولتحقيق امانى وطموحات شعوبها مما يمكنها من القيام بدورها فى خدمة الامة العربية والاسلامية والاسهام فى صون امن وسلام العالم اجمع .

● وقال جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان ، إن مسار التعاون بين دول المجلس فى الأعوام الماضية وما تحقق خلالها من انجازات يدعونا اليوم لأخذ الحيطة من سرعة القرارات حتى يستمر عملنا الجماعى فى نمو طبيعى نحو تحقيق اهداف المجلس الاعلى التى اعتمدناها خلال مؤتمرنا الاول عام ١٩٨١ م ..

واكد على أن الواجب يدعونا اليوم إلى أن تكون قراراتنا وتطلعاتنا فى مستوى الأحداث التى تحيط بنا لتجنب منطقتنا وابنائنا ويلات الصراعات الاقليمية والدولية ..

وقال إن قمة الدوحة برعاية سمو الاخ الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى امير دولة قطر الشقيقة سوف تكون اضافة جديدة فى مسيرة التعاون الخليجى المشترك .

● وقال جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ال سعود عاهل المملكة العربية السعودية ، إن قيام مجلس التعاون جاء فى المقام الأول تلبية لآمال وطموحات وتطلعات هذه الشعوب واستجابة لرغباتها وميولها الحقيقية نحو التعاون والتكاتف والتعاضد كما جاء تجسيدا للروابط الأخوية الحميمة التى تربط بين دولنا وتضرب بجذورها فى اعماق تاريخ المنطقة حيث وحدتنا العقيدة الإسلامية السامية التى ندين بها جميعا والتى حفظت لنا شخصيتنا وهويتنا وتميزنا ..كمـا جمعتنا اصول واحدة رسخت روح التعاون والمودة والاخاء بيننا .

وقال ان الظروف المشتركة التى عايشتها ومازالت تعايشها دول وشعوب المنطقة كانت هى الدافع الى انشاء هذا الكيان الخليجى الذى يجمعنا الآن بهدف تنظيم شئون المنطقة وترتيب البيت الخليجى بصورة افضل مما يجعل الآمال المعقودة على مجلس التعاون عظيمة عظم الرسالة المنوطة بالمجلس قيادات ومسئولين واجهزة .

واضاف قائلا انه مما لاشك فيه ان الفترة التى انقضت على تاسيس المجلس تعتبر وجيزة فى عمر الدول ومع ذلك فقد استطاع تحقيق الكثير من الانجازات التى تذكر على مختلف محاور العمل وعلى مختلف الاتجاهات .

ولعل مما يزيد من اهمية هذا اللقاء الذى يجمعنا فى رحاب الشقيقة قطر اننا لازلنا نجد نفس التحديات والصعوبات مما يستلزم تضافر الجهود وتكامل الامكانيات وشمولية الاعداد لنضمن لمنطقتنا حريتها واستقلالها ولشعوبنا امنها واستقرارها وتقدمها ،ورفاهيتها ولامتنا المجيدة عزتها ومنعتها مما يجعلنا نقبل على هذا اللقاء بروح متفائلة بانه سيكون لقاء خير وبركة إن شاء الله .

● وقال سمو الشيخ جابر الاحمد الصباح امير دولة الكويت فى الكلمة التى القاها فى ختام قمة الدوحة :

يشرفنى ويسعدنى ان اعرب باسمكم جميعا عن عميق الشكر

والتقدير لسمو الأخ الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ورئيس الدورة الحالية للمجلس الاعلى لمجلس التعاون ولشعبه وحكومته بما شملونا به من عناية ولما لمسناه من مشاعر اخوية فياضة طوال تواجدنا فى هذا البلد العربى الأصيل .

ولقد بذلتم يا سمو الأخ كل ما فى طاقتكم لجعل هذا الاجتماع ليس ناجحاً وموفقاً فحسب بل ليكون لقاء اخوياً بكل ما تحمله كلمة الاخوة من معان واحاسيس .

وهكذا قمنا جميعاً بوضع لبنة متماسكة اخرى فى صرح التعاون بيننا .. هذا التعاون الذى سيجعل من بلداننا وشعوبنا وحدة تعمل باهداف سامية خيرة لابنائنا من الجيل الحاضر والأجيال القادمة ولخير البشرية جمعاء .

واننا وان كنا بحمد الله كتلة موحدة فى العقيدة والفكر والخلق .. فقد بدانا بتوفيق من عنده سبحانه وتعالى بترجمة هذه المفاهيم الى عمل موحد تدفعنا النوايا المخلصة والأهداف والآمال والتطلعات المشتركة للشعور الصادق باننا سواء فى السراء والضراء .

وقال : إن لقاءات واجتماعات المجلس الأعلى لمجلس التعاون بدأت تتخذ طابعاً مميزاً فى منطقتنا هذه .. فقد اصبح رمزاً للترابط والتماسك والمصير الواحد .. وتولد شعور لدى المواطن فى بلدان مجلس التعاون بانه جزء لا يتجزأ من مجموعة متناسقة وانه على المستوى الفردى مستعد ان يشارك فى اى جهد لتعضيد هذا الشعور وترسيخه فكراً وعملاً .

ان اخوتكم فى الكويت يتطلعون الى تشريفكم وطلتكم الثانى فى الدورة المقبلة فى مثل هذا الشهر من العام القادم لكى تتيحوا لهم فرصة ينتظرونها للتعبير لكم عن اصدق مشاعر الاخوة ومن خلالكم لشعوبكم الشقيقة عن اصفى ما فى نفوسهم من مودة ومحبة ورغبة اكيدة للمزيد من التعاون والتلاحم .

المؤتمرات الصحفية

وقد عقد الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى قطر مؤتمراً صحفياً قبل يوم واحد من انعقاد الدورة الرابعة لدول مجلس التعاون حضره مندوبو الصحف ومراسلو وكالات الانباء العربية والأجنبية . وتحدث فى هذا المؤتمر عن القضايا البترولية والمشاريع المشتركة بين دول مجلس التعاون وعن عدد من المسائل التى تهم المنطقة .. وتناول فى هذا المؤتمر موضوع التنسيق بين دول مجلس التعاون فى مجال الصناعات المشتركة موضحاً انه قائم حالياً ويتمثل فى العديد من المشاريع ، كما تحدث عن بحث انشاء بنك خليجى مشترك ، وامله فى أن يتم انشاء مصفاة مشتركة للبترول فى سلطنة عمان وتاييده للاقتراح العمانى بمد خط انابيب نفط الى بحر العرب عبر أراضى السلطنة .

وفى هذا المؤتمر تحدث عن وضع السوق النفطية العالمية حاليا ، وانتاج النفط فى قطر ، ومضيق هرمز ، وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التى تهم المنطقة ..

وعقد الشيخ احمد بن سيف آل ثانى وزير الدولة للشئون الخارجية فى قطر مؤتمرين صحفيين : الأول فى يوم ٣ - ١١ - ١٩٨٣ ناقش فيه مع الصحفيين المجتمعين مهمة المجلس الوزارى فى رفع التوصيات الى المجلس الأعلى فى القضايا التى تهم دول مجلس التعاون .. والمؤتمر الثانى عقب انتهاء الجلسة الختامية يوم ٩ نوفمبر ١٩٨٣ وشارك فيه الامين العام لمجلس التعاون عبد الله يعقوب بشارة ، والأمين العام المساعد للشؤون الاقتصادية الدكتور عبد الله القويز ..

وفى هذا المؤتمر تحدث وزير الدولة للشؤون الخارجية عن الخطوات التى ستبذل بعد القمة من اجل تثبيت وقف اطلاق النار فى شمال لبنان ، وعن كافة الاجراءات التى اتخذت لحقن الدماء بين الاخوة الأشقاء الفلسطينيين ، وعن الموضوعات الاقتصادية التى كانت مطروحة على المؤتمر والتى قال انه قد تم الموافقة عليها جميعا ، والتعاون الأمنى الخليجى ، والحرب العراقية الايرانية ، وغير ذلك من القضايا العربية والخليجية الهامة ..

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام فى قطر والمتحدث الرسمى باسم مؤتمر القمة الرابع ، اكد على أن الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية تأتى لتعطى دفعة جديدة الى الأمام لمتابعة المسيرة المباركة المشتركة ولتحقيق المزيد من التعاون والتكامل بين دول المجلس ، مشيراً الى الهدف من انشاء المجلس ، وحجم الانجاز الذى تحقق .. وقال إن ضمان الأمن والاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الاوسط من خلال ايجاد حل عادل ودائم لجوهر الأزمة وهى القضية الفلسطينية .. وتناول عدة قضايا هامة اثناء رده على الصحفيين اهمها موقف مجلس التعاون من الحرب العراقية الايرانية وتطورات الاحداث فى الساحة الفلسطينية والعربية وغير ذلك من الموضوعات التى تهم المنطقة ..

اما المؤتمر الصحفى الذى عقده عبد الله بشارة الأمين العام لمجلس التعاون ، فقد اجاب فيه على كافة استفسارات الصحفيين حول اهم القضايا التى ناقشها المجلس الوزارى لمجلس التعاون والتوصيات التى رفعها للمجلس الاعلى ..

وفى هذا المؤتمر الذى شارك فيه ابراهيم الصبحى الأمين العام المساعد للشئون السياسية والدكتور عبد الله القويز الأمين العام المساعد للشئون الاقتصادية بالمجلس ، قال إنه رفعت للقمة عدة توصيات حول التعاون الأمنى والعسكرى ، كما اكد ان مضيق هرمز مياه دولية تحكمها اتفاقيات دولية ، ورحب بقرار مجلس الأمن الأخير لوقف الحرب العراقية الايرانية ، واشار الى ضرورة مواكبة الأمن للازدهار الاقتصادى .. وتطرق المؤتمر الصحفى لموضوعات عديدة من بينها الوحدة الاقتصادية بين دول المجلس ، والاتجاه نحو خلق برنامج للتعاون الدفاعى ، وتحقيق التنسيق السياسى بين الدول الاعضاء ، والسياسة الصناعية ، واتفاق مرور البضائع ، ومشروعات الأمن الغذائى ..

ومن كل ذلك وغيره ندرك مدى ما حققته الدورة الرابعة لدول مجلس التعاون ، من انجازات على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى المسيرة التعاونية التى ستؤدى الى مزيد من الانجازات المباركة ومزيد من التلاقى والتعاون والتلاحم والمصير المشترك الواحد .

وزيـــر الإعـــلام القطـــري:

ضمان الأمن والاستقرار في الخليج مرتـــبط بتـحقيــق الســلام في الشــرق الأوسط

قبل بداية المؤتمر الصحفى الذى عقده عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر، وحضره عدد كبير من مندوبى الصحافة وأجهزة الاعلام العربية والأجنبية، ألقى وزير الاعلام هذه الكلمة التى تحدث فيها عن الهدف من إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية وانعقاد المؤتمر فى ظروف بالغة الدقة وارتباط امن الخليج بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط وغير ذلك من القضايا الخليجية والعربية التى تهم دول المنطقة :

يسعدنى ان ارحب بكم اجمل ترحيب فى بلدكم الثانى قطر، متمنياً لكم التوفيق فى مهمتكم، وأملا ان يكون ما وفرته دولة قطر من تسهيلات عونا لكم فى إداء عملكم الذى نرجو ان يكون على الدوام عامل خير فى تبديد الغيوم من سماء الامة العربية وتعزيز روابط الوئام والمودة والاخوة بين ابنائها .

ان هذا المؤتمر ياتى ليعطى دفعة جديدة الى الامام لمتابعة المسيرة المباركة المشتركة فى سبيل تحقيق المزيد من التعاون والتكامل بين دول مجلس التعاون ولبلوغ النهضة الشاملة التى تكفل لدول المنطقة المزيد من الازدهار والأمن والاستقرار، هذه الدول التى ترتبط باوثق روابط الأخوة الحميمة ويجمع بين شعوبها اقوى اواصر التراحم والقربى .

لقد كان الهدف من انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو ان يكون اداة لتحقيق التكامل الشامل المطلوب فى شتى المجالات والذى تنشده شعوب المنطقة، هذا التكامل الذى سيمكننا من اداء واجبنا تجاه امتنا العربية والاسلامية والتى هى جزء لا يتجزأ منها .

وانه لمن دواعى الاعتزاز ان يكون اصحاب الجلالة والسمو قادة المجلس قد وفقوا فى مؤتمرات قمة الخليج الثلاث السابقة التى عقدت فى ابو ظبى والرياض والمنامة الى اتخاذ خطوات كبيرة شملت شتى المجالات وبدات تاخذ طريقها الى التنفيذ الفعلى مما يجعل من تحقيق التكامل الشامل الذى اشرت اليه حقيقة واقعة تؤكد الاهمية البالغة للعمل الجماعى الجاد المثمر .

ان مؤتمر قمة الدوحة ينعقد، كما تعلمون، فى ظل ظروف بالغة الدقة تمر بها الامة العربية تستدعى منا تكثيف الجهود والمساعى لتحقيق التضامن العربى المطلوب حفاظا على تكاتف وتلاحم الامة العربية من أجل الدفاع عن كيانها واستقلالها ومستقبلها، وفى هذا الاطار يكتسب اجتماع الدوحة اهمية خاصة .

ولعل اكثر ظرف دقيق تمر به المنطقة هو الحرب المستمرة بين الجارتين المسلمتين العراق وايران والتى دخلت عامها الرابع، ولما كانت دول مجلس التعاون لا ترى فى الحرب سبيلا لتسوية المشكلات والخلافات بين الدول، فقد عملت ولا تزال تعمل على دعم كل جهد سلمى لانهاء هذا النزاع، كما اسهمت بدورها بمسعى مباشر على هذا الدرب ولا تزال على استعداد للمساهمة فى انجاح اى مبادرات سلمية للوصول الى ذلك الهدف انطلاقا من



عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى يلقى كلمته فى المؤتمر الصحفى الذى اقيم فى المركز الصحفى بالشيراتون

قناعة اثبتتها الايام بان استمرار القتال فضلا عما يستنزفه من طاقات البلدين فانه يشكل تهديدا خطيرا لامن واستقرار الخليج بل العالم اجمع ولا يخدم فى النهاية سوى مصلحة العدو الصهيونى المشترك .

وتؤمن دول مجلس التعاون بان المحافظة على استقرار هذه المنطقة الحيوية يقتضى ايضا إبقاءها بمنأى عن صراعات ومنافسات القوى الكبرى ، وبان حماية امنها ومصالحها هما مسؤولية دولها وشعوبها بالدرجة الاولى والاخيرة بل هما جزء لا يتجزأ من حقوق سيادتها ، وما مجلس التعاون الا تجسيد للاحساس بهذه المسؤولية وممارستها .

على أن ضمان الامن والاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط من خلال ايجاد حل عادل ودائم لجوهر الازمة وهى القضية الفلسطينية، يكفل للشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية المشروعة فى تقرير المصير واقامة دولة مستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على ترابه الوطنى ، وفى هذا الصدد نجدد التزامنا بمشروع السلام العربى الذى اقرته قمة فاس والذى نعتبره الصيغة العملية الوحيدة لاشاعة السلام والاستقرار فى الشرق الاوسط . واننا نعتقد ان اى مسعى لاخراج المشروع الى حيز التنفيذ يتطلب ممارسة ضغط على اسرائيل من قبل المجتمع الدولى ، وخاصة القوى الكبرى .

وان دول مجلس التعاون وسائر الاقطار العربية ترى ان المفتاح الرئيسى لتسوية الازمة اللبنانية يكمن فى انسحاب اسرائيل الكامل والفورى من لبنان ، لأن غزوها للبلد الشقيق واستمرار وجودها العسكرى فى أراضيه كان ولا يزال السبب الاساسى فيما عاناه ويعانيه من تمزق وانقسام ودمار .

واننا نؤمن ان الخطوة الاولى لتحرير الأرض اللبنانية هى فى اتفاق كلمة اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم وفئاتهم ، على اعادة توحيد وبناء وطنهم وفق ما يجمعون عليه من خلال حوار المصالحة الوطنية الذى بداوا السير على دربه فى سبيل الوصول الى الوفاق الوطنى المنشود الذى سيحقق الامن والاستقرار المطلوبين بفضل المساعى الحميدة التى بذلتها المملكة العربية السعودية الشقيقة والتى هى موضع تقدير الجميع .

واننا نامل فى ان يكون الحوار ايضا هو سبيل الاخوة الفلسطينيين الى تسوية خلافاتهم للمحافظة على مؤسساتهم وفى مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية لتواصل النضال من اجل بلوغ غايات الشعب الفلسطينى الشقيق فى التحرير والعودة .

هذا ما اردت التاكيد عليه من نقاط مهمة ، والله تعالى اسال ان يكتب النجاح لهذا المؤتمر فى تحقيق الامال الكبار المعقودة عليه .

مَجْمَعُ الخير

شعر:
مبارك بن سيف آل ثاني

يـا سائـلاً عـن ريـاضِ الخَيـرِ والمَطَـرِ
هـذا القَـريضُ وروضُ الشِّعـرِ من قَطَـرِ
رأتْ قلـوبٌ لنـا الأنْـوارَ باسمـةً
لا مِثْـلَ نـورِ شموسِ الليـلِ والقمـرِ
فتـلكَ منَّـا شمـوسٌ ليس نَجهَلُهـا
وذاكَ نـــورٌ هَفـا للـرُّوحِ والبَصَـرِ
عَرفتُهـا ، إنَّهـا الآمـالُ قـد وَجَـدتْ
نـورَ الصَّـوابِ ، فنـاداها ألا اعتَمِري
بِتـاجِ مَجدِكِ إنـا السّابقـونَ إلَـى
مَنـاهـلِ المجدِ لا قُلنـا لهـا : انتظِري
أضـاء شـطُّ الخليـجِ اليومَ جَمعُكُـمُ
وقـد رَعتْـكُمُ عـينُ الحقِّ والقَـدَرِ
وَهَـلَّ غـيثٌ لـه الآمـالُ رانيـةٌ
عطشىَ وكَـمْ سـألتْ عن هاطلِ المطـرِ
تـريـدُ وَسْمـاً لهـا لا مَوْسِمـاً وكَفى
فأبشِـري بِغَـدٍ يَختـالُ بالظَّفـرِ
والنّـاسُ بالعَيـنِ والأسمـاعِ عالمـةٌ
نـارٌ علـى عَلَـمٍ أجْلـى إلىَ النَّظَـرِ
هـذا خليـجي نشيـدٌ قصَّـةٌ هَتَفَتْ
تُضـيءُ بالأمـسِ والتّـاريخِ والسِّيَـرِ

تحـكي لنـا قصّـةَ الأيّـام أنَّ بِهـا
نـورَ الحضـارةِ والأحـلام والفِكرِ
تـلك الرّمـالُ مع الأمـواجِ صاغيةٌ
تَـرَي اليقـينَ هنـا بالعيـنِ لا الخبرِ
يـا مَجمعَ الخيـرِ هـذا الجَمعُ مبعثُهُ
صِـدقُ المحبّـةِ يـا أيّـامَنـا انتظِري
جـاءوا إليـكِ بـآمالٍ مُسـرَّجـةٍ
فكم لهـم في جبيـنِ الدّهـرِ مـن غُـرَرِ
مِـنَ الرّيـاضِ فيـا سَعْدَ الرّياضِ بهمْ
تحُفُّهُـمْ رايـةُ الأمجـادِ والظّفَـرِ
مِـنَ المنـامةِ جـاءُوا والقلـوبُ هدًى
كَنـورِ بـدرٍ بَـدا في أكمـلِ الصُّـوَرِ
مِـنَ الإمـاراتِ يا للّـهِ دَرُّهُـمُ
عِقـدٌ نضيـدٌ ، وكـم في العِقدِ من عِبَرِ
مـن الكـويتِ أتَـوْا أهـلاً بِجيـرتِنا
مـن الكـويتِ أتـوْا في موكِبٍ نَضِـرِ
مـن مَسْقَـطِ الخيـرِ مـن مُخْضَرِّ مرْبَعِها
جـاءُوا إلينـا ومجـدَ البحـرِ والسَّفَرِ
هـمُ العقـولُ هنـا في دوحـةٍ وَرَفَـتْ
يـا دوحـةً ظِلُّهـا عـزٌّ لمؤتَمَـرِ
غـداً سيذكُـركمْ تـاريـخُ أُمّتِنـا
يـا أُمَّـتي قـدْ أهَـلَّ الخَيـرُ فافتَخِري



ندوة فكرية بالغة الأهمية:

حول قضايا التعاون وآفاقه وتصوراته المستقبلية

ما هو الاطار الفكرى الذى يجب ان تبحث منطقة الخليج قضاياها من خلاله ؟ .. وكيف يتم التصدى لاعادة صياغة الحياة على هذه الأرض فى عصر التحديات والتجمعات الكبرى ضمن اطار جماعى مشترك ؟ .. وما هى القضايا الحيوية والجديرة بالبحث فى هذه المرحلة الهامة من مسيرة التعاون ؟ .. ولماذا لاتبادر الأمانة العامة لمجلس التعاون بعمل اتصالات بين الأدباء ورجال الفكر والفنانين فى دول مجلس التعاون ؟ .. كل ذلك وغيره طرحته ندوة « الفكر الخليجى حول قضايا التعاون وافاقه وتصوراته المستقبلية » .. وهى الندوة التى أعدها للتليفزيون القطرى الدكتور محمد جابر الانصارى .. واقام بينه وبين المشاركين فى الندوة حوارا على جانب بالغ من الاهمية .. وهذه هى الحلقة الاولى من الندوة التى شارك فيها كل من السادة: عبد الله يعقوب بشارة الأمين العام لمجلس التعاون ، وابراهيم الصبحى الأمين العام المساعد للشئون السياسية لمجلس التعاون ، والدكتور علي حميدان مدير الادارة القانونية والدراسات بوزارة الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة ، والدكتور حسن نعمة سفير دولة قطر فى الهند .

د . محمد جابر الانصارى : لم اجد انسب من القول التالى لافتتاح هذه الندوة « لو كان العالم دائرة مسطحة وكان المرء يبحث عن مركزها لكان هناك سبب جيد للقول بان المركز هو الخليج ، فما من مكان مثله فى العالم تتلاقى فيه المصالح الكونية وما من منطقة مثله مركزية بالنسبة لاستمرار صحة اقتصاد العالم واستقراره » .

هذا القول على اهميته ، يعبر عن بعد واحد من ابعاد الاهمية المتميزة لهذه المنطقة وهو البعد المعاصر الخاص بالحاضر والمستقبل .

ان المنطقة التى كانت نقطة عبور على طريق الهند قد اصبحت اليوم منعطف الطرق العالمية الى تقرير مصير التوازن الدولى ، اما البعد الثانى فهو حقيقة كون الخليج مهدا لواحدة من اقدم الحضارات الانسانية فى العالم والتى تميزت بالانفتاح على الآخرين والتواصل معهم منذ عهود بابل والسند .

اما الاهم من ذلك فهو كون الجزيرة العربية التى هى العمق الاستراتيجى الواقى للخليج المهد الاول والمرجع الدائم للأمة العربية ولحركة الاسلام العظيمة . فهنا الأصل وهنا النبع الحى

بين هذين البعدين ، البعد المعاصر للمنطقة كميزان استراتيجى للتوازن الدولى والبعد التاريخى لها كمهد لأمة عربية كبيرة ولحضارة اسلامية شاسعة ، يتحدد الاطار الفكرى الشامل الذى يجب ان نبحث قضايانا فى نطاقه ، فنحن لا نذكر هذين البعدين للتباهى بهما ، وانما لتعميق شعورنا بالمسئولية العملية المباشرة . فبين هذين البعدين البعد التاريخى والمعاصر يقع عبء مصيرى بغير حدود على عاتق القيادات والشعوب فى هذه المنطقة كما هو واضح من مغزى الأحداث والتحديات الراهنة .

ويزداد عبء المسئولية عندما يتم التصدى لاعادة صياغة الحياة على هذه الارض فى عصر التحديات الصعبة والتجمعات الكبرى ضمن إطار جماعى مشترك يهدف للتوحيد والوحدة ، التوحيد



عبد الله يعقوب بشارة




ابراهيم الصبحي



د . علي حميدان



د . حسن نعمة



د . محمد جابر الانصارى

الذى كان المثل الأعلى لهذه الأرض منذ وجدت برغم التجزئة .

ولجسامة المهمة ووعورة الطريق وكثرة الطامعين وضغط الزمن ، تتسابق كافة الانجازات وكافة التحديات ، وتتزامن المكاسب والمحاذير ، ويترافق الأمل مع الخشية فيشتد التجاذب بين الممكن وبين المطلوب ، بين ما هو كائن وما يجب ان يكون .

لذا فان التقييم الفكرى الشامل والمتوازن والمنصف لمسيرة التعاون بين دول الخليج العربية يتطلب رؤية متوازنة لجانبى الحقيقة ، ووجهى الصورة ، بحيث نضع عيناً على قائمة المنجزات والمكاسب ، ونضع عينا اخرى على ناحية المحاذير والنواقص والتحديات بكل ابعادها ، دون اى تجاهل او إغفال . وذلك لنتمكن فى النهاية من الرؤية الواضحة وبالعمل والارادة من تغليب الايجابيات على ما عداها .

وفى تصورى أن هناك خمسة ابعاد لطرح موضوع التعاون كموضوع شامل ، هذه الأبعاد هى : البعد الاستراتيجى بمختلف جوانبه .

ثانيا : البعد الاقتصادى . ثالثا : البعد الاجتماعى . رابعا البعد التعليمى فالتربوى وخامسا : البعد الثقافى والتوجيهى العام .

وهذه الابعاد متداخلة ومتشابكة ، ولا ينفصل احدها عن الاخر وكل قضية نطرحها يتداخل فيها بعدان او اكثر من هذه الابعاد . ونأمل ان يعالج الاخوة المشاركون فى هذه الندوة ، كل من زاويته وبمنهج واقعى ، القضية او القضايا التى يرونها حيوية وجديرة بالبحث فى هذه المرحلة بالذات من مسيرة التعاون .

نبدأ بالأستاذ عبد الله بشارة . أستاذ عبد الله : ما هو فى رايك الامر الرئيسي او الهم الرئيسي الذى يجب ان يطرح وتلفت له الانظار وينبه له الراى العام فى هذه المرحلة بالذات من مسيرة التعاون الخليجى ؟

عبد الله بشارة :

—— الحقيقة انك فى المقدمة التى ذكرتها تطرقت الى ناحية هامة جدا ، وهى البعد الاستراتيجى . ما هو المقصود بالبعد الاستراتيجى ؟ البعد الاستراتيجى معناه انه اذا لم ينهض اهل الخليج بمسئولياتهم فى المحافظة على امنهم واستقلالهم فان هناك متطوعين موجودين فى هذه الأرض مستعدين لعمل شىء ما فى الخليج للمحافظة على ما يتصورونه امن المنطقة ولكن وفق مصالحهم ومنظورهم . وبالتالى فان ادراك اهل الخليج لهذه النقطة الحساسة يخفف من التبعات التى نتحملها فى الامانة العامة وهى تبعات الشرح والتثقيف والحوار مع الراى العام ..

لقد تنبه لهذا الأمر الهام أصحاب الجلالة والسمو منذ المؤتمر الاول ، وقالوا إن أمن الخليج واستقلال دول الخليج والمحافظة على سيادتها مرهون بابنائها وبالتالى فلابد من بناء قوة ذاتية خليجية صميمة تتحمل هذه المسئولية المصيرية ، فضلا عن



نـــــــــدوة
الفكـــر الخليـــجي

● نريد رأياً عاماً يحاورنا ويحقق معنا "على طريقة الشرطة"

عبد الله بشارة

● ظهور مجلس التعاون رافقته ظواهر اتحادية وتوحيدية أخرى في الوطن العربي

د. محمد جابر الأنصاري

● نحن بحاجة إلى عمل لإخراج المواطن الخليجي من السلبية وتشجيعه على المشاركة في اتخاذ القرار

د. علي حميدان

اساليب نحن نتبعها ومنها الأسلوب الدبلوماسي واساليب الحوار التى اعتادها الخليج وبذخ فيها .

إننى لا اتصور بان هناك امرا ملحا الآن فى هذه الظروف اكثر من امن الخليج ، ونحن نرى فى الافق كثيرا من السحب وكثيرا من المؤشرات التى لا تتفق مع ما نريده فى الخليج . نحن نريد الامن والاستقرار ، نريد إبعاد القوى الأجنبية عن مياه الخليج لا نريد من احد خارج الخليج ان يتدخل فى شئون الخليج ، ونقول بان مسئولية المحافظة على امن الخليج والمياه الاقليمية فى الخليج وماله من خصائص ، وهذه كلها امور مرهونة باهل الخليج .. هذا بعد يجب ان يدركه أهل الخليج . وادراكه لا يعنى الادارك الاكاديمى ، فنحن نريد فى الحقيقة الالتحام بقضايا الأمن لكى ننهض بهذه المسئولية .

فى مؤتمر القمة الثانى فى الرياض بدانا نتحمل مسئوليتنا فى الأمانة العامة وفى الدول الأعضاء باجراء مسح حول امكانيات التعاون للنهوض بهذه المسئولية ، ولكى نفى بالعهد الذى قطعناه والذى يتلخص فى أن المحافظة على امن الخليج مسئولية ابنائه ، ومنذ مؤتمر نوفمبر ١٩٨١ فى الرياض

- مؤتمر القمة الثانى - الى هذه الفترة اى حوالى عامين ، استطعنا ان نقطع شوطا لا باس به ، لكننا قطعناه بنوع من الاجتهاد بيننا وبين الدول . فانا كمسئول فى الأمانة العامة أريد ان يتقبل اهل الخليج تبعات هذا العمل ، وان يتقبلوا التضحية التى يتطلبها ، ماديا ونفسيا مع الالتحام بكل التبعات التى يتطلبها هذا الالتحام . انا استطيع ان اقول إن هذه النقطة هامة جداً ، ويجب ان تطرح على بساط البحث فى امانة ونحن نمر فى وسط العواصف التى لا نعرف كيف تنتهى إن لم نقف على اقدامنا بصلابة وبثقة وبقوة . فهذا هو التحدى الاول .

د . محمد جابر الانصارى :

الشيء الأساسى ، يعنى كما تفضلت فى هذا المفهوم الموضوعى الجوهرى هوتنمية القوة الذاتية ، والقوة الذاتية لها مفاهيم متعددة فى هذا العصر ، فهل ممكن بعض عناصر القوة الذاتية المطلوب تنميتها فى هذا المجال ؟

عبد الله بشارة :

والله انا بكل صراحة اقول إنه لابد من ان تتوفر لنا قوة عسكرية واحدة ، بقيادة واحدة ، باشراف واحد ، لا استطيع ان اقول اننا سنلتحم فورا ، نحن خطواتنا فى الخليج دائما خطوات متانية ، وتخضع لقدرتنا على هضم هذه الخطوات وتنفيذها ولكن يجب ان يكون عندنا هذا النوع من التفكير ، ان نتجه لنوع من الادارة الموحدة او القيادة الموحدة ، نوع من التقبل خليجيا لتبعات هذه المسئولية ، لان مثل هذه الخطوات لها ثمن ، ولها كلفة مادية ، وارى ان يكون لدينا تصور للاولويات ، ويجب ان يكون هذا التصور من باب الاولويات التى يلح عليها الخليج ، مثلها مثل التعليم والتطور الثقافى وبناء الخدمات والهياكل الأساسية ، فنحن نعرف ان استقرار الخليج يؤثر على كل انسان فى هذا الكوكب حتى على الساكن فى قرية فى بلد مثل البرازيل ، فهؤلاء وغيرهم لهم مصلحة فى استقرار الخليج ، ولذلك فاذا لم ننهض نحن ابناء الخليج بهذه المسئولية فستجد غيرنا على استعداد للتطوع ، وبالطبع قد ياتى هذا التطوع باشياء لا تتفق ونهجنا .

د . محمد جابر الانصارى :

وفيما يتعلق بالشعور بالتبعة الجماعية الملاحظ انه ليس هناك إلى الآن راى عام مكتمل وناضج يتبنى مسيرة التعاون . فما السبيل فى رايك لتنمية هذا الاتجاه ؟ تقوية الراى العام والتحسس بقضايا التعاون صحفيا واعلاميا ، وعلى المستوى الشعبى ؟

عبد الله بشارة :

انا من الذين ينادون دائما باهمية ودور الراى العام ، ونحن فى الأمانة العامة نستنهض هذا الدور ونقول بانه يجب ان يكون هناك راى عام يحاورنا ويحقق معنا

على طريقة الشرطة ، لماذا اخفقنا فى هذا المجال وما هى أسباب الاخفاق ولماذا ركزنا على مجال دون الآخر وما هو السبب فى تاخير بعض الجوانب فى عملية الاطار التعاونى الذى نسير فيه ؟

هناك تقصير اعلامى وسببه يعود الى ان اجهزة الاعـــلام ـ رسمية او غير رسمية ـ لازالت اجهزة تتصرف وفق اطار كل دولة ، اى مازالت منفصلة ومستقلة ، ولايوجد إطار لشحنها وربطهـــا بشكل جماعى لكى تدور فى فلك مجلس التعـــاون ، لازالت تتصرف مستقلة ولازالت ايضاً أولوياتها الرسمية هى متطلبات كل دولة ومتطلبات الاقليم والاطار الوطنى لكل بلد ، وسلوك كل بلد . اما مجلس التعاون كاطار خليجى فذلك هدف للمناقشة حتى الآن لم نتوصل له ، واعتقد ان ذلك ربما نتيجة لحداثة عمر مجلس التعاون او نتيجة لانشغال الاعلام الخليجى فى قضايا خليجية وعربية اى نتيجة لكثافة الاحداث وسرعتها ، الأمر الذى لا يجعل الاعلام الخليجى يتامل فى هذا الموضوع وهو مستقبل الخليج . ولذا فاننى اكرر بان قضية التعاون الامنى والحفاظ على امن الخليج ووحدته واستقلاله ، ليس بموضوع اكاديمى ، وانما هو موضوع ملح بدانا نلمسه اكثر مما كنا نلمسه منذ عامين ، واصبح موضوع معايشـــة وهاجس . وبالتالى ، فانا اتصور ان هذا الهاجس يجب ان ينعكس على وسائل الاعلام الخليجية ..

طبعاً .. نحن مقصرون فى عدم دخولنا الى الجامعات ، لم يصبح مجلس التعاون مادة فى هذه الجامعات ، المدارس لم تاخذ دورها فى التعرف على حقيقة مجلس التعاون ، الاجهزة الشعبية من نقابات وغيرها لم تاخذ دورها فى تقوية مجلس التعاون ، وهذا اضافة لانشغالنا نحن بالإمانة العامة ، كما ان المتطلبات اليومية لكل دولة اخذت اولوية على متطلبات العمل الجماعى .. والواضح ان حداثتنا فى العمل الجماعى جعلتنا لازلنا نتلمس الطريق .. لم ندرك العمل الجماعى . كل هذه الاشياء جعلت هذه الفجوة التى نشعر بها ، ونامل أن تزول لكى نتقدم فى عملنا باستمرار ، ونكون هدف للنقد والتساؤل والتحقيق .

د . محمد جابر الانصارى :
بهذه المناسبة هل الأمانة العامة مثلا نظمت او خططت لايجاد قنوات اتصال بينها وبين الصحافة فى دول المجلس ، بينها وبين الجامعات ، وهناك شىء ابسط من هذا وهو تلقي رسائل الناس ، هل مثلا يمكن للأمانة العامة تلقى رسائل الناس فى مختلف القضايا والمواضيع وترد عليها . هل عملتم شيئاً من هذا النوع ؟

عبد الله بشارة :
سارد عليك اولا بالنسبة للنقطة الاخيرة تلقى رسائل من الناس .. فنحن نتلقى رسائل فعلا ، ولكنها كلها رسائل تتعلق بتطبيق الاتفاقية الاقتصادية . تاجر بحرينى مثلا دخل المملكة العربية السعودية التى طلبت منه جمارك على منتجات بحرينية . يكتب لنا لكى نتوسط ـ ونحقق فى الامر ، فى احيان كثيرة يكون هناك سوء فهم ولبس ، فى احيان اخرى يكون السبب هو عدم وصول التعليمات إلى الكوادر التى فى الجهة الاساسية إذن نتلقى رسائل ولكنها على صورة شكاوى .. متعلقة بتجارب مر بها المواطنون . لكننا لا نتلقى اسئلة حول الهواجس او الأمور التى تخلق اهل الخليج .

والواقع اننا لم نذهب الى الجامعات بسبب دخول الأمانة العامة إلى العمل بسرعة والانشغال به ، ونامل أن نضع برنامجاً لعام ١٩٨٤ ـ بعد القمة الرابعة ـ ونحاول فيه ان نتغلغل باى طريقة للجامعة ، وأن ندعو الصحفيين الخليجيين بين وقت وآخر لزيارة الأمانة العامة بهدف الاطلاع على اهم مجريات الامور .

لقد اقمنا ندوات ، لكنها فى الحقيقة غير كافية ، نحن من جانبنا يمكن ان يكون عندنا شعور بالتقصير . من جانب آخر على وسائل الاعلام الخليجية ان تتحرك ، بصرف النظر عن اننا تحركنا ، هذا امر ربما من المفيد ان نتعاون فيه ، ونفكر فى المستقبل فى كيفية ايقاظ وشحن همم الاعلام الخليجى لكى يساعدنا فى تحقيق الأهداف المشتركة .

د . محمد جابر الانصارى :
وانتم مازلتم طبعاً ترحبون برسائل الناس رغم انها تحمل الشكوى .

عبد الله بشارة :
نعم ، نريد الناس أن تمطرنا بالشكاوى فهذا شىء نرحب به .

د . محمد جابر الانصارى :
وربما لو تلمس الناس وتحسسوا هذه المكاسب الصغيرة فعندئذ ينتقلون من الاحساس بهذه المكاسب الى التخوف والتهجس بالنسبة للقضايا العامة . يعنى دع الناس يشعرون بالمكاسب هذه حتى يخافوا عليها وينتقلوا الى الهواجس .

عبد الله بشارة :
نحن نؤمن بضرورة شعور الناس بالمكاسب ، وهذا يتضح من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة وغيرها ..

د . محمد جابر الانصارى :
هذا شىء طبيعى فى كل اعمال التعاون وفى كل الاتحادات .. ولذا فهل يتكرم الدكتور على حميدان ويقول لنا رايه بالنسبة للقضية الرئيسية لمسيرة التعاون الخليجى فى هذه المرحلة ..

د . علي حميدان :
اتفق تمـــاما مع ما تفضـــل به الاخ عبد الله بشارة بالنسبة للقضية الاستراتيجية او الامنية . طبعاً الناحية الاقتصادية مهمة والنواحى الاخرى ايضاً مهمة ، ولكن فى الحقيقة هناك اشياء عجلت بقيام المجلس مثل احداث المنطقة والخوف على امنها .

واود ان اوضح حقائق بالنسبة للامن نفسه ، واعتقد ان هناك مفهومين للامن : مفهوم يتصور ان امن الدولة هو الامن العسكرى ، بمعنى ان تكون للدولة قـــوة عسكرية لكى لا تضـــطر ان

ندوة الفكر الخليجي

● علينا أن نغرس فكرة العمل الجماعي في ذهن الطفل وهو ناعم الأظافر منذ أولى مراحل التعليم

إبراهيم الصبحي

● يجب أن نجعل الإنسان في الخليج يدرك أنه بمقدار ما يكون منتجاً، بمقدار ما ينال من كرم العيش

د. حسن نعمة

تتنازل عن بعض حقوقها ولتتجنب الحرب او غير ذلك . هذا اعتقد انه لا ينطبق على دول مثل دولنا ولا ينطبق على دول العالم الثلث ، وانما هناك مفهوم اخر للامن وهو ما يسمى بالامن المجتمعى ، يعنى امن المجتمع ككل ، وهذا المعنى تتداخل فيه عوامل عدة ليست عسكرية فحسب ، او سياسية فحسب وليست اقتصادية فحسب ، وانما هو مجموعة عوامل تنشا فى هذا المجتمع وتدعو الى تطوره وتعاون ابنائه بالمشاركة فى جميع النواحى بحيث يكون مجتمعاً متكاملا قادراً على صيانة امنه ومصالحه القومية والوطنية .

واذا اخذنا بمفهوم الامن المجتمعى قلنا ان الامن الذى نريده هو هذا الامن المتكامل الذى لا يتمثل فقط فى القوة العسكرية ولكن فى تصور اسس موضوعية لتحقيق الامن المجتمعى للحفاظ على امن المنطقة ومصالحها .

الأسس تنبـــع طبعاً من واقع المنطقة ، فاذا نظرنا مثلا الى المنطقة نجد من الأشياء الهامة فيها قضية الامن الداخلى والتركيبة السكانية ، فالمعروف طبعاً ان هناك اعداداً ضخمة من الاجانب او العمالة الاجنبية فى هذه المنطقة التى اوجدت نوعاً من الخلل فى التركيبة السكانية . وهذا بالطبع له خطورة على الامن الداخلى ، فلابد إذن من وجود اجهزة امن متطورة فى دول المجلس طبعاً ومتعاونة ومتكاملة لمحاصرة هذا التسلل الاجنبى وحماية المنطقة من التخريب الذى قد يزعزع السياسة القومية لهـا .

هناك اساس اخر هو ان امن المنطقة مرتبط بشكل او باخر وقد يكون بشكل اساسى بالامن القومى العربى فنحن نعيش فى منطقة مرتبطة بقومية ، تشارك فى معارك نضالية ، فى قضية فلسطين وغير ذلك ، وهذا يعنى ان امننا لا يمكن عزله عن القومية العربية .. وهذا يقودنا الى اساس اخر فى علاقتنا مع الدول ، لانه اذا كان امننا مرتبطا بالامن القومى العربى ، ولنا مشاكل مع دول كبرى ، فلابد اذن ان نوجد نوعاً من التوازن في العلاقات بين الدول الكبرى ، ولا اريد ان ادخل فى التفاصيل التى قد نتطرق لها فى اثناء الندوة ، يعنى علاقتنا بالولايات المتحدة ، علاقة الولايات المتحدة باسرائيل ، علاقتنا بالاتحاد السوفيتى وغير ذلك . انما لكل هذه الظروف وارتباطنا بالمصير العربى يجب ان يوجد نوع من التوازن فى العلاقات مع الدول .

هذا ايضا يقودنا الى نقطة اخرى وهى حرصنا على حركة عدم الانحياز وانتمائنا اليها . لماذا ؟ يعنى قد يقال إن حركة عدم الانحياز فى الحقيقة لم تعد غير منحازة ، وهناك نقاط ضعف فى الحركة كثيرة ولكن المبادىء التى تقوم عليها هذه الحركة فى الحقيقة تتمشى تماما مع اهدافنا فى المنطقة واذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مثلا: عدم التدخل فى الشئون الداخلية وعدم استعمال القوة لحل النزاعات وحلها بالطرق السلمية ، وعدم اقامة قواعد عسكرية لدول اجنبية ، فهذه وغيرها اعتقد انها من الأسس التى تقوم عليها سياساتنا .

وهناك اسس اخرى ايضا منها تقوية البنية الداخلية فى المجتمعات واشراك المواطن الخليجى . فى الحقيقة المواطن هو اساس الأمن ، يعنى يجب ان يكون الامن اساسه هو الانسان فى الخليج ، وهذا يتطلب عملا ما لاخراج هذا الانسان او هذا المواطن من السلبية وتشجيعه على المشاركة فى اتخاذ القرار سواء كان سياسيا او اقتصاديا ، لكى يشعر بان الامن هو امنه بالفعل ، ويحس بانه معنى بقضايا الامن . بالطبع طبعا توجد اسس تكوين قوة كما ذكر الاخ عبد الله بشارة ، قوة عسكرية متماسكة ، قادرة على حماية المنطقة ، وطبعا انا فى حقيقة الامر سعيد انى ارى الخطى متقدمة جداً بالنسبة لهذا الموضوع ، فالخطى اسرع مما كنا نتوقع .

عبد الله بشارة :

ممكن يا دكتور انصارى نضيف نقطة واحدة على ما تفضل به الدكتور على حميدان حول ارتباط الخليج بالامن العربى ، فغياب الامن العربى ، والخلافات العربية السياسية والحروب العربية السياسية والحروب العسكرية ، والدم العربى المستمر والجهود التى امتصت الفكر العربى والجهود المبعثرة حول خلافات ، كل ذلك وغيره جعل جهود الخليج تتضاعف وتتزايد. امتنــــا فى الخليج يرتبط ويتعزز كثيراً عندما يسود التواؤم العربى والوئام العربى ، عندما تختفى الخلافات العربية ويختفى هذا التصدع فان منطقة الخليج تكون فرصتها اكبر فى الاستقرار ، ففى غياب التضامن العربى والحوار العربى ، تبقى منطقة الخليج منطقة لا تخلو من التوتر. ولذلك فان هاجسنا الامنى الآن إذا كان سببه الوضع الاستراتيجى او الوضع العالمى

وسباق الدول الكبرى ، فان سببه ايضا غياب الأمن العربى ، ففى ظل عدم وجود الامن العربى ، اخذ هاجس الامن عندنا يتضاعف وتتزايد حدته .

د . محمد جابر الانصارى :

ولكن ربما كاضافة لهذه الملاحظة ، ومما يدعو للتفاؤل ايضا ، ان ظهور المجلس لم يبق ظاهرة منعزلة فى الوطن العربى وانما رافقتها ظواهر اتحادية وتوحيدية مماثلة ، المغرب الكبير مثلا ومحاولة توحيده ، التوحيد بين شطرى اليمن ، التكامل بين مصر والسودان : وادى النيل) ، والملاحظ ان مجلس التعاون له دور فى التقريب بين الاخوة والاشقاء فيبدو ان هناك اسلوبا جديدا يتبلور الآن وهو ان هناك كتلا جغرافية متمـــاثلة تتقارب والاقرب فالاقرب اولا ، ثم هذه الكتل تتعاون فى منظومة واحدة وربما هذه من المؤشرات الجديدة فى العمل العربى المشترك .

والآن ننتقل الى الاستاذ ابراهيم الصبحى فليتفضل ، بالنسبة لما يراه من قضية أو قضايا اساسية فى هذه المرحلة من مسيرة التعاون .

ابراهيم الصبحى :

انا اتفق طبعا مع الاستاذ عبد الله والدكتور علي بالنسبة لتقييمهم للبعد الاستراتيجي ، وبودى هنا ان ارسخ فكرة هذا البعد بان نتذكر معنى الآية الكريمــــة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لنستخلص معنى القوة ، هل هى القوة بمفهومها الحاضر اى اعداد جيش قوى قادر على ان يحافظ على امن واستقرار المنطقة ام ترى الامن الداخلى بمعنى أن تكون هناك جبهةقوية متماسكة ، ام ان نعطى بعد اخر للقوة بمعنى قوة المجتمع وهو المعنى الذى ذهب إليه الدكتور علي ؟ .. فى تصورى العناصر الثلاثة مكملة لبعضها البعض ، فلابد من ان تكون هناك قوة اذا اردنا ان تكون هناك مصداقية للمبدا الذى نردده دائما فى مجلس التعاون ، وهو اننا نعتمد على قدراتنا وطاقاتنا الذاتية وننميها ونقويها قدر الامكان . ثم لابد ايضا من ان تكون هناك جبهة قوية متماسكة ولكننى اود ان اركز على العامل الثالث وهو قوة المجتمع وتماسكه .

فاعود الى الأسس التى ذكرتها فى مقدمتك ، واقول إن الثقافة والتعليم من الأسس الهامة . بمعنى اننا لو استطعنا ان نغرس فكرة هذا العمل الجماعى فى ذهن الطفل وهو ناعم الاظافر منذ بداية مرحلة التعليم ثم نسير به تدريجيا حتى يصل الى مرحلة الادراك والوعى ومرحلة النضج . ربما تكون هذه مرحلة طويلة لكن اقول لابد ان نبدا بها منذ الآن .

فى عملية الثقافة ايضا ، لابد ان يكون المجتمع ملما وواعيا لمفهوم واهداف مجلس التعاون ، وهذه كما عالجتها انت بالنسبة لاتصال المجتمع بمجلس التعاون عن طريق القنوات الثقافية سواء عن طريق الجامعات او عن طريق المدارس ، ولابد هنا ايضا ان تكون هناك حملة تقوم بها الامانة العامة متضافرة مع جهود الدول فى المدارس وفى الجامعات ، فلا يكفى ان تكون الامانة العامة فى الصدارة ، ولكن يجب ان تكون الدول مكملة لدور الأمانة العامة .

هذا يقودنا طبعا الى عملية تنظير مجلس التعاون ، كيف او لماذا نشا مجلس التعاون فى هذه المرحلة ، ولم ينشا فى مراحل سابقة ؟ نشا لأننا وصلنا إلى مرحلة من الوعى ومرحلة من النضج ، فهذه المرحلة المتدرجة نحن فى امس الحاجة اليها لتنميتها فى نفوس المجتمع ، وعندما يشعر ابناء هذا المجلس بمصالحهم وتشابك هذه المصالح ، عندها سنصل إلى ما نصبو إليه بالنسبة للمجلس .

فانا إذا ركزت على الناحية الثقافية والناحية التعليمية فليس معنى ذلك ان نغفل النواحى الاخرى : الامنية والاستراتيجية والاقتصادية ، فكل هذه النواحى لها اهمية كبرى وابعاد كثيرة جدا ، ولكن فى تصورى ان التعليم شيء مهم وهو الذى لم ندخل مجاله حتى الآن .

د . محمد جابر الانصارى :

الحقيقة ان هذا يلقى ضوءا على قضية شيقة ، هو اننى لاحظت من بعض مناقشات الأمانة العامة فيما تكتب وتحلل عن قضايا التعاون ، الاخ ابراهيم يرى أن التعليم شيء اساسى ، وبعد رئيسى من ابعاد التعاون . انا قرات فى هذه المجموعة الطيبة من المنشورات التى جاءت من الأمانة العامة ، ان المسار الثقافى والتعليمى يعتبر مسارا جانبيا او ربما ان التوحيد فى هذا الجانب يتخذ صفة التقريب فى الوقت الحاضر ولا يتخذ صفة التوحيد بسبب التعدد . فما الراى فى هذا المجال ، خاصة وان التعليم هو اساس بناء المجتمع الموحد والانسان الموحد ، فلماذا يبقى مجرد تقريب للجانب التربـــوى فى هـــذه المرحلة .. ممكن ايضاح هذه الناحية ؟

عبد الله بشارة :

مجلس التعاون قام بميثاق يمثل النظام الأساسى ، وهو يتسع افقيا وعموديا ، ليس له حدود ، ويختص بكل شيء ويتناول كل شيء ، ولذا بدانا بمرحلة التفكير فى الأولويات ، ما هى الأولويات ؟ كانت توجيهات اصحاب الجلالة والسمو فى المؤتمر الأول انه لابد من عقد اتفاقية اقتصادية شاملة تحول الخليج الى سوق خليجى مشترك بعد خمس سنوات . بعد اسبوع واحد من مؤتمر القمة الأول دعونا وزراء المالية لأول اجتماع فى مجلس التعاون ، وبعد اسبوعين وقعت الاتفاقية بالاحرف الأولى ثم وقعها الرؤساء بعد خمسة اشهر فى نوفمبر ١٩٨١ فى الاجتماع الثانى . واتخذ التشابك الاقتصادى كوسيلة لتحقيق الهدف الذى هو وحدة الخليج .

ولكن من خلال الممارسة فى عملنا ، لابد من تحديد مراحل لتنفيذ الخطوات والأهداف ، ولا يمكن أن نصل مرة واحدة نحو اهدافنا ، فوجدنا بان هناك مجالات سهل توحيدها ، وهنـــاك مجالات وميادين صعب توحيدها فى هذه المرحلة نتيجة لخصائص كل إقليم . نحن لذلك نقول باننا تجربة كونفدرالية ، معناها ان كل دولة من الدول الست تحتفظ بخصائصها على الاقل مرحليا ، وقد وجدنا بانه هناك خصائص لكل دولة فى مجـــال التربية والتعليم ومواصفات المناهج الامر الذى يجعل توحيد هذا

الشيء أمراً صعباً . فقلنا اذا تعذر التوحيد فليكن التقريب وهي سياسة الممكن . نحن نتبع في الخليج ـ مجلس التعاون ـ سياسة الممكن وليس سياسة العسير ، لا يمكن أن نسير وراء شيء عسير المنال ، ولكي نكون صادقين مع انفسنا لابد أن تكون خطواتنا بقدر قدرتنا على التنفيذ . وبالتالي فان توحيد مجال التربية والتعليم وتوحيد القوانين والقضاء يحتاج إلى معالجة خاصة ، ولذلك فان مسيرتنا تتسم بالحذر والبطء ، والهدف هو التقريب وليس التوحيد في هذه المرحلة على الأقل إلى أن نخلق ديناميكية عنفوان عمل يأخذنا ويسهل الصعب ، ما يصعب تحقيقه اليوم سيكون سهلاً في المستقبل عندما تتوفر عندنا قوة ديناميكية ، نوع من عنفوان العمل يسخر هذه القوانين ويخضعها للعمل الجماعي ، حتى الآن نحن لم ندع وزراء التربية للاجتماع ، حتى الآن بعد مرور سنتين ، لماذا ؟ لأن الوزراء يجتمعون في إطار مكتب التربية الموجود في الرياض ولا نريد حقيقة أن نجعل عملهم مضطرباً في هذه المرحلة طالما هم سائرون في هذا العمل ، فليكن ذلك ، نحن على علم بما يعملون . نحن نريد أن ندخل مجلس التعاون كمنهج . هذا أمر من الامور الملحة ، التي سنركز عليها في الأيام القادمة باذن الله .

نحن طبعاً مهما كان جهدنا ، محدوداً ، فقد وجدنا انفسنا منتشرين بشكل يجوز أن يكون اكبر مما كنا نتوقع بكثير ، فمثلاً في القضايا السياسية ، اصبحت سياستنا واحدة ، وفي قضايا الجانب الدفاعي ، تحققت خطوات لا باس بها ، وفي جانب التشابك الاقتصادي حققنا اشياء لا باس بها ، وعلى صعيد الدفاع والاقتصاد والسياسة ، اعتقد اننا حققنا خطوات جيدة .

د . محمد جابر الأنصاري :

وربما بالنسبة للتوحيد التربوي أن نبدأ بتوحيد التعليم الابتدائي مثلاً كمرحلة أولى أو توحيد التعليم الصناعي بالذات والمهني باعتباره أساس التنمية المشتركة ، يعني يمكننا توحيد أشياء محدودة في هذا القطاع .

عبد الله بشارة :

في برامج التدريب هذا موجود .

د . محمد جابر الأنصاري :

الحقيقة هذا يقربنا من موضوع إعداد الانسان وتوحيد الثقافة ليس فقط في المجال التربوي ولكن في مجال الآداب والفنون والحضارة بصفة عامة . وربما كان الأخ الشاعر الدكتور حسن نعمة هو الأجدر والأقرب للتحدث عن هذا الموضوع .

د . حسن نعمة :

في الواقع فيما تحصل لي من مقولات الأخ عبد الله والدكتور علي والأخ ابراهيم ، لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بين القضايا المتشابكة والمترابطة التي تواجه مجلس التعاون ، ولاشك أن قضية الثقافة هي من أولى القضايا التي تواجه مجلس التعاون . فهذه القضية في الواقع مرتبطة بمفهوم مجلس التعاون . ما هو مفهوم مجلس التعاون ؟ وما هو ادراك المرء لذلك المفهوم ؟ في الواقع يتنازع ذهني وذهن المستقرىء لمجلس التعاون أمران مهمان : الأمر الأول : النظر لمجلس التعاون ككيان على شكله الحالي له امكانيات محدودة ينطلق من ادائها وله قضايا يستطيع انجاز بعضها ولا يستطيع انجاز البعض الآخر منها . والأمر الثاني النظر لمجلس التعاون ككيان يفترض أن يكون فيه كيان يؤدي بالمنطقة الى التكامل المنشود ، أعني التكامل المنشود في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وذلك التكامل سيؤدي أيضاً بالذات لتحقيق ما تنتظره الشعوب من مكتسبات ومنجزات .

المهم في هذين الأمرين هو قضية الانسان التي هي في الأساس ركيزة الثقافة وقاعدة كل شيء .

قضية الانسان في الخليج ، هي التي تواجه مجلس التعاون ، فهناك قضايا كثيرة يستطيع مجلس التعاون البت فيها أو حلها ، ولكن فيما يبدو لي أن قضية الانسان تظل هي القضية الاساسية قبل كل شيء .

كما نعلم فان الانسان في الخليج كان انساناً مثمراً وكان انساناً منتجاً في الماضي ، وكانت له علاقات في الانتاج والعمل ، علاقات مثمرة ومنتجة أيضاً ، وهذه العلاقات في العمل والانتاج أيضاً أدت إلى تمتين العلاقات الاجتماعية عند الانسان الخليجي ، في الماضي ، فكانت تلكم العلاقات وطيدة ومتماسكة ومتجانسة ، ولم يكن هناك أي خوف أو رهبة عند الانسان في الماضي ، خوف من المستقبل أو من المصير كما هو حاصل عند الانسان اليوم .

في الواقع أن ظهور النفط وما صحبه من ثروة أحدث تغييراً شاملاً في أنماط العيش والسلوك وفي أشكال التفكير عند الانسان وهذا التغيير في الواقع أيضاً أحدث تصدعاً في القيم . وهذا التصدع أدى الى الاخلال بالتوازن بين المكافاة المعنوية والمكافاة المادية ، وأدى الى طغيان القيم المادية الفردية الأنانية على القيم المعنوية الاجتماعية .

كل هذه المعضلات ، أو قضية الانسان ، يجب أن تحل ، ويجب أن نعيد ذلك الانسان لكي يكون انساناً ذا قيم منتجة ، وأن نجعل ذلك الانسان يدرك انه بمقدار ما يكون منتجاً ، بمقدار ما ينال من كرم العيش .

د . محمد جابر الأنصاري :

هل يمكن تحديد معالم اعادة البناء ؟

د . حسن نعمة :

هذه النقطة سأتي عليها . في الحقيقة انا تعرضت لقضية الانسان لانها هي في الأساس قضية الثقافة .

كيف نستطيع بناء الانسان من جديد ؟ أو بناء الانسان من جديد بناء متميزاً وخلاقاً ؟

لا يمكن بناء الانسان الا عن طريق التنمية الثقافية لانها هي في الأساس الدعامة والأساس الفعلي لكل النواحي الاخرى في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأيضاً قضية متعلقة بالامن ، ما نعني بالامن ليس الامن المتعارف عليه ، لكنك لا تستطيع ان تفترض في أناس بهم قطاع كبير لا يزال أمياً ، ومنهم قطاع كبير أنصاف متعلمين ، يستطيعون الصمود والثبات في مجالدة أي خطر خارجي ، فالحقيقة أن الامن هو تحصين الناس ثقافياً وهو أيضاً توفير الامكانات والمناخ الثقافي الملائم لهؤلاء الناس لكي يتمكنوا ولكي يدركوا أن هذا الوطن هو حصن للجميع ، ولكي

يدركوا ايضا الأخطار والمشاكل التى تواجه هذه المنطقة .

وفى الواقع فان الانسان فى هذه المنطقة معزول عن القضايا المهمة او القضية الام وهى قضية الديمومة والاستقرار والاستمرار والتطور .

عود على قضية الثقافة ، كيف يمكن ان نتصور اى مجتمع ليست فيه مؤسسات كافية ، مؤسسات للانسان الموكل اليه الدفاع والموكل اليه النضال فى سبيل هذا الوطن ؟ لا اكتمك هناك بعض الدول الشقيقة قد خطت خطوات جيدة فى انشاء كثير من المؤسسات الثقافية مثل دولة الكويت فى الواقع . هناك تفاوت بين دولة ودولة بمجلس التعاون فى انشاء مثل تلكم المؤسسات .

ان اى نهضة فى الوجود لاى منطقة من مناطق العالم لم تستطع ان تحصن حدودها وتدفع عن نفسها الاخطار ، مالم تكن بها مؤسسات ، مؤسسات للانسان ، اهم هذه المؤسسات بالفعل هى مؤسسات الثقافة .

وهذه القضية ايضا مرتبطة بالقضية التى اثارها الدكتور على وهى قضية المشاركة ، مشاركة الانسان وجدانيا ومشاركة الانسان عقلانيا ، ومشاركة الانسان فى اتخاذ القرار الســـياسى والاقتصادى وغيره من القرارات الاخرى .

قضية المشاركة فى الواقع هى مهمة جدا لاننا لا نستطيع ان نتوقع كيف يدرك الناس فى المنطقة كنه المعضلات وكيف يمكن ان يوصلوا كلمتهم لمجلس التعاون ، مالم تكن هناك مؤسسات ثقافية لانه فى عملية بناء الانسان . هناك آراء وهناك افكار وهناك مدارس تختلف فيها وجهات النظر ، وعلى مجلس التعاون ان يولى هذه القضية المزيد من الاهتمام .

ربما يقول قائل إن هناك كثيراً من الدول العربية المجاورة ، التى هى ايضا لها تاريخ حافل بالحضارات وهى ايضا اكبر من منطقتنا عدداً فى السكان او اكبر فى الرقعة الجغرافية ، كثير من هذه الدول العربية المجاورة وغيرها لاقت فيها المؤسسات الثقافية كثيراً من العنت ، وكثيراً من الاهمال ، فنحن ايضا فى موقف ، هل ننظر لهذه الدول كمثل يحتذى لانها لاقت كثيراً من العنت وكثيراً من التخلف فى انشاء مثل هذه المؤسسات ونقول نحن ولله الحمد بخير .

لا .. لسبب واحد اننا نحن فى منطقة الخليج نختلف عن مناطق البلاد العربية الاخرى بسبب اننا محاطون باخطار تختلف عن الاخطار التى تواجهها كثير من البلاد العربية من ناحية التكوين السكانى ، من ناحية انفتاح الرقعة الجغرافية وتشابك المصالح الاقتصادية وتكالب العـــالم على استغلال هـــذه المنطقة .

هناك خلاف متباين تماما ، انا اخشى على مجلس التعاون ان ينظر الى قضية المؤسسات كقضية ثانوية لانها هى ـ قضية المؤسسات ووجود المؤسسات ـ التى تلد الرجالات فى المنطقة . فى السابق رجالات المنطقة كانوا اكثر استعدادا ، واكثر قوة .

قضية الاصالة ايضا فى الثقافة ، قضية مطلوبة وتعميم الثقافة . متصل ايضا بمسالة الامن القومى ... يمكن ان يكون عندك نخبة من المثقفين ، نخبة ميسورة ، تستطيع ان تستلم زمام الادارة لدول مجلس التعاون ، تستطيع ان تكون الرائدة والمنفذة لكثير من الخطط والمشاريع المرتجاة ، لكن اذا ظلت الثقافة منحصرة فى نخبة معينة تصبح اغلبية الناس معزولة تمامـــا ولا تستطيع ان تحمى الوطن ، وهناك قضية تعميم الثقافة المطلوبة لبناء الانسان فى الخليج بصفة عامة .. فنحن مُوزعون بين هاتين الناحيتين او هذين النوعين من الثقافة ، ولاشك فيما تفضل به الدكتور محمد بان الثقافة هى المطلوب الاول او المنشود الاول للمنطقة لانه عن طريق التنمية الثقافية سنصل لحل كثير من المعضلات فى التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية .

وارى ان المؤسسات التى انشئت فى دولة الكويت مثلا ، مثل المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب قد خطا خطوات ممتازة جداً ، ولاول مرة نرى الكويت دولة فيهـــــا مفكـــرون وفيها ادباء ونرى ايضـــا ان هـــذا المجلس خطا خطـوات فى فترة قصيرة جداً لكى يجعل من الكويت دولة منفتحة على الثقافات الانسانية وعلى الفكر الانسانى وبالتالى ايضاً سعى لتاصيل الثقافة المحلية او الثقافية القومية العربية .

واعتقد انه طالما هناك مجلســـا مثل هـــذا المجلس فى الكويت ، فان هذا المجلس مثل يجب ان يحتــــذى واعتقد ان انشاء مجلس موحد جامع للثقافة والآداب فى منطقة الخليج ككل سيكون دعامة اساسية لكل ما تصبو له شعوب المنطقة من رقى ونهضة .

د . محمد جابر الانصارى :

ما راى الاستاذ عبد الله بشارة فى فكرة إنشاء مجلس اعلى للثقافة والفنون على صعيد المنطقة ككل ؟

عبد الله بشارة :

لنا تجربة بمجلس التعاون فى قضية جعل مركز واحد يمثل الدول كلها . عندنا فى المملكة مركز المعلومات السعودى اصبح الآن مركز المعلومات لدول مجلس التعاون . عندنا هيئة المقاييس والمواصفات السعودية اصبحت هيئة المقاييس والمواصفات الخليجية ، ما يقال عن مركز الثقافة الموحد ممكن طبعا ، لا توجد مشكلة فى اقراره والامر متروك لاصحاب الجلالة والسمو . لكن فقط مجرد ملاحظة. اننا واعون لاهمية الثقافة وواعون لاهمية نوعية الانسان الذى يجب ان يعيش فى هذه المنطقة لكن يجب ان نقول بان الثقافة ومفهوم الثقافة شىء جديد على المنطقة . يعنى منطقة الخليج بهذه المفاهيم التى سبقنا العالم العربى فيها والعالم الأوروبى والعالم الثالث كثيراً ، منطقة الخليج حديثـــة العهـــد بهـــذه الأشياء ، فحتما ربمـــا نحن متاخرون فى هذا المضمار . وان كنـــا واعـــين ومدركين للمشكلة ومدركين لضرورة قيام شىء جديد مثل مركز خليجى للثقافة والآداب ، لكن ذلك ليس بالشىء السهل ، يعنى المركز الكويتى جيد وهو يقوم بترجمة المعرفة هذا شىء ممتاز ان نقدم روائع الكتب العالمية ، ربما هذا اليوم قراؤنا قليلون لكن هذا للمستقبل ، فنحن نبنى قاعدة . هذا اسهام للثقافة الانسانية وللتراث الانسانى ، شىء ممتاز ، ونامل ان نستفيد من تجربة الكويت ونستفيد من مركز الكويت ، ونامل ان يكون فى يوم ما





هناك مركز عام للثقافة على غرار ما عملناه فى المراكز الاخرى .

د . محمد جابر الانصارى :

كخطوات تمهيدية لهذا الشيء ، بموازاة الاتصالات المتقدمة التى تجرى بين المسئولين فى الادارات بدول مجلس التعاون ، هل ممكن للأمانة العامة أن تبادر بعمل اتصالات بين الشباب والأدباء ورجال الفكر والصحفيين والفنانين فى دول المجلس ؟

عبد الله بشارة :

نعم بدانا السنة الماضية والآن حتى اخذنا قطـاع الشـــبيبة ، هنـــاك باخرة عمانية الآن تجوب الموانىء هذا جزاء من النشاط الذى نظمناه ، ايضا الآن هناك فكرة على أساس مخيم كشفى للشباب الخليجى ، وهناك لقاء للمسئولين عن الثقافة سنقيمه ، وهناك فكرة على أساس مهرجان شبيه بالمهرجان الذى تم فى باريس منذ عامين (مهرجان ثقافى خليجى) ، ايضـــا هناك فكرة نامل تحقيقها وهى ان يتوفر لنـــا مركـــز للتراث الثقافى الخليجى فى الرياض او فى اى عاصمة خليجية مرتبطة بمجلس التعاون .

ابراهيم الصبحى :

اريد ان اضيف نقطة الى ما قاله الاستاذ عبد الله ، فى الحقيقة بدانا فعلا فى الاتصال بمركز التراث الشعبى فى الدوحة ، هناك مشروع الآن ، يتعلق باغنية البحر وهى احد الافرازات الثقافية التى كان يتحدث عنها الدكتور حسن وفعلا المركز استدعى بعض المختصين ومنهم الدكتور يوسف الدوخى من الكويت ، وعقدوا اول اجتماع لهم فى قطر ونحن ماضون فى هذا المشروع . وقد نوقش موضوع حماية الادباء والمفكرين والفنانين الخليجيين خلال اجتماع وكلاء وزارات الاعلام فى ابو ظبى فى العام الماضى ، فنحن اذن ماضون بخطوات هامة فى هذا المجال .

د . محمد جابر الانصارى :

سؤال اخير يا اخ عبد الله ، من ناحية المتابعة والتحقق من تنفيذ الالتزامات ، وهذا جانب مهم فى أى عمل اتحادى ، هل الأمانة العامة الآن لديها من الأدوات والاجهزة ما يمكنها من هذه المتابعة ومن التحقق من تنفيذ الالتزامات ؟

عبد الله بشارة :

نعم ، كان لها القدرة ، لكن لم تملك الصلاحية . ما حصل فى المؤتمر المشترك الذى عقدناه فى شهر اغسطس فى الطائف عندما طلبنا من وزراء الخارجية ووزراء المالية باعتبار وزراء المالية هم الذين وضعوا الاتفاقية الاقتصادية ، طلبنا منهم نحن من خلال ممارستنا فى مجلس التعاون أن نرسل لهم كثيراً من المشاكل ، وطلبنا منهم تفسيرات ، وتوصلنا الى نتائج ، النتيجة الأولى ان للامانة العامة صلاحية البحث الميدانى للوقوف على المشاكل التى تعترض تنفيذ الاتفاقية ونحن عندنا فريق يذهب الى الموانىء ويذهب الى الجمارك ، ويقرا الأوراق ويعرف لماذا مثلا البضائع المنتجة فى عمان لا تصل الامارات ، ما هو السبب هل هناك مثلا محاولة وضع جمارك او شيء اخر ـ وهذه ظاهرة بالخليج ـ فالقرار يتخـذ على مستوى عال ثم ينزل للفنيين .. ووصول القرار إلى الاقسام والاجهزة المنفذة هذا شيء ليس بسهل ، ولا سيما فى المناطق الكبيرة الشاسعة .

متى تصل تعليمات تنفيذ القرار الى مناطق بعيدة او مخافر بعيدة فى مناطق نائية . عندنا جهاز يتاكد من ذلك ، واعطى صلاحية وهو جهاز رصد ، ولكن هذا ايضا يعتمد على تجارب المواطن . نحن نريد من المواطن ان يقول لنا إذا شعر ان هناك عقبـات او هنـــاك مشاكل ، فاننا كجهاز امانة عامة لنـــا من الصلات مع الدول الأعضاء ما يذلل هذه العقبـــات بسهولة .

د . محمد جابر الانصارى :

شكراً للاخوة المشاركين فى الندوة

في العـدد القـادم :

الحلقة الثانية من ندوة الفكر الخليجي يشترك فيها :

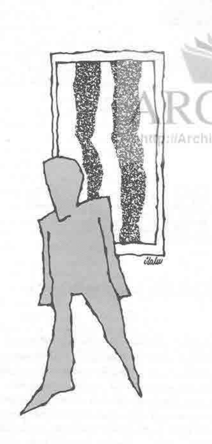
- الدكتور محمد عبده يماني
- د. محمد الأحمد الرشيد
- الأستاذ علي الجيدة
- د. علي حميدان
- د. حسن نعمة

في نفس العدد تقرأ لهؤلاء :

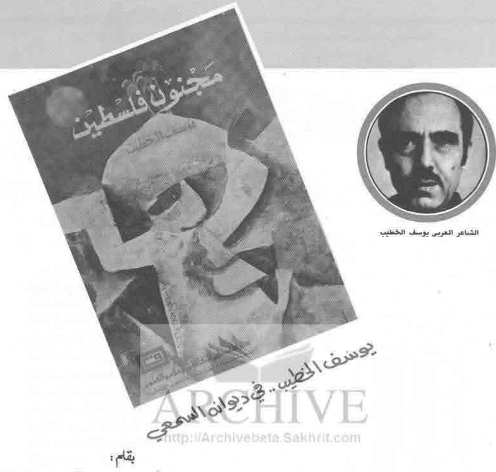
- زكريا تامر
- أحمد العناني
- عباس خضر
- محمد الظاهر
- د. يحيى رجب
- عصام شريح
- يوسف الشاروني

العائد بعد فوات الأوان

شعر: عبد المنعم عواد يوسف



يا أيها الذى اتيتّنى :
معذرةً ، لقـد فقدتّنى
ابعْدَ ان ثقبتُ طوقىَ الأخير جئتنى ؟
ابعْدَ ان بدأتُ رحلةَ الهبوطِ ،
نحو قاع ذلك الخضمِّ عدتَ ؟
آهِ كم خـــذلتّنى
لو جئتَ قبل لحظةٍ لما خسرتّنى
لو جئتَ قبل لحظةٍ لكنتَ قد نجدتّنى
الم يكن فى الوسع ان تجىءَ والزمان فى يدى ؟
لو جئتَ قبـــل ثانيةْ !!!
ثانية يتيمة ، لكنتَ قد وجدتّنى
لكن تجىء فى الزمان الصفر
آه ، آه ،
قـد اضعتّنى
اهكذا تركتّنى ؟
مضيّعا ، وبعدها تجيئني ؟
انا الذى ماكنت فى يوم اخال أن تفوتّنى
اسقيتّنى العذاب ، بالمرّ ما اسقيتّنى !
اطعمتّنى السهادَ ، بالسوء ما أطعمتني !
وبعدها تجيئنى ؟
تجيئنى بكل ما من حلوهِ حرمتّنى ؟
لكن تجىء والزمان ضاع ،
اى قيمة لكل مابه ، غدا ، اتيتنى ؟
ياليت كنتَ جئتّني ،
بنصفِه ، بثلثِه ، بربْعِه ،
بعُشـــره ،
وكنت ما تركتنى !!
معذرةً ، لقد فقدتّنى ...



الشاعر العربى يوسف الخطيب

يوسف الخطيب.. في ديوانه السمعي

بقلم :
ناهض منير الريس - دمشق

مجنون فلسطين

أول ديوان من نوعه في الأدب العربي

بمرافقة « بتهوفن » فى افتتاحية « ايغمونت » ، ينهض الشاعر من جنازته ويمشى ، وبمرافقة « فرانز ليست » فى « جحيم دانتي » يخرج الى بادية الشام ، وبمرافقة « ريمسكى كورساكوف » فى « شهرزاد » يهدهد نفسه على ارجوحة الفرح ، وبمرافقة « برليوز » فى « جنازة وانقصار » يعيش معارك المقاومة فى ازقة واحياء غزة .

انه يوسف الخطيب ، فى ديوان شعره الرابع « مجنون فلسطين » . اول ديوان شعر سمعى تعرفه مكتبة الشعر العربى ، فى غلاف مجلد من رسم الفنان نذير نبعة ، فاذا فتحت الغلاف ، وجدت الى اليمين كراسا يشتمل على فهرس القصائد مع اضاءات نثرية على بعضها ، ووجدت الى اليسار اربعة اشرطة تسجيل ينشد فيها الشاعر بصوته على مدى اربع ساعات ونصف ، اربع عشرة قصيدة متفاوتة الطول كتبها بين عامى الف وتسعمائة وخمسة وستين والف وتسعمائة واثنين وثمانين .

ان صاحب قصيدة « دمشق والـزمن الردىء » ، التى كانت حقا اول قصيدة مدورة فى الشعر العربى عام ١٩٦٢ ، ما زال فى جعبته المزيد من المفاجآت . ومفاجآت يوسف الخطيب بعيدة جدا عن ان تشبه « التقاليع » التى يخرج بهـا البعض على القراء بقصد تدويخ القارىء . ويوسف الخطيب هو هو الشاعر الكلاسيكى اذا كانت الكلاسيكية تعنى الحفاظ على اللغة والتراث . وهو مجدد ايضا ، فى اسلوب التناول ، وفى الصور والاخيلة ، وفى رؤية الزمان وادراك خصائصه المميزة .

وعالم يوسف الخطيب فى هذا الديوان ، هو عالمه الاول فى دواوينه الســابقة « العيون الظماء للنور » و « عائدون » و « واحة الجحيم » .

انه الانسان العربى الفلسطينى الـذى يواجه قدر الغربة والقهر بارادة الصمود والنضال ، ويرود مستقبلا افضل للامة كلها . على ان خمسا وعشرين سنة مرت بين اصدار الديوان الاول والديوان الرابع ، لم تنضج قدرات الشاعر فحسب ، وانما انضجت فى الوقت ذاته رؤيته للاشياء ، واكتشافه لما هو عام فى التجربة الخاصة ، وهكذا انبثقت قصائده وحلقت فى افاق الانسان المطلق امام اقداره الصعبة ، حتى ليمكن القول ان هذه القصائد تعبير عن بطولة الروح الانسانى وعن ارادة الرقى والسمو والنصر فى كل مكان .

هذا الانسان المطارد ، الذى ما برحت القوى العالمية تدعه دعا بالف شكل ظاهر والف الف شكل باطن ... من داخل داره الى خارج وطنه ، ومن ذرى الجبال الى حضيض الخيام ، ومن عنفوان المعارك الى ذل المذابح ، لم يتخذ طريقه الى مســارب العدمية ، ولم ينشد السلوان فى غيبوبة الوعى . لقد ظل الحبل المتين يشد حاضره الى ماضيه . وظل يشق الطريق الى مستقبله ، والخناجر تاكل من لحمه الحى .

ان الخروج من الوطن والوقوع فى التيه ومعاناة الجحود والانكار والتقلب على اشواك الذكرى تارة والاستقواء بها تارة اخرى .. ليست مسيرة الشاعر كلها وان كانت هى منبع الشجن الذى يتصعد فى ابيات القصائد ، نايا يرافق جميع الالات الموسيقية بينما تعزف عليها الروح انغامها المختلفة .

لقد عاش الشاعر معارك الوطن .. قاوم الانتداب والصهيونية ، وسار مع قوافل النازحين وعاش فى المنفى على امل العودة وانطلق من الاغوار الى فلسطين عبر نهر الاردن . ورافق المجموعات الثلاثية التى قرعت ابواب البلاد شمالا من الخالصة ومعليا وترشيحا . وواجه الغزو فى جنوب لبنان ، وصمد فى بيروت ، وقتل فى الفردان مع كمال ناصر ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان ، ثم ذبح مع اهالى صبرا وشاتيلا . وهذا كله هو الجانب الفلسطينى من معارك وجوده . اما الجانب القومى فليس اقصر شوطا . لقد عاش معارك الوحدة والانفصال والتضامن والتقاتل ، والامل والخذلان ، والالتزام والتمرد .. عاشها حتى نخاع العظام وخرج منها بجروح ليس ايسرها ان تلك المعارك لم تثلج صدر الجيل الذى خاضها ببرد الانتصار والكرامة :

مذاق النصر فى قاموسك العربىِّ
فاكهـــةٌ محـــرمةٌ
وطعم القهر كبريت وملحُ
وتنحبس الغيوم على حلاقيم الثلوم
وجرح شعبك فاغر
من الف فاجعة يسحُ
سألت الله عفوك
كم تنز قروحنا عبثَ الرياحِ
ولم يمس القوم قرحُ

ايمان بالأمة والتاريخ

وقوة الروح والموقف الشعرى الذى يتجلى فى ديوان يوسف الخطيب ، كما تجلى من قبل فى مجموعاته السابقة ، ياتى من ايمانه العميق بالامة وتاريخها . ولهذا الايمان شان اى شان فى رؤيته للواقع الراهن ، وكذا فى تصوره للمستقبل الذى لا ينبغى ان يجىء الا على مستوى ولادة جديدة شاملة . فما دون ذلك احباط واجهاض ، وخيانة وانتهاز . وذلك ما يمده بالرفض واستشراف الجديد دائما ، دون مهادنة ، دون هوادة ، دون حياد ، ويعينه على الاحتفاظ بصلابته وهيمنته على عقله ومواصلة تاملاته ومراجعاته ، بل واتيان فعل الكتابة ذاته فى زمن الانهيارات الذى نشهده .

بل لعلنا لا نخطىء اذا اعتبرنا ان ايمان يوسف الخطيب بالامة وتاريخها ، هو الذى زود قلمه بالاداة اللغوية الرخيمة ، وامده بفيض الصور والاستعارات واللفتـــات التاريخية . ان لغته هى لغة القران الكريم والى القران الكريم يرجع القدر الاكبر من استعاراته وصوره وتضميناته . «فالنبوة» و « البعث » و « الطور » و « النـــاقة » و « النحر » « وثمود وعاد » و « الوحى » و « الغار » و « تبوك » و « الـــروم » و « الصنم » و « مكة » و « الكهان » ، كلهـا تضمينات مطروقة فى ديوانه الثــالث « واحة الجحيم » . وهو يواصـــل فى « مجنون فلسطين » الاغتراف من هذا البحر الزاخر . وهكذا تتوالى صـــور « الاحقاف » و « الصحراء » و « الامام » « والصلاة » و « القرح » و « الفتـــح » و « السماء » و « السبع العجـــاف » و « القيامة » و « جبريل » و « المسيح » و « زمزم » و « طور سنين » و « الصيام » و « التنزيل » و « امراة العزيز » و «الجب» و « القدس » و « الدعاء » و « التين والزيتون » و « الكعبة » و « المسجد الاقصى » الخ ..

كذلك التاريخ العربى والجغرافيـــا العربية منبع ثر اخر لصور يوسف الخطيب . ولابد للمستمع او القارىء ان يلتقى « بابى بكر » و « عمر » و « على » و « المعتصم » و « صلاح الـــدين » و « الظاهر بيبرس » و « ابو ذر » .. كمـا يلتقى « بشاور » و « كافور » . وسوف يطالع « اليرموك » و «القادسية» كما يطـــالع « داحس » و « الغـــبراء » وسوف يطوف فى « بغداد » و « الدلتا » و « الشام » و « تونس » ، ويصعد الى « المقطـــم » و « سنجار » و « اوراس » و « الجرمق » ويحوم فوق « النيل » و « الفـــرات » و « الزاب » ، فى انسراحات علوية تبحث عن بطل او رؤية او وعد اقترب .

والادب العربى ــ الجاهلى والاسلامى ــ مقصد اخر لصور شاعرنا وتضميناته ومعارضاته ، فهو قد يستحضر « الملك الضليل » فى تجواله الماساوى ، وقد يستعيد صورة قبيلة مازن وهى تسارع الى فضيلة الغوث والنجدة ، وقد يستريح بالقارىء فى مضارب « الانبار » او يصور « غامدا » وهى تتراجع . وقد يشخص « سنمار » وهو يجازى على ابداعه شر جزاء .



مجنون فلسطين

أول ديوان من نوعه في الأدب العربي

ليس لنا ان نقول ان يوسف الخطيب تفرد بين الشعراء الكبار بالقضايا التى تشكل همومه وهواجسه ، ولا انه انفرد عنهم كلهم بمصادر صوره وعوالم اخيلته . ولكن لاشك بعد ذلك ان شاعراً معاصراً لم يغترف من التراث هذا الاغتراف ، ولم يعايش الثقافة العربية هذه المعايشة . انه فى هذا الباب نسيج وحده ، وهو اجدرهم ـ لو كان الزمان بعد زمان الالقاب ـ ان يلقب بشاعر الامة .

نقول هذا القول ونحن نعلم ان ذلك السبب ـ تحديداً ـ كان ، من بين اسباب اخرى ، ادت الى انصراف اكثر من فئة من فئات النقاد عن شعره . فالاقتراب من يوسف الخطيب هو فى حد ذاته موقف . اضف الى ذلك ان الوصول اليه يقتضى التحليق عاليا نحو القمم التى بلغهــا مضمونه واداؤه الفنى فى وقت معــا . وشاعرنا لا يجهل ذلك على كل حال ، وهو القائل :

« رضيت جزاء عصيانى
ويُعرفُ من همِّ الشعراءِ
لا من خلعة السلطانِ
بل من فادح الثمنِ
لأنى لم ابع بمزادهم قلمي
وما بدلت جلدة وجهى العربيّ
لم اسقط ولم اخنِ »

السكين والميلاد

لقد نجح يوسف الخطيب على كل حال فى ان يبقى متواصلا مع جمهوره الذى قراه او استمع اليه منذ الخمسينات ، ولكن ذلك راجع الى جهاده الخاص ، شان الحائك الفنان الذى يحافظ بسهر الليالى ونور العيون والعمل اليدوى الدؤوب على مؤسسته المحترمة ، فى مدينة حلت فيها الالات محل الايدى ، واصبحت الاسماء اللامعة فى عالم المهنة تصنع صناعة بفضل دولاب الدعاية الرهيب ، لكى تسوق بضائع المموّلين .

ولكن .. يا له من الم ممض هذا الذى يعتصر الشاعر حين يحس البشاعة والسوقية تغـزو كل شيء .. فى الصحافة والنقد وفى الحياة الفكرية بعامة . ان هذه المحنة الاليمة التى تعانيها النفوس الكبيرة فى ازمنة التراجع والانحطاط ، هى مما يعبر عنه الشاعر فى مواضع متفرقة من قصائده . على ان مما يدعو الى الاكبار انه لم يغمس ريشته فى مداد السوداوية او الحزن العدمى . لقد ظلت شكواه اقرب الى زفرة ملجومة بكبرياء التحامل على الجرح ، وظل صوته طليقا ، ينشد معارك الامة ، ويبشر بانتصارها الآتى ، ويستنهض عزائم ابنائها المخلصين ، ولا يخلو حتى من طاقة الفرح . وتلك هى بطولة الكاتب صاحب الرسالة :

لكننى ، اذ يشرب السكين لحم صدرى
احس اننى اقوم
احس ان وسع الارض مولدى وقبرى
وان ليلتى نجوم

صوفية ذهنية

ان ديوان « مجنون فلسطين » هو اذن دعوة ملحة الى ميلاد جديد طال انتظاره ، لابل دعاء وابتهال حار للخلاص من الواقع الأليم .

ان التاريخ العربى والجغرافيا العربية (موضوع) مشترك فى معظم القصائد ، يصور الشاعر من خلاله اشواق نفسه الى حياة جديدة على غرار الأزمنة الذهبية التى اكدت الامة فيها حقيقة قدراتها ، ومبلغ جدارتها . وحضور الشاعر فى قصائده هو حضور الرائد الذى يتلهف على البدء بالرحلة مدفوعا بحريق اعصابه حتى ليشد تلابيب الركب ، غير متيح للمسافرين مهلة لحزم حقائبهم ! واحيانا يبدو اشبه بجندي يخرج من المعارك في اخر ساعة من ساعات الدخان ، مثخنا بجروح الهزيمة ، ولكنه في عجلة من امره ، يقوده ضميره الى التحرق لقتال سينشب فى مكان ما او التحيز الى فئة تنتظر حضوره في موعد ما وكثيرا ما يبدو على هيئة رجل اشعث اغبر يضرب فى الصحراء فى انتظار ما يشد ازره بمعجزة الكلمة التي تغير كل شيء او يبدو على صورة فارس القبيلة وشاعرها الذي يستصرخ القبائل ويستنخيها .

وما اكثر وقفاته تحت باب السماء عقب اسفاره المنهكة وقد احتشد هو وذكريات هزائمه في حزيران وايار وايلول ، وعذاباته وعذابات اولئك الذين يشاركونه الاحساس بانهم مضطهدون ومطاردون ، وقد طهرهم عذابهم وقربهم من السماء ، ثم اندماجه في المناجاة والدعاء ، واهراقه اسرار قلبه وقد بلغ به الجهد حد الصوفية الذهنية التي تتحد بالهواء والنبات والصخر والتراب ، وانتهاء ذلك المشهد كله بالصمت وايصاد نافذة السماء دونه ، والهبوط مرة اخرى على ادراج الاحباط والانكسار .

هذا المشهد الذي يتكرر في أكثر من قصيدة بصور مختلفة ، هو اكثر المشاهد اعتصارا للقلب . ولا يعيد الى الشاعر توازنه بعد هذا السقوط الا الاستقواء بالحب والذكرى ، والارتفاع على اجنحة الغناء الى سماء اخرى يحوم فيها حول الحمى ، فيتزود بطاقة جديدة من الامل والعزاء .

فالحنين الى الوطن ، واستذكار عهوده وبهائه ، ليس مهربا كما قد يتخيل البعض ، وانما هو مقصد للأمل الذي ينشد التجدد .

ولقد شغل « الحنين » في ديوان «واحة الجحيم» حيزاً اكبر ، واتسم انذاك بصبغة غنائية اكثر رهافة مما هو الحال في «مجنون فلسطين» . على انه في هذا

الديوان ما يزال منبعا شديد الصفاء لغنائية آسرة تواتى يوسف الخطيب ، فينساق معها مطلقا لغريزته العنان ، تاركا للعديد من الشعراء الحديثين ان ينسجوا على منواله ويسيروا على الطريق الذي عبره ، متجاوزاً اولئك الذين يكبلون انفسهم في بحثهم عن المعادلات الذهنية المجردة او الصور المعقدة ، لتاتي اشعارهم مطابقة لمواصفات المدارس النقدية والاشعار المترجمة التي قرؤوها .

لنستمع اليه وهو يستقوي بالحنين والتذكار :

« كأنَّ قلبي الآن عصفورٌ من النارِ
ثنى منْ قفص الصدر جناحيْه
يشي إليكِ يا قيثارةَ الرياحِ شجني
فصب لى كأسَيْن
قد واعدتها الليلة في اللطرونِ
وانظرْ كلَّ ارجاءِ المدى
هذا الجمال ، تحت قمر السماء ، وطني ..
احسُّ اسي اختصارُ حزنه
وانه انتشارُ بدني
اولئك الصبيةِ ـ من نافذة القطار ـ اطفالي
وهذه السقيفةُ المضاءُ بابُها
تحت سعف النخيلِ .. سكني .. »

اجل .. انما هي ذاتها غنائية يوسف الخطيب التي اسكرتنا سابقا في « واحة الجحيم » ولكنها الآن تفسح مكانا اوسع لحواريات درامية حادة يقيمها الشاعر مع أعداء الامة ، يحس القارىء ان كلماتها تتساقط كالحجارة المسننة أو الكسف المشتعلة من النيازك .وأعداء الامة في رؤية الشاعر اخفى مما تطالعنا به الصحف صباح مساء حين تتحدث عن الامبريالية والرجعية .. انه بوضوح أن :

« حقيقة الأمر في جوهر العصر كله ـ من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ـ هو انه عصر الردة العالمية الشاملة الى روح التوراة (...) وفي هذا القاسم المشترك الأعظم تلتقي الكنيستان السياسيتان ، الغربية والشرقية على حد سواء .. » .

ولهذا يشهر الشاعر سيف الامة على اعدائها باسلوب الدعوة تارة وباسلوب المحاكمة تارة ، واسلوب الخطاب تارة ثالثة وتغدو لهجته صلبة خشنة في هذه المواضع لتعبر عن الغضب والصراع والاستماتة :

الم يزل يكتسح الأرض حزيران
(وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُونْ ؟)
قد جرعتموني الموتَ انفاسا
وهذي غامدٌ قد بلغت خيولها الانبارْ » .
وقد يخاطبهم بهذه الحدة :
« إرثُ ابي هذا ..

وانتم اقتسمتموه عن يدِ اللصوصِ
ختنتموهُ .. بعتموهُ الغرباءْ
هم رسموا حدودَكم .. هم بيغوا جلودَكم
هم فَصَّلوا وجوهَكم .. وعدَّدوا الأسمَاءُ »
وقد يجار بالرؤية العارية بكل بشاعتها ويصرخ :

« اتنهدمُ القبورُ على القبورِ
ويمحي بأديم هذي الأرض ادمُها
وما ينهدُّ للطاغوتِ صرحُ ؟
كأنَّ مدى المحيطِ الى الخليجِ ..
مُدًى تعيث بمسلخ
فيكون جزارٌ وابقارٌ وصلحُ
ويقوم بين الناس اكثرُ من مسيلمةٍ
وتلتمعُ الدمى
وبعدُ هذا الكونَ قبحُ
واكثر ما يكون اشتجاره مع اعداء الأمة في قصائده العمودية :
قل للدخيل ركبت اليم ساجيةً
امواجه وفؤاد اليم زخارُ
ما انت بالاول العاتى بصفحته
ولا باخر من يطويه تيارُ

ويقول ايضا :
يا من تعاتب اسرائيل واخجلا
متى يلام بعنق الشاة جزارُ
الا كما لام عبد الذل سيده
واسترحمت شبقَ الساطور ابقارُ

وليست اسرائيل ومن وراء اسرائيل هم اعداء الامة الوحيدون . فالشاعر يتصدى لاولئك الذين يمثلون « حالة فاجعة قد اقتحمت منطقة النفس الفلسطينية حتى الاعماق هي حالة (اوديب الفلسطيني) الذي يستاق وراء سراب الدولة الملفقة حتى الياس والجنون والانتحار » فيخاطب اوديب الفلسطيني :

« وكانَ دمٌ في يديكَ
ولحمُ الضحيةِ في ناجذيْكَ
وكان غرابٌ يحط سراديبَ نفسِكَ
يتعبُ في الليلِ ، اضغاثَ حلمكْ

كلاسيكية جديدة

هذه لمحة عن ديوان يوسف الخطيب الجديد « مجنون فلسطين » . وقد اتاح لي الاستماع اليه متعة اكثر من مضاعفة . فالقاء الشاعر ، وهو بالمناسبة شيء لا ينفصل في نظره عن العمل الشعرى بمجمله ، يقف على قدم المساواة مع المضمون الممتاز . وتجيء الموسيقى المختارة للقصائد كانها صنعت لها فى الأساس ، وتسبق الالقاء المؤثر او تتخلله او تعقبه ، فتضيف بعدا جيدا رحبا لهذا الأثر الادبي المدهش .

ان ديوان « مجنون فلسطين » الذى صدر حديثا ، وعرض لاول مرة فى جناح فلسطين بمعرض دمشق الدولي خلال نهاية الصيف الماضى ، هو اكثر من كتاب جديد . انه دليل عافية وخصوبة فى ضمير الامة . وبرهان على امكان التطوير الأصيل للشعر العربى . الامر الذى يبشر بامكان التطوير الاصيل للحياة العربية فى شتى مجالاتها .

هذه الكلاسيكية الجديدة ، تشق طريقها عبر ركام من الغثاثة والتزوير ، فتكرس نفسها فى ضمير المستمع والقارىء ، وتعرف سبيلها الى صميم الروح ، بهموم عربية ، ولغة عربية ، وصور عربية ، وما ذلك الا لانها هى التجديد المتصل اتصالا حقيقيا بالقديم ، اى بالذاكرة التى تملكها الأمة . لقد اضطلع الخطيب بهذه المهمة الكبيرة ونجح فى معالجة قضيتي الاصالة والحداثة فى الشعر العربى الجديد ، على نحو مفرح حقا . ونجزم انه الرائد الكبير فى هذا الباب . ذلك ان التيارين الكبيرين المهيمنين على اوساط الشعر والشعراء فى زماننا هما ، التيار الأوربى المسيحي ومدارسه ، والتيار الجمالى الماركسي ومدارسه . ومن المفهوم ان هذه (الهيمنة) تتعدى التاثر الادبي المجرد ، الى السيطرة على قائمة طويلة من الصحف والصفحات الادبية التى (تلتزم) بالنشر لاولئك المنتمين الى مدارسها .

ومن هنا كانت سباحة يوسف الخطيب عكس هذه التيارات ، وتاصيله محاولته الخاصة المستقلة ، عملا شجاعا بقدر ما هو مكلف . ويبقى الحكم للقراء والمستمعين من هذا الجيل والاجيال العربية القادمة ايضا .

ناهض منير الريس

لماذا هذه الكثرة في معاهد الإعلام وكلياته؟!

بقلم: أحمد عبد الملك

دخلت الدراسات الاعلامية الاكاديمية فى الوطن العربى عام ١٩٣٥ بالجامعة الامريكية .. وبعد ذلك التاريخ افتتح معهد بالقاهرة للتحرير والترجمة والصحافة وكانت الدراسة فيه تعتمد على مواد تكميلية لمن يتخصصون فى دراسات اخرى .

ثم بدات الدراسات الاعلامية فى كافة أنحاء الأقطار العربية كتونس والجزائر والسودان وبغداد وبيروت ثم السعودية وليبيا ومصر . (المصدر عام ١٩٧٨) .

وكان يوجد عام ١٩٧٧ اربع عشرة وحدة اكاديمية للدراسات الاعلامية فى البلاد العربية . ولقد ضمت هذه الوحدات الى كليات بعينها حسب ظروف كل بلد .. منها على سبيل المثال:-

- قسم من كلية الآداب بالسعودية ، السودان ، بغداد ، بنغازى واسيوط .
- كلية مستقلة : وهما وحدتان بالوطن العربى :- كلية الاعلام والتوثيق بالجامعة اللبنانية ٢ - كلية الاعلام بجامعة القاهرة .
- معهد مستقل : كما فى تونس والجزائر .
- فرع من قسم كالجامعة الامريكية فى كل من القاهرة وبيروت .
- معهد للدراسات العليا : المعهد العالى للدعوة الاسلامية بجامعة محمد بن سعود الاسلامية .

المعاهد الاعلامية فى البلاد العربية :

اولا : تونس : ولقد انشىء عام ١٩٦٧ باسم معهد الصحافة وعلوم الأخبار داخل الجامعة التونسية .

وبلغ عدد الذين تخرجوا من المعهد حتى عام ١٩٧٦ م ٤١ طالبا كالتالى :

عام ٧٣ - ١٩٧٤ - ١٢ طالبا
٧٤ - ١٩٧٥ - ٨ طلاب
٧٥ - ١٩٧٦ - ٢١ طالبا

ولقد بلغ عدد طلبة المعهد عام ٧٦ - ١٩٧٧ - ٣١٠ طلاب نسبة الطالبات بينهم ٢٧٪ (وواجه المعهد نقصا فى هيئة التدريس) .

ثانيا : الجزائر .. بدات دراسة الاعلام فى اواخر عام ١٩٦٤ حيث للدرسة العليا للصحافة .. وفى عام ١٩٧٦ انشىء المعهد الحالى بعد دمج المدرسة العليا للصحافة ومعهد العلوم السياسية .. ويتبع المعهد جامعة الجزائر . وواجه المعهد كذلك نقصا فى هيئة التدريس فى المواد الثقافية حيث يتم انتدابهم من معاهد اخرى ، كما يواجه صعوبة فى توفير اساتذة للتدريب باللغة العربية .. كما يواجه صعوبة فى توفير الأساتذة المتخصصين اعلاميا ونقص الكتب العربية .

ثالثا : المملكة العربية السعودية ..

١ - قسم الاعلام .. جامعة الرياض .. لقد انشىء القسم عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ وله فروع تخصصية فى الصحافة ، الاذاعة والتليفزيون ، العلاقات العامة ، ولقد تخرجت الدفعة الأولى عام ١٩٧٦ وكان عدد افرادها عشرين .

وأهم المشكلات التى كان يعانى منها القسم هى :

- النقص فى هيئة التدريس .
- عدم توفر مراجع اعلامية كافية باللغة العربية .

● ضيق المكان الذى يشغله القسم / بكلية الأداب ، رغم توفر الأجهزة اللازمة .

● قسم الاعلام ـ جامعـــة الملك عبد العزيز ـ جدة .

ويتبع هذا القسم كلية الأداب والعلوم الانسانية ، وانشىء عام ٧٦ ـ ١٩٧٧ بعد مرحلتين تمهيديتين .. وثمة ملاحظة هنا فالى جانب التدريس العملى فى المؤسسات الاعلامية الذى تفرضه المناهج على جميع الشعب يدرس الطلبة ـ اجباريا ـ حسب تخصصاتهم عدداً من المواد العمليـــة ، كالطباعة والتصوير الصحفى ، والفن الاذاعى ، والاختزال .. كما يدرسون مواد نظرية تطبيقية كالتحرير والاخراج الصحفى والكتابة للاذاعة والتليفزيون .. واكبر مشكلة كان يعانى منها القسم هى نقص اعضاء هيئة التدريس .

رابعاً : قسم الاعلام ـ جامعة بغداد

اسس هــذا القسم فى كلية الأداب باسم «قسم الصحافة» وبدات الدراسة فيه عام ٦٤ ـ ١٩٦٥ ولقد بلغ خريجو القسم حتى عام ١٩٧٥ مئة واثنين وتسعين خريجا .

وكان القسم يشكو من نقص اعضاء هيئة التدريس ونقص فى المكتبة والمراجع .

.. فى دولة الكويت ودولة قطر هنالك مشاريع لانشاء وحدات للدراسات الاعلامية

ولقد رفعت اليونسكو تقاريرها بذلك الى المسؤولين (كان ذلك عام ١٩٧٨) .

بعد هذه المقدمة التاريخية عن الدراسات الاعلامية فى الوطن العربى يتساءل متسائل اين الكوادر الاعلامية التى خرجتها هذه الكليات والمعاهد ؟ اين الخطط والتوجهات الاعلامية التى حشرت فى عقول الدارسين .. ثم اين اثر كل ذلك على المواطن العربى من الخليج الى المحيط

فى وقت ارتبط فيه الاعلام بالسياسة .. تنوعت التوجهات فى البلاد العربية .. ونشات هوة سحيقة بين الاكاديميين المتخرجين من الكليات والمعاهد وبين من يمثلون التوجه السياسى والذين غالبا ما تخصصوا فى مجالات لا تمت للاعلام بصلة .. من هنا تضيع كل خطط الدراسات الاعلامية .. وتظل الافكار النيرة ، التى يتطلبها الاعلام كل لحظة حبيسة جماجم الاكاديميين .

ويحق لنا فى هذه العجالة ان نتساءل .. هل تحقق نوع من التطور فى الاعداد البرامجى فى محطات الدول العربية ؟؟ هل تغير الابداع الروتينى فى الاداء الهندسى والاخراجى ؟ ثم هل طرا تبدل واضح على برامج الاذاعات .. واخيرا هل استطعنا تكوين راي عام ؟

وهنا بيت القصيد .. ان تكوين الراي هو الهدف الاسمى للاعلام والا ما قامت كل تلك المؤسسات .. وما صرفت كل تلك الاموال .

الحاجة الى التقويم

ان التخطيط مطلب حيوي لكل المرافق .. لكنه يلح فى المجال الاعلامى إذ كيف تدخل الموظف او الطالب كلية او معهداً اعلاميا يدرس اصول العمل ثم نكبله بالروتين المضروب فى المؤسسات الاعلامية .. فعلى سبيل المثال يحاصر المخرج المبدع بعدم توفر الاستوديو لاخراج برنامج ذي مستوى جيد .. وبعدم توفر الموظف او الفنى المبدع الخارج من دائرة الروتين .. وبعدم وجود العدد الكافى من الموظفين الملتزمين .

ان الاموال التى تصرف على المعاهد والمراكز الاعلامية يجب ان يقابلها انتاج او ابداع فكرى وتقنى يحقق ما تصبو له الدولة .. وما يجيش بصدر الطالب او المتدرب .

وكثيرا ما صادفنا ان بعض الدول ترسل متدربيها الى المعاهد او المراكز كبادرة مشاركة تمليهـــا الظروف والتوجهـــات المشتركة فيعود هذا المتدرب الى محطته دون ان يتبدل فيه شىء . بل دون ان يمنح الفرصة لتطبيق ما درسه وتدرب عليه .

ان الاعلام منهاج متطور جداً .. ويجب ان يشعر القائمون عليه ان حشر المعلومات فى عقل الموظف فقط تعتبر عملية جديدة لافتتاح متاحف واثريات ـ لا تتناسب والاعلام الحديث .

ويجب ان ندرك بانه ان كنا لا نعرف السباحة لماذا نبحر بدون طوق نجاة .. وان كنا لسنا بحاجة الى عشرين غرفة بالمنزل لماذا ننشئها وان كانت الظروف لا تسمح الى عشرين غرفة بالمنزل لماذا ننشئها .. وان كانت الظروف لا تسمح للمتدرب او الموظف بتطبيق ما يدرسه لماذا نجلب الخبراء ونصرف عليهم اموالا تفيد فى مرافق اخرى .

واخيرا .. نحتاج لعملية تقويم .

المصدر :

التدريس الاعلامى فى الدول العربية
الرياض ١٩٧٨



● مكتبة ميلانو تحتفظ بكتب من التراث العربي لا يوجد لها شبيه في العالم ●● في "الأمبريزونا" أقدم مخطوط لكتاب "سِيبَوَيْه"

بقلم: وجيه الشربجي

امام المحاولات الخطرة الهادفة الى تعويم العقل العربى ، والحاقه بالعقل الغربى ، ليفقد القدرة على الريادة والابداع ، تبرز مسؤولية مثقفى الوطن العربى وطليعته الواعية ، فى الدعوة الى التمسك بالاصالة ، والحرص الشديد على التراث الذى يمثل ذاكرة الحاضر للأمة العربية ، والبعد التاريخى لشخصيتها المميزة .

وتجاه الجهود المنظمة التى تبذل للتعتيم على حضارة العرب ، لابد من وضع خطط مبرمجة تتناسب مع قيمة تراثنا ، لربط ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا ، فنحن من الشعوب الأغنى فى العالم بتراثها وحضارتها الانسانية .

ان الحركات المضللة التى تاتينا من الخارج لتغرينا بهجر تراثنا ، ولتبعدنا عن ارومتنا وتفصلنا عن جذورنا ، غايتها وضع الشباب العربى ضمن دائرة الانفلاش القومى ، هذه الحركات لا يجهضها إلا العودة الى التراث عودة يقظة صادرة عن موقف حي ، لبناء تراث متجدد فى اطار العصر ، ومنبثق عن حاجات النضال العربى فى المرحلة الحالية ، ليتسنى لنا التخلص من الانهيار الحضارى الذى فيه نعيش .

ومن خلال هذه الظروف بالذات .. ينبغى تكريس هويتنا التاريخية وتاكيدها ، وبعث التراث من جديد واعادة فهمه وتطويره دون ان يكون فى ذلك ضياع لاصالته ومكوناته الاساسية ، فتراثنا بعمقه الاجتماعى والثقافى يستوعب جميع التجارب الحياتية والابعاد الحضارية التى مرت بها الأمة العربية الممتدة ابدا فى التاريخ .

وحيال هذه القيمة الكبرى للتراث ، نستشعر الحاجة الى الاحاطة بتراثنا الفكرى المخطوط ، المنتشر فى المؤسسات الثقافية العالمية ، لاكتشاف الانجازات العلمية التى قدمها العلماء العرب والمسلمون لذات الحضارة الانسانية ، ووضعها بالتالى فى متناول الاجيال من مختلف الامم ، كي تدرك ان هذه الحضارة الراهنة التى تلمسها البشرية اليوم ، قد ساهم فى بنائها الانسان العربى خلال عصور الازدهار .

ومكتبة (الامبروزيانا) بميلانو فى ايطاليا ، احدى هذه المؤسسات الثقافية الكبرى التى تحتفظ بكنوز من المعرفة الاسلامية ، تستمد قيمتها العلمية والتراثية من كونها ، عميقة الابحاث الفها اعلام الفكر الاسلامى . ويبلغ عمر اغلبها مئات السنين .

مكتبة ميلانو ..

قام بانشاء مكتبة (الامبروزيانا) فى عام ١٦٠٩ م اسقف ميلانو الكاردينال (فدريكو بورميو) وذلك للوقوف فى مواجهة الغزو الثقافي الاسبانى الذى اجتاح ايطاليا خلال احتلال الاسبان لشبه

صفحة من ديوان ابن حيوس .. وهو من المخطوطات النادرة

الجزيرة الايطالية . ولم يبخل الكاردينال (بورميو) بالجهد والمال فى سبيل إغناء المكتبة بامهات الكتب المطبوعة وبنوادر المخطوطات العالمية ، فعمد الى ارسال البعثات والرسل إلى انحاء العالم ، لشراء انفس الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وقد تمكن من الحصول عليها من اليونان وإيران وفرنسا وتركيا وسوريا وليبيا والحبشة وايطاليا الجنوبية وفلسطين والمغرب .

ويقدر عدد المخطوطات الموجودة حاليا فى مكتبة « الامبروزيانا » باكثر من ثلاثين الفا ، وهى فى اللغات العربية والتركية والسريانية والعبرية والفارسية واللاتينية والارمنية واليونانية ، اما عدد الكتب المطبوعة ، فقد تجاوز مجموعها اكثر من نصف مليون كتاب .

وتعتبر مكتبة (الامبروزيانا) بميلانو من اغنى مكتبات اوربا على الاطلاق بالمخطوطات العربية النادرة ، ومعظم كتب التراث الاسلامى المحفوظة فيها لا يوجد لها مثيل فى أى مكان آخر . وعلى الاخص مجموعة المخطوطات العربية اليمنية القابعة فى خزائنها ، وهذا ما جعل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، يبذل قصارى جهده للاطلاع عليها والاحاطة بها فارسل بعثة خاصة الى المكتبة المذكورة ، وقامت بتصوير وتوثيق المخطوطات العربية واصدرت فهرسا بمعظمها . وتبين ان عدد هذه المجموعات القيمة من المخطوطات العربية يزيد على ٢٥٠٠ مخطوطة انتقلت الى ميلانو ودخلت مكتبة « الامبروزيانا » بطرق مختلفة :

● المجموعة الأولى : اشتراها الكاردينال (بورميو) من ماله الخاص فى عام ١٦٠٩ م كما اسلفنا سابقا ، واستطاع الحصول عليها باساليب متنوعة . فتارة عن طريق لصوص التراث ، وطورا بواسطة من ارسلهم الى بلدان الشرق لجمعها .

● والمجموعة الثانية : اهداها الى المكتبة السيناتور الايطالى لوسا بلترامى فى عام ١٩١٤ وعددها ١٨٠ مخطوطة اغلبها من كتب التراث اليمني .

● واما المجموعة الثالثة : فقد جمعها من اليمن تاجر إيطالى عندما كان مقيما فى صنعاء عام ١٩١٠وتتالف من ١٦١٠ مخطوطة قدمها الى المكتبة بمناسبة عيدها المئوى الثالث .

● والمجموعة الرابعة : حصلت عليها المكتبة بواسطة الكافاليرو نوزدا عام ١٩٢٧ م وكان قد اقتناها من ليبيا .

العلماء الالمان والطليان يهتمون بالمخطوطات

فى عام ١٨٢٦ م زار المستشرق الالمانى (دهامر) مكتبة الامبروزيانا ، واطلع على المخطوطات العربية المحفوظة بها ، ولمس اهميتها العلمية والحضارية . فقام بتنسيق بعضها واصدر فهرسا بها .

وفى أوائل القرن العشرين نشر المستشرق الايطالى (غريفني) مقالات وابحاثا شاملة فى المجلات الالمانية حول المخطوطات العربية الموجوده فى مكتبة « الامبروزيانا » ونظم فهرسا يضم ٤٧٥ مخطوطة عربية .

واما على الصعيد العربى ، فقد قام الباحث العربى الدكتور صلاح الدين المنجد بزيارة الى مكتبة « الامبروزيانا » فى عام ١٩٥٧ وبعد اربعين يوما امضاها بين كتب التراث العربى ، تابع العمل حيث وقف المستشرق غريفني ، فاصدر فهرسا ممتازاً يتالف من ٢٠٠ مخطوطة ، ضبط به اسم الكتاب والمؤلف وتاريخه وعدد الاوراق ووضع الملاحظات الضرورية حول مزايا المخطوط وعيوبه وشانه .

ثروة نادرة
من المخطوطات الإسلامية في إيطاليا


بسم الله الرحمن الرحيم
مقالة في الفصد لأمين الدولة
وهي عشرة ابواب
...
الباب الاول في حد الفصد

مخطوط في الطب لأمين الدولة عن « فصد الشرايين وشد العضد » .. إنه من المخطوطات العلمية الهامة

ابحاث كتب التراث

مواضيع هذه المخطوطات متنوعة الاغراض ، فيها كتب تبحث في الزراعة والبيطرة والطب والمعادن وقسم كبير يتناول المنطق والفلسفة والدين واللغة والنحو والفلك ، وجزء يسير من دواوين فحول الشعراء العرب ، وتأتي في مقدمة هذه الكتب النادرة والهامة اقدم مخطوطة في العالم وهي (الكتاب) لسيبويه ، تم اكتشافها في المكتبة عام ١٩٥٨ م ، ونذكر على سبيل المثال وصفاً مكثفاً لنماذج من المخطوطات العلمية والادبية الكامنة في مكتبة « الامبروزيانا » .

● كتاب تسهيل المنافع في الطب : تاليف ابراهيم بن عبد الرحمن الأزرق عام ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م عدد اوراقه : ٢٠٠ ورقة نسخ في سنة ١٠٩٤ هـ (وهو موسوعة قيمة في الطب) .

● كتاب برء ساعة في الطب : جمال الدين بن زكريا الرازي عام ٣١٣ هـ يتالف من ١٥ ورقة من الحجم الكبير نسخ عام ١٢٤٣ هـ .

● كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار : لعز الدين عبد السلام احمد المقدسي ٦٧٨ هـ ـ ١٢٧٩ م .

● في علم الرمل والطب : عـدد أوراقه (٥٠) ورقة ويعود تاليفه الى القرن الثالث عشر .

● رسالة لطيفة في علم زراعة الفضة والذهب : طبعت في عام ١٢٧٩ هـ .

● قطعة في الطبيعيات والصفائح : مجهول عدد الأوراق ٢١ ورقة من القرن الحادي عشر الهجرى .

● مناظرة بين القات والقهوة : تاليف احمد بن محمد المعلى كتبت في عام ١٣٠٣ هجرية . بخط الناسخ علي حمودي .

● نهج البلاغة : للشريف الرضى (٤٠٦ هـ) عدد الأوراق ٢٠٠ ورقة النسخة يعود تاريخها الى القرن الحادي عشر الهجري .

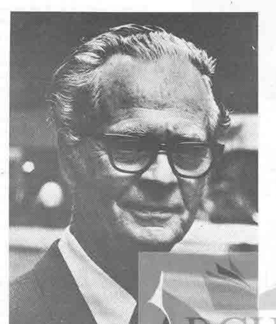
● قاعدة في معالم الزراعة : باب في معرفة خواص حلول القمر في المنازل ـ باب في معرفة اشراق الكواكب السبعة .

● ديوان ابي الطيب المتنبي : احمد بن الحسين (٣٥٤ هـ ٩٦٥ م) عدد الأوراق ٢٢٦ يعود تاريخ النسخة الى القرن العاشر ، بعض القصائد مذيلة بتاريخ خاص .

● ديوان الصاحب بن عباد : (٢٨٥ ـ ٨٩٨ م) يتالف من ٢٧ ورقة نسخ في القرن الحادي عشر الهجري .

● المعتمد في البيطرة : تاليف عمر بن علي بن رسول المتوفي في عام ٦٩٥ هـ عدد اوراقه (٧٠) ورقة النسخة ناقصة تعود الى القرن الثاني عشر هـ .

وجيه الشربجي : دمشق



عالم النفس « سكنر » الذى لا تعرفه رغم افكاره الجريئة

أعطني طفلاً وأنا أشكّله لك بأيّ صورة تريد

بقلم : عبدالوهاب الأنصاري

هذا مفكر عالمي جرىء لايعرفه العرب ، ولم يطرحه احد فى الساحة الفكرية عندنا لدراسته وفهمه والاستنارة مما يقدمه من آراء جديدة وما يقوم به من تجارب مثيرة . وفى هذا المقال اضواء على هذا المفكر العالمى الجرىء ...

يعتبر « سكنر » من اكثر علماء النفس تاثيراً وإثارة للجدل فى مجال العلم السلوكي . وهو إذ يشبه الانسان بالآلة فانه يلاقى معارضة شديدة من علماء التحليل النفسي الفرويديين . وذلك لأن السلوكيين لا يؤمنون بكوامن « داخلية » فى نفس الانسان ولا يتقبلون فكرة « العقل الباطن » او اية فكرة تتعلق « بجوهر » او « طبيعة » الانسان .

وقد تكون افكاره مالوفة عند اتباعه ، إلا انه لمن لم يسمع بها قد تكون مخيفة . وكتابه (ما وراء الحرية والكرامة) (١) يهيىء لنا ان نفحص فحوى رسالته . وهو يقول انه ليس بوسعنا أن نوفر المزيد من الحريات . يجب ان نستبدل الحرية بتحكم فى الانسان ، فى تصرفاته وفى ثقافته وحضارته . وليس مصدر هذا الكلام خيال علمى ، إنما هو يهدف فعلا ـ كاصحاب المدن الفاضلة قبله ـ إلى إقامة مجتمع يعمل فيه الانسان فى امان وصفاء ، مجتمع يتوفر فيه الغذاء للجميع ، ويعيش به الانسان فى بيئة لم تصبها آثار التلوث ولا تكتنفها ويلات الحرب الذرية .

هل الحرية وهم ؟

وقد كان سكنر يامل فى إقامة مجتمع عالمى مبني على اسس روايته المشهورة (والدن الثانية) . وهذه الاسس حول من هم الذين يملكون الأرض وحقوق المراة والرجل ، التفرغ للفن والموسيقى والادب ، مكافات للسلوك الحسن ، التخلص من الغيرة والاغتياب ، واخيرا التخلص من فكرة الحرية نفسها .

وهو لايشك لحظة فى أن فكرة الحرية قد لعبت دوراً هاماً فى محاولات الناس للتخلص من القهر ، ولكن الحرية ذاتها اصبحت تهدد وجود إنسان القرن العشرين وسكنر معنيٌ بتوضيح كيف تفسد الاشياء حين نميل إلى تقديسها ، كفكرة الحرية مثلا . إن الاصرار على جعل حقوق الافراد هى الاهم ، سيؤدى إلى تداعى بنيان المجتمع . ويؤمن سكنر بان الحضارة

الغربية ستؤول إلى الزوال ، لتستبدل بحضارة اكثر صرامة وتقليما لأفرادها . وإن حدث ـ يقول سكنر ـ سيكون الانسان الغربى قد فقد كل امل فى الصورة الوحيدة للخلود : بقاء اسلوب حياته وتقاليده .

وتعليل هذا لديه ان الحرية (وحرية الارادة) ليست اكثر من وهم سواء شئنا ام ابينا ، لأن الانسان متحكم (بفتح الكاف) به فعلا من قبل المؤثرات البيئية الخارجية

إذن ينبغى ان نبنى حضارة بامكانها ان تبقى ، ويجب ان نقرر كيف ينبغى ان يكون سلوك الانسان . وذلك بتخطيط وتصميم مؤثرات بيئية تضمن السلوك المطلوب . هذه المؤثرات لابد ان تضمن لنا ان يكف الانسان عن تلويث البيئة ، وعن بلوغ الانفجار السكاني ، وعن التظاهر والاضراب واشعال الحروب . وذلك ليس لان الانسان سيعرف ان العواقب ستكون وخيمة ، إنما لان الانسان سيكون قد كُيِّفَ ليريد مصلحة الجمهور .

انتاج السلوك المطلوب !

ولكن هل حقا عالم كهذا ممكن ؟ . يعتقد سكنر انه ممكن ، لانه يؤمن ان بالامكان ان نشكل ـ لابل ونتنبا ـ بالسلوك الانساني كما لو كان معادلة كيمائية . والطريق إلى هذا يكمن فيما يسمى بـ « التقنيــــة السلوكية » ، وهو علم يهدف إلى تغيير البيئة ليتغير الافراد . وسنرجىء الكلام عن المنهج السلوكي إلى بعد حين لنوضح كيف يفكر سكنر .

يوضح لنا سكنر ان الموارد ايلة إلى النضوب . ومع ذلك فنحن لا نكف عن استهلاك المزيد ، مؤدين بذلك إلى تدمير البيئة تدريجيا . وفى الوقت ذاته فان العلوم الطبيعية تاتي لنا دائما بالحلول المناسبة لاصلاح البيئة من جديد . ويبدو ان العلوم الطبيعية إنمـــا تهتم فقط بالظواهر المادية فى البيئة . اما حين نبدا الحديث عن سلوك الانسان ، نكون بمثابة من اخرج الكلام عن مجال التقنية والعلوم الطبيعية . والحقيقة ان الحل يكمن فى اصلاح الانسان نفسه عوضا عن إصلاح ما يفسده الانسان .

ولكن لماذا كان تطور العلوم الطبيعية أسرع من تطور العلوم السلوكية ؟ لأن العلوم الطبيعية لجات إلى تفسير الظواهر على انها اشياء مادية . وحينما كان الامر يتعلق بالانسان ، كانت العلوم الطبيعية تتصرف ازاءه وكانه ليس شيئا من الاشياء كانه خارج دائرة الاشياء وفوقها ، وكانه مستقل بذاته .

إن العلوم الطبيعية لم تتطور لأنهـا فسرت الجاذبية ، مثلا ، بانها « جوهر » فى الحجر الساقط إلى الارض ، ولم يتطور علم الأحياء لإكتشافه « طبيعة » ما كامنةً فى أعضاء الجسم .

وحينما عجز الانسان عن تفسير ظاهرة ما ، فانه كان يلجا إلى تفسير خرافى او أسطورى ، وحينما تعلق الامر بالانسان ، نسبت تصرفاته إلى « الطبيعة البشرية » او « نوايا » او « مشاعر » او « حالات » ذهنية » او ان شيئا ما يدور بداخل الانسان ولكن الآن ، بيزوغ الثورة السلوكية ، فلن نحتاج إلى مثل هذه الاساطير ـ لانه بامكاننا ان نتنبا ـ كما فى العلــــوم الاخرى ـ بسلوك الانسان . بامكاننا ان نجعل من سلوك الانسان علما تجريبيا ، تمهيدا لاقامة حضارة مبنية على اسس العلم السلوكي .

والمبدا السلوكى مبنى اساسا على ان السلوك نتيجة للعوامل والمؤثرات البيئية الخارجية (إذ انه ليس هناك مؤثرات داخلية) . وما يتحكم بالسلوك هو نتائجه . وخلال تجارب الفرد وخبراته وممارساته يتعلم ما قد يكون نتيجة تصرف ما . وهو يتصرف مستقبلا من وحى ما تعلمه فى ماضيه . وهذه الخبرات تشكل القيود التى تحد إطارا لايخرج منه الفرد .

وحينما نقول «أن ما يتحكم بالسلوك هو نتائجه» فاننا نقصد المعززات التى قد تكون إيجابية او سلبية ، فان كانت ايجابية سعى اليها الفرد وإلا فلا ، (إلا انه لايسعى اليها بمحض إرادته كما سنبين) ، والحقيقة أن الظروف التعزيزية المتعلقة بسلوك ما هى التى تقـــرر مسلك الفرد مستقبلا .

ولكن لماذا يلجا الفرد الى المعززات الايجابية ؟ إن السعى الى التعزيزات الايجابية سعى نحو الحرية ، فمثلا نحن نسعى الى حجرة مكيفة الهواء «لنتحرر» من حر الشمس ، ونسعى الى الاكل «لنتحرر» من الجوع وهكذا .

والحقيقة ان تطور العلوم الطبيعية ـ الذى بامكاننا ان ننظر اليه كسلوك ـ إنما فى قرارته سعي الى الحرية . فوسائل المواصلات مثلا إجهاز على متحكم (بكسر الكاف) ومؤثر بيئى خارجى وهو سطوة المسافات ، وتقدم الطب سعي الى التحرر من الامراض .

وخلال عملية التطور البشرى ، فانه لم يكن للانسان بد من السعي الى الحرية من اجل البقاء .

وبايجاز فان الفرد يسعى فى كل تصرفاته الى مايعزز سلوكه إيجابيا ، فالمجاهد الذى يستشهد فى الحرب ، يفعل ذلك ليبلغ الجنة ، او سعيا الى ثناء الناس عليه لبطولته ، وهو فى اية حالة يتحرر من المانع الى بلوغ سبيله .

ونحن لانقول انه فعل ذلك لانه رغب فيه ، لأن العملية ليست متعلقة بالشعور . لأن الشعور نتيجة للفعل وليس مصدرا له .

سلوكه إذن مرتبط بالخبرات السابقـة التى اتت له بشعور مماثل بعد اداء العملية . الشخص لا يتصرف لأنه يشعر بالغضب مثلا ، إنما هو يتصرف ويشعر بالغضب .

وقد يلجا الانسان الى الانتحار للتخلص مما يتحكم به ـ اى البيئة التى قد فشلت فى تعزيز سلوكه إيجابيا ـ سعيا وراء الحرية ، وقد يلجا الانسان الى السرقة بالرغم من انه يعلم ان العقوبة تعززه سلبيا .

إن الانسان فى سعيه الى الحرية ، يسعى الى مايعزز سلوكه إيجابيا ، وإننا حين ننسب سلوك الفرد الى المؤثرات الخارجية (وليس الى بادرة منه) نكون بمثابة من يهدد كرامته ، فان قلنا عن الفنان الموهوب ان موهبته إنما كانت نتيجة للمؤثرات الخارجيـــة والى المعززات السلوكية السابقة التى ادت به تدريجيا الى ان يكون موهوبا ، نكون قد انتقصنا من قدره ، وبالمثل فاننا نحاول إخفاء المتحكمات بالسلوك للحصول على الثناء على مقدرتنا فالمــذيع مثلا ، لاينبغى ان ينظر الى ورقته كثيرا ، ليبدو وكانه متمكن من مادته ، ونحن لانمتدح اولئك الذين يبحثون عن المدح كالمنافقين والمرائين .

إننا فى كل هذا نريد ان نؤكد لانفسنا اننا مستقلون وان لدينا حرية إرادة ، فى حين اننا لانملك شيئا منها ، إذ لامفر لنا من المؤثرات الخارجية .

وكنتيجة لرغبتنا فى إثبات استقلاليتنا الكاملة ، فلقد شرعت الاباحية فى بعض المجتمعات ، والذى يغفل عنه الاباحيون ،

هو انهم إنما يغيرون نوعا من المتحكمات بنوع اخر .

هكذا إذن هى الحالة . لا مفر لنا من المتحكمات . والحل الأمثل إذن ، يكمن فى اختيار متحكمات تضمن لنا السلوك المطلوب . ويجب زرع هذه المتحكمات فى البيئةـ او بمعنى اخر تصميم البيئة ـ بحيث يؤثر فى الأفراد لينتجوا السلوك المطلوب .

ولكن كيف نصمم هذه البيئة ؟

هنا يدخل علم التقنية السلوكية للاجابة على هذا السؤال . إن منهج سكنر يعتمد على الاشراط الذى يستعمل بنجاح مع حيوانات المختبر . وباختصار فانه فى هذا المنهج يتم فيه مكافاة الحيوانات لتشكيل سلوكها حسبما يريد المختبر (بكسر الباء) . ويؤمن سكنر ان الطريقة ذاتها ممكنة مع الانسان .

إن الحمامة او الفار الذى يسقط بقفصه قطعة من الطعام حينما يضغط على قضيب ستزداد عنده القابلية لضغط القضيب مستقبلا . والطعام هو ما يسمى فى هذه الحالة بـ «المعزز الطبيعى» او الابتدائى ، وعملية الأكل هى الاستجابة الغير مشروطة.

مازالوا يتبعون منهجه

قبل عشرين سنة ونيف ، كنا نجد اتباع سكنر فى المختبرات الجامعية . اما اليوم فانهم ليسوا هناك كثيراً ، لانهم فى كل مكان فى المدارس والمصانع والمستشفيات والسجون وفى روضات الأطفال وحتى فى المطابخ . لكن المبادىء التى يعتمدون عليها لم تزل كما هى عندما صاغها سكنر ومعاونوه بملاحظاتهم للفئران والحمائم فى المختبرات .

وفى المدارس فان آلات تعليم سكنر Air Crib كانت قد احدثت ثورة تعليمية فى حينها . كان سكنر قد زار ابنته التى كانت فى الصف الرابع فى حصة للحساب عام ١٩٤٥ ، وإثر الزيارة اخترع اداة للتعليمات المبرمجة ، لانه كان قد راى «عقولا تدمر» على حد تعبيره . وارتاى ان يتم تدريس النشء بنفس الطريقة التى يتم بها تعليم الحمائم . وانتشرت الته التى اخترعها فى مدارس امريكا . وهذه الآلة تقدم للتلاميذ خطوات متتالية يسهل تعلمها وفى كل خطوة يتم تعزيز الجواب الصحيح ليس بحبة قمح كما يفعل مع الحمام ، إنما بجملة مطبوعة تقول ان الجواب صحيح .

وبعض النقاد ومن بينهم اتباع اوفياء لسكنر ، يرون ان هذه الطريقة فى التعليم مملة جداً ، وان ليس هناك دليل قوى على ان التعليمات المبرمجة تلتصق باذهان التلاميذ . ولكن سكنر يصر انها وسيلة اسرع من الطرق التقليدية ، كما انها تعطى المدرس فرصة للتفرغ للتلميذ النابغ .

وفى مستشفى للأمراض العقلية كان يتم علاج المرضى المتمردين باستخدام العلاج التعزيزى . كان العاملون يعانون من المرضى الذين يتاخرون عن موعد الاكل بعد قرع جرس الاكل . وحاول العاملون إغلاق الباب بعد عشرين دقيقة من قرع الجرس ورفض إدخال من ياتى بعد ذلك . وبالتدريج قصرت هذه المدة الى خمس دقائق فكان المرضى يحضرون بسرعة . إن ما يحصل فى هذه الحالة هو اننا نغير التعزيز من الحصول على انتباه العاملين بمضايقتهم بالتاخر ، الى نوع اخر من التعزيز ، الاكل لدى الجوع .

وليدحض عن نفسه تهمة السادية ، يقول سكنر ان المرضى يهرعون للاكل لانهم يريدون . وهذا يبدو كمنطق غريب لان المرضى مضطرون ان «يريدوا» خشية الجوع .

ولقد استخدم منهج التعزيز الايجابى فى شركة لتسليم الطرود . وللتقليل من الكسر الناتج من وضع البضائع فى الصندوق الغير ملائم ، كان المشرفون على العمال يثنون عليهم إن هم وضعوها فى الصناديق الملائمة ، وعملية الثناء وفرت على الشركة ٦٠٠،٠٠٠ دولار (ستمائة الف) كانت تدفعها للكسر اثناء النقل.

والأمهات اللاتى يتبعن منهج سكنر ـ بعلم او بفريزة ـ يجدن سهولة فى تربية اطفالهن على العادات الحسنة وذلك بمكافاتهم للسلوك الحسن بدلا من عقوبتهم للسلوك السيىء . إن الأم التى لا تهرع الى ابنها إلا إن بكى فانها تعزز فيه «الدلع» . ولكنها إن اتته من تلقاء نفسها وهو سعيد قائل لها «ماما» فانه سيتعلم ان يكلمها بنفس الطريقة من دون ان يخشى عدم تواجد امه حينما يريدها .

وتنحصر العملية فى عاملين ، فانها إما العقوبة او المكافاة التى تجعل من السلوك عادة . والعقوبة عموما وسيلة غير مجدية للتحكم . فالشخص المعاقب (بفتح القاف) لن يلتزم بالسلوك المطلوب منه بقدر ما يحاول اللجوء الى تجنب العقوبة .

ويهدف «سكنر» الى جعل الحياة اقل قسوة للفرد ببناء عالم يحب الناس فيه بعضهم ، عالم يكافا فيه الفرد لانه يريد ما فيه مصلحة حضارته .

المدينة الفاضلة

والحقيقة ان هذه النظرة عن الانسان تسلخ الانسان عن مسئوليته (كما تسلخ عنه الثناء على الابداع) . ليس هناك ما يعيب الأشخاص الذين يسيئون التصرف. فالشاب العاطل الذى لا يعمل ، لا يفعل ذلك لانه مصاب «بالعصاب» او «بانفصام فى الشخصية» او يشعر «بالاغتراب» ، ولكنه يفعل ذلك بسبب عيب ما بالبيئة فى المدرسة او البيت او المصنع او اى مكان اخر . وعند سكنر ، البيئة عطبة حينما تفشل ان تورث السلوك المطلوب فى افرادها او حينما تلجا البيئة الى العقوبة كوسيلة لايقاف السلوك الغير مرغوب به .

لقد ان الاوان لتطبيق نتائج الثورة السلوكية .

لقد اختار افلاطون حلا سياسيا لمدينته الفاضلة وتوماس مور وفرانسيس بيكون اختارا الحل القانونى فى القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر كان البحث يتم عن حلول اقتصادية . والآن فان القرن العشرين يشهد مدينة فاضلة سلوكية .

عبد الوهاب الانصارى

(١) ب . ف . سكنر (١٩٠٤ ـ ١٩٧٦) .
ـ رائد المدرسة السلوكية فى علم النفس .
ـ تاثر بالسلوكيين قبله من امثال واطسون وبافلوف ، وواطسون كان يقول : « اعطنى طفلا وانا ساشكله لك باى شكل تريد» .
ـ عمل سكنر مدرساً بجامعة هارفارد من عام ١٩٤٨ الى موته .
ـ من اختراعاته ايضاً «صندوق سكنر » لمتابعة التغييرات السلوكية فى الحيوان .

المراجـــــع :

1ـB. F. Skinner : Beyond Freedom & Dignity, Bantam 1971.

٢ ـ كان ثورو قد الف كتابا قبل ذلك اسماه «والدن» بعد ان اعتزل المدينة وعاش فى الغابة لمدة سنتين . وكتابه الاخر «العصيان المدنى» ذو تاثير على غاندى .



بقلم: محيي الدين فــارس - الخرطوم

- **لا تظلموا الموهبة باشهار سيف الادانة فى وجهها !**
- **لا تكونوا مثل استاذ الرياضيات الذى اتهم « اينشتين » بالغباء !**
- **فى كل عصر يصوغ الانسان افكاره حسب احتياجاته الملحة**
- **الماضى كان المحطــة التى انطلق منهــا الابداع ومازال يمتد فى عصــور حضـارته**
- **معنى الصراع بين القــديم والجــديد هو اســتمرار العطاء فى كل العصـــور**

ينبغى ان نقرأ الافكار التى تطرح نفسها بين الحين والحين قراءة متانية . لا لان هذه الافكار تحمل جديدا ولكن لانهــا تثير ما اثير فى شكل حديث ومن خلال منظور عصرى . فهى تعيد ما قيل من قبل فى اطر مضمونها واحد .. وأوانيها متعددة . ونحن نعرف ان المادة السائلة ذات العناصر المتماثلة والمنسجمة ستظل هى .. هى .. سواء اسكبت فى إناء فخارى قديم ، ام صبت فى إناء بلورى حديث .. يتغير دائما شكل الاناء .. ويبقى محتوى المادة المصبوبة هو .. هو ..

وتعلمنا التجارب المسنة حين نخوض غمارها ، اننا دائما فى حاجة ماسة إلى آلة زمان تختصر لنا المسافات .. وتجعل حلقات الزمان ذات صلات حميمة ، بل إن إيجاد مثل هذه الآلة امر هام لابعد الحدود حتى لا تتقطع اوصال الزمن وتتباعد مراحله . فنحن من الميالين إلى مراجعة التراث والتمرس بما فيه من روائع كما نحن نفتح الابواب على مصاريعها لنستقبل الانسام الندية فى آثار الادباء الجدد مادامت تعبر عن واجهات زمانها بصدق .. وعفوية .. وإضافة ، وما دامت تعيش داخل عصرها وهى تمــارس طقوس الابـــداع .. فمن حقها ذلك وليس من الحكمة او الصواب اشهار سيف الادانة واصدار حكم عليها لمجرد ورود اغلاط طفيفة فى ثنايا اعمالها لا تمس جوهر الموهبة من قريب او بعيد فمثل هذه الاغلاط يمكن اصلاحها مع الزمن ونمو عادة التامل الذاتى لاننا إن فعلنا ذلك كنا كاستاذ الرياضيات الذى حكم على التلميذ النابغة « البرت اينشتين» بالغباء . لانه لا يملك الحاسة التى تلمس قاع الغيوب او التى تكشف شرارة الموهبة الكامنة وراء بعض الملامح، واغلاق النوافذ امام المواهب الشابة عبثية لا طائل من ورائها وليس فى مقدور كائن من كان ان يغلق هذه النوافذ امام الاجيال الجديدة مادامت تملك زمام الموهبة التى تفرض نفسها على الساحة لان الوقوف كالجنادل لمنع تدفق الامواه ، لا يمنع تلك الامواه من ان تستحدث لنفسها طريقة اخرى تعبر بها عن ذاتها . لقد وقفت العوائق ضد منظار .. جاليليو .. كما وقفت ضد القابلات فى الازمنة القديمة مما عرض الملايين من الامهات للموت المحقق . ولكن ناموس الحياة ومنطقها العادل يتغلب دائما ويتدخل فى الوقت المناسب لصـــالح البشرية .

والاشياء لا تظل جامدة على شيئيتها عبر العصور محبوسة داخل صفة الثبوت والسكون العدمى المطلق لان الغــرض الاول للاشياء يتاقلم مع البيئات الجديدة ملبيا احتياجاتها . منسجما مع رغباتها.لذا .. لم يبق هــذا الفرض ، على حاله . بل تغير .. وتعدل .. ففى كل عصر يصــوغ الانسان افكاره حسب احتياجاته الملحة ورؤاه الخاصة واسلوبه المميز فى التعامل مع الحياة ولا يمكن ان تكون افكاره نسخة بالكربون لافكار امم غابرة .. بالرغم من ان هذه الافكار قد تكون امتدادا امينا لافكار هذه الخلائق الغابرة والتى تمثل جماع



جاليليو





هوميروس





دانتى

تراث الماضى المجيد.إن الأرض التى كانت كروية فى يوم من الايام اصبحت تدور الآن فى مـدار بيضى او بيضاوى كما يقولون. فالدوران لم يتغير .. وانما تعدل المجـال الذى تدور فيه الأرض . حتى المعـــرفة اليقينية او التى تشبه اليقين المطلق إذا اصطدمت بما يجعل الثابت منها غير ثابت فانها يجب ان تعدل من وضعها .. ولعل الأشعة التى تخترق الاجسام الصلبة ، والتى ابت ان تخترق موضعا بعينه فى مدافن قدماء المصريين فى احد الاهرامات ستجعل العلماء يعيدون حيثيات تلك الاشعة ومعادلاتها بايجاد البدائل الملائمة لمنطق الفرض الأول للاشياء .

إن القول بان الجديد لم يعط شيئا .. خرافة .. واكذوبة بلقاء ، فالجديد فى كل عصر قد اعطى .. وغطى مساحة تاريخية هامة.والقول بان القديم يجب إهالة تراب النسيان عليه اغلوطة كبرى . فالقديم قد اعطى واجزل العطاء . ومازال يوحي ويعطى كمصدر إلهام . وقد غطى على مدار الزمان مساحة تاريخية عريضة .. ثم ان جذور الماضى العريق هى التى منحت المشاتل الجديدة فرصة ان تختار الاسمدة والأزياء التى تلائمها .. ولولا وجود ذلك التراث العظيم لاصبح كل اب طفلا لقيطا مجهول الهوية . ولصار كنبات العليق يبحث عن اكتاف شجرية ليريح عليها جسمه الهزيل .

وإذا قلنا إن التقاء الماضى بالحاضر فى اثناء مسيرة الحياة ظاهرة صحية ففى إمكاننا ان نقول .. إن المجال بلا ظاهرة فراغ ، اما الظاهرة داخل مجالها فهى «المكان» تتحرك فيه رئة الزمان شهيقا وزفيرا . ولا يمكن ان ننظر الى الحياة وهى تتشكل إلا داخل الثنائيتين «الزمكان» إن صح هذا التعبير . ومعنى ذلك ان الماضى كان المحطة التى انطلق منها الابداع

ومازال يمتد فى عصور حضارية تاخذ برقاب بعض وبدون فواصل او فجوات إلا فى مراحل التحول من عصر الى عصر ، وقليلون جداً .. هؤلاء المبدعون الذين يقفون فى منتصف محطات الابداع تحت مظلة التامل الباطنى لغربلة الأشياء بالاطلال على الماضى لمراجعة ملفاته ، وبتجاوز «الآن» ليصبح قطعة من الماضى المجيد، وبالنظر الى جميع الاتجاهات فى لحظة واحدة . وهؤلاء بحكم انتمائهم الى اجيال مختلفة ، متباعدة المرامى ، متباينة الميول والمشارب، ولمرورهم على تجارب عديدة كانت ومازال نظرتهم الى الاشياء تتسم بالموضوعية والنقاء والشفافية وهم لذلك يؤمنون بقيمة الصراع الشريف بين القديم والجديد من اجل الاضافة ورفع قامة الاعمال الانسانية الى اعلى، باعطائها فصائل دم جديدة . وهذه الفصائل وجدت ومازال توجد فى كل عصر واوان لبناء خلايا الحياة كقطع غيار لابد منها ، وهذا الصراع سـيظل متصفا بالديمومـة والاستمرارية شئنا هذا ام ابينا . والاثار التى تكون وليدة الصراع بعضها يعيش عدة عصور ثم ينسحب من الساحة وبعضها يظل حيا فى كل عصر واوان .

ولعل هذا ما يفسر لنا بقاء التراث الكلاسيكى الخالد حتى يومنا هذا عند سائر الأمم العريقة كالياذة هوميروس واوديسته . والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وروائع المتنبىوابى العلاء المعرى ودانتى الليجيرى وغيرهم والاشياء تنمو من تلقاء ذاتها نحو الاحسن باحثة عن قوالب مريحة تتيح لجسدها التمدد الطبيعى فمن الذى يستطيع إيقاف ذلك التناغم الداخلى فيها؟

إن السرير الذى ننام عليه الآن هو نفس السرير «الأول» الذى اخترعه الانسان القديم على شكل ارجوحة بين اغصان شجرتين متقاربتين ، او على شكل مصطبة او صخرة منحوتة بدقة وعناية وقد اخذنا فكرة «السرير» معنا ونحن ننتقل عبر العصور فى شكل سلالات تحافظ على بقاء النوع ولم يبق السرير على حاله . بل تغير. .. وتطور حتى صار فى الشكل الحضارى الذى نراه الآن . وقد حافظت فكرة «السرير» على جوهر مضمونها فى الأزمنة لذلك فان الجديد قد يكون قديما عدلته نواميس الحياة وقوانينها ومنطقها العجيب .

فالاوائل تركوا ركائز هامة ، وتراثا ضخما ، ونحن مدعوون لنضيف جديدا ينفع ، وتراثا يبقى ، وإبداعا يصل الماضى بالحاضر باقامة جسور من المحبة.ومن ثم فان دراسة الماضى والاطلاع على امهات كتبه ، ومدونات ادبه والنفاذ الى جوهره عملية هامة . ولكن اين تلك الاجيال القادرة على قراءة الماضى ، قراءة جديدة ، واستيعابه وهضمه . وتمثيل محصول عصوره تمثيلا غذائيا نافعا ؟؟

نحن لا نغلق الباب لنقول لا توجد مثل هذه الاجيال . ولكن نخشى ان يسود الاعتقاد بذلك لدرجة اليقين المطلق . فكثرة العيوب فى بعض المطروح ربما اعطت

الحداثة في الأدب


ابو العلاء


المتنبي


همنجواي

ملامح الدمامة والجدرى الحقيقى للاعمال التى تاخذ سبيلها للخروج الى العالم قبل النضوج فى رحم الحياة نضوجا طبيعيا .

ونحن نعرف ان عين السخط لن تبصر الجوانب الجميلة ، او تتذوق اللغة الجديدة ولكنها ستركز على الجوانب السلبية بتضخيمها وإلقاء الاضواء عليها . والذى لن يتذوق عسل النحل وهو فى شمعه لن يتذوقه بحال من الاحوال وهو فى صوره الأخرى . والذهب المصنوع قد يخدع العين العجلى ، حين تكون نسبة «النحاس» فيه اكبر من المعدل القانونى فتصبح كل السبائك ذات اللمعان الخاطف من قبيلة ذلك المعدن النفيس .. فلماذا لا نلمح الاشياء وهى تنمو، لنحتضن براعمها ماخوذين بسحر الدهشة الاولى . إن إعجابنا الاول بها والافصاح عن هذا الاعجاب ، وإظهاره فى إبانه يخلق مناخا صحيا معافى . والموهوبون يفرحون باعمال الموهوبين البادئين . فرب عمل مفاجىء يكسر الرتابة يقفز بالبادىء الى الصفوف الامامية ليحتل فى الرسم البيانى الخانة الشاغرة فى جدول «ماندليف» .

ومن اجل عدم توقف عجلة الحياة نزل عجوز «همنجواى» بين لجج الكاريبى وهو طاعن فى السن وعاد بعد الصراع الرهيب مع وحوش الماء وكانه يتهيا للنزول غداً ، وكل يوم لممارسة لعبة الحياة . ولو انه ظل حبيس «بارنكته» لفقد طعم الحياة ولزوجة دمها الحار . فالحياة بشخصيتها القوية تتصرف بديناميكية غير مرئية فى الابقاء على النافع والمفيد . والعمل على إزالة الهامشى ، والهلامى . لذلك فهى تسقط من ذاكرة العصور اسماء ، وتبقى عالقة بها .. فى قوة بعض اسماء لَيُغَنّ للفراغات السديمية من اراد ان يغنى لها . فالحياة لا تسمع اذنها الذواقة إلا الغناء الذى يحرك فيها شهية الاستماع .. والاستمتاع . وهى لذلك لا تقبل الابداع فى اى شكل مادام قادراً على العطاء ولا تجعل المضمار وقفا على قوم دون اخرين . فالاديب الموهوب ينطلق من الماضى ليتجاوزه بما يضيف اليه وهو لا يخضع للتلقى الببغائى بحيث تصبح موهبته الذاتية جمرة تفقد الاتقاد او بعبارة اصح طبيعة الاتقاد كالبراكين المنهزمة تحت الرماد المتراكم عليها وإنما هى تاخذ .. ما تاخذ من الماضى او الحاضر بعد تحويله الى مادة ملائمة لمعدة عقلها الباطن فالتاثر يجب الا يجعلنا نعيد صياغة افكار الآخرين من جديد . لقد، اخذت الموسيقى الهندية ما اخذت من الموسيقى الغربية ولكنها حولت كل ما اخذت الى موسيقى هندية مطعمة بروافد غربية وظفت توظيفا حسنا فكانت عملا غير هجين .

ونحن ينبغى ان نوظف ما ناخذ ليفتح لنا مجالات اخرى مثل البروتين الذى ناكله فى اشكال حضارية متعددة لنستعيد الطاقة والاسعار الحرارية بعد اعداده الاعداد الصحيح فاذا ما تنكبنا طريق الاعداد الجيد .. لم نهضمه .. وافرغناه قطعا ذات طعم حامض لان امعاءنا ترفضه وتركيبنا الكيميائى يلفظه بحدة وصرامة .

إن الفنان الأصيل .. والذى يتعامل مع الحياة بلغته الخاصة واسلوبه المميز ؛ لا يتوقف عند محطة معينة من محاط الحياة .. وقد قنع بالمكوث فيها .. فى خيمة اوكسجين وانعاش نهائية .. فخلاياه الفانية كل يوم تقوم مقامها خلايا جديدة ..

قد يعيش الفنان .. البيات الشتوى ازمنة قبوية ريثما يجدد ريش اجنحته والوان واجهات ذاته بالمعاناة المضنية ليكون داخل لعبة الحياة .. يختار المضمار ونوع الاشواط .. فالحياة تركض باقصى سرعتها مخلفة غبارا كثيفا قد يغطى قرص الشمس وعلينا ان نحدق بعيون حديدية لا تطرف وان نشق بسكين اشعة الوعي كثافة اغبرتها وإلا داستنا بسنابكها .

وداخل سيرك الحياة ينبغى ان يكون لنا دور .. وليكون لنا كل ذلك .. او بعض ذلك .. او شىء من ذلك يجب الا يفكر لنا الآخرون .. فاقنعتنا مهما كانت .. اجمل الف مرة من الاقنعة المستعارة .

إن للحداثة فى الادب زوايا كثيرة وقد نعود اليها مرة اخرى إذا ساعدتنا الظروف .

محيى الدين فارس

المدى ينتحب

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

١ ـ السنديان

ـ عندما كنت افتح نافذتى فى الصباح البهيج
فى الزمان القديم « الذى لا يدوم »
كان عطرك ياتى من السنديان المجاور
يملأ روحى الأريج
ما الذى الآن يبعثه السنديان
... النشيج
... النشيج
... النشيج

٢ ـ صوت اليمام

كان صوت اليمام
نابضا فى السهول
والنسيم الملول
يتحلق حول رؤوس النخيل
كنت اعشق هذا اليمام اليتيم
كان يحمل حزنى
وكان يفسره
فى الظلام البهيم
آه كنت ارافقه فى الظلال
وكانت ترافقنا فى السماء الغيوم

٣ ـ الغياب

مرة قد اخذت النهار
الى غرفتى
والتلال المحيطة والنهر
بعض البساتين ..
.. كنت أريد اقدم بعض الهدايا إليك
وكان الزمان يسافر بين الرياحين ..
... وجهك يسطع فوق مرايا الدماء
جلست انتظرتك حتى انطفاء الكواكب
ومرت جميع المراكب
ما جئت



سال الحنين
وفات زمان الاياب
جلست انتظرتك ما جئت
جاء « الغياب »
وعلقنى عاريا فى جناحى غراب

٤ ـ اقبلى

قرأتك فى الريح
كان المطر
يحاول نقش ملامح وجهك فى ليلة باكية
ولكن بعض حروفك ناقصة ..
.. والوجوه التى تعبر الآن وسط المدينة ..
.. لا تقنع القلب أن يتوقف
لا تشبهين الجميع
طلبتك فى الليل
حاولت صنعك لكننى
مارجعت بغير الاشارة فى الحلم ..
.. بعض الهواجس فى الروح
بعض الجروح
فهل انت كامنة فى الرحيق
يا ترى ـ ام ضللت الطريق
لا احب الوقوف امام الضباب
على حافة الماء والرمل
حيث القواقع خالية
فى انتظار البروق
من زمان سحيق
لا احب الوقوف

....

اقبلى كا لشروق
اقبلى فى العبير
اقبلى فى اللهب
اقبلى فى الهدوء
اقبلى فى الصخب
اقبلى فى الرضا
اقبلى فى الغضب
المدى ينتحب
المدى ينتحب



من النفاثات او المداخن البحرية ترسبت هذه التكوينات الغنية بالخامات المعدنية .. وفي اسفل الصورة احد الاجهزة التي يرسلها العلماء لتسجيل ما يحدث في ظلمات اعماق البحار.



نفاثات في واحات.. في ظلمات.. في الأعماق

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

الظلام حالك، والسكون قاتل، والوحشة تنتشر حيثما توجهت، والعزلة تلازمك اينما توليت .. لا همسة .. لا ومضة .. لا حركة .. لا حياة .. فكانما انت تائه في صحراء واسعة قاحلة مظلمة موحشة .. وفي وسط هذا الظلام تنتشر واحات غريبة لكنها ليست كالواحات التي يعرفها مسافرو الصحراء، بل هي واحات ذات نفاثات كانها المداخن التي تنفث من جوفها دخانا اسود .. لكنك لا تستطيع أن ترى النفاثات وما تنفث، فالسواد لا يظهر في السواد، وكان لابد من كشاف ضوئي يبدد الظلمة لبضعة امتار، عندئذ تتجلى لأول مرة في التاريخ ارضية لم تطاها قدم، ومناظر لم ترها عين بشر .. فعلى هذه النفاثات يقع الضوء ويرتد الى العين، فترى أعمدة غريبة من دخان، وما هي بدخان .. بل طبخة غريبة تخرج من باطن الأرض .. وعلى هذه الطبخة تعيش كائنات لم يرها احد من قبل .. الطبخة لاشك سامة، وهي بالتاكيد لا تصلح للحياة الارضية، لكن سموم مداخن واحات الظلمات هي بداية لتجهيز مائدة غريبة تعيش عليها كائنات اغرب!

ليست كائنات كونية

وقد يبدو لاول وهلة اننا نقدم صورة من حياة خيالية، او نتعرض لكائنات غير ارضية تعيش على السموم، وتزدهر بالمداخن، وكانما هذه المداخن تشبه الآبار التي تعتمد عليها الواحات في زرعها وضرعها - وهي بالفعل كذلك، مع الاختلاف طبعاً بين ما يخرج من الآبار من مياه للواحات فيها حياة، وما يخرج من النفاثات من سموم لواحاتها فيها ايضا حياة!

لكن .. ما طبيعة هذه المداخن؟ .. وماذا تنفث؟ .. وهل هي موجودة في كوكبنا؟ .. واذا كانت، فلماذا لم يرصدها احـــد من قبل؟ .. وما هي العلاقة بين مداخن تزفر السواد، وواحات مظلمة تعيش على هذا الزفير السام؟

الواقع أن هذه الصورة الغريبة من الحياة موجودة بالفعل في كوكبنا، لكنها لم تكتشف الا منذ بضع سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة، وسر اختفائها عن الاعين كل هذا الزمن الطويل، انها تعيش في عالم اخر غير عالمنا .. عالم واسع شاسع مظلم بارد يقع على عمق الاف الامتار تحت مياه المحيطات، ووسيلته في الحياة تختلف تماما عن الحياة التقليدية التي نعرفها في البر والبحر .. اذ ان الطاقة التي تعيش عليها الكائنات المعروفة هي في الأساس طاقة شمسية، والذي يستفيد منها اولا هي الكائنات النباتية (بما في ذلك الطحالب التي تعيش في البحر - وهي من النباتات الأولية البسيطة) لانها تمتلك مادة خضراء تعرف باسم الكلوروفيل،



لأول مرة فى تاريخ الأرض تنير الكشافات هذه البقعة من الظلمات ، لتبدو واحدة من النفاثات ، فتنفث فى الأعماق دخانا ، وما هو بدخان .

فى هذه الخريطة سجل العلماء الشروخ الأرضية الكامنة فى أعماق المحيطات ، وعلى امتداداتها تنتشر «المداخن» لتنفث «طبخة» ساخنة



وجزيئات الكلوروفيل تنتظم فى «بطاريات» الحياة الدقيقة المعروفة باسم البلاستيدات الخضراء ، وهى ادق واتقن واكفا بطاريات شمسية ، لانها تحيل الطاقة الضوئية إلى طاقة شمسية كيميائية مخزونة فى جزيئات عضـــوية ، وعلى هـــذه الجزيئات (البروتينات والسكريات والدهنيـــات والنشويات .. الخ) تعيش الكائنـــات الحيوانية .

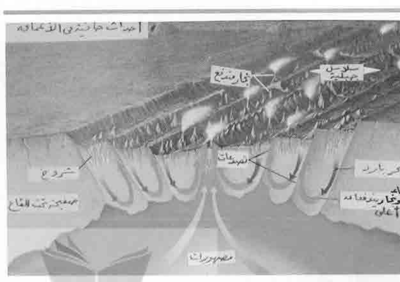
لهذا لو ماتت الشمس ، لماتت كل حياة أرضية منظورة ، لأن الشمس بمثابة المرضع ، وهى التى ترضع الأرض حرارتها وضوءها لتدب فيها الحياة ..وبدون مرضع يموت الرضيع .. لكن هذا المبدأ ليس صحيحاً فى كل الاحوال ، لان بيئة الاعماق قد ضربت به عرض الحائط ، فهى لم تر شمسا ، ولا تعرف ليلا ولا نهاراً ، او شتاء وصيفاً ، لانها ببساطة تعيش فى عزلة تامة فتكيفت على حياة الظلام ، وتاقلمت على الضغوط الرهيبة التى تتعرض لها فى الاعماق .

ولقد عرف العلماء ان هناك كائنات تعيش فى قيعان البحار والمحيطات ، وظنوا ان غذاءها ياتيها من فوق ـ اى من الكائنات التى تعيش قرب السطح ، حيث تنتشر عليه وفيه النباتات والحيوانات ، ولاشك ان بعضها يموت ويتهاوى الى الاعماق ، ليكون رزقا لساكنى الظلمات ، وقد يكون ذلك صحيحاً ، لكن ليس ايضا فى كل الأحوال ، فهناك « موائد » منصوبة فى « الواحات » البحرية المظلمة ، وعليها يتم تجهيز الطعام المناسب لكائنات الأعماق ، ودون ان تعتمد فى ذلك على الطاقة الشمسية ، بل استعاضت عنها بطاقة بديلة ، وكانما لسان حالها يشير الينا من طرف خفي ويقول : « لا جديد تحت الشمس » ـ رغم انها لم تر شمسا ، ثم انها قد عرفت بديلا للطاقة التقليدية قبل ان يعرف الانسان ذلك ، او حتى قبل ان يظهر على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين !

حياة مثيرة

لم يكن ليطرا على بال علماء الحيـــاة ان الحياة يمكن ان تتشكل وتتلون وتتكيف بمثل هذه الصور الغريبة التى كشفها مؤخرا علماء البحار فى قاع المحيطات ، وحتى علماء الفضاء الذين راحوا يبحثون عن صور اخرى من الحياة الكونية ، علهم يجدون فيها ظواهر تخالف الظواهر التى تقوم عليها حياتنا الارضية ـ حتى هؤلاء قد تناسوا ما يبحثون عنه الى حين ، بعد ان جذبتهم حياة كائنات الواحات البحرية المظلمة ، وكانما هؤلاء يحدثون انفسهم متسائلين : ولماذا البحث عن انماط حياة مثيرة فى الكون ، ولا يزال كوكبنا يكشف لنا عن كل ما هو مثير وغريب .. ثم او ليست حياةهذه الكائنات المعزولة وتبدو لغرابتها

نفثات
في واحات .. في ظلمات .. في الأعماق



نموذج توضيحى مبسط يبين منطقة من مناطق التصدعات او الشروخ الموجودة فى القشرة الارضية بقاع المحيطات ، والى الشروخ يندفع الماء البارد ، فيسخن ويغسل الصخور، ثم يعود لينفث فى الاعماق ما حمل وما اذاب .

وكانما هى لا تنتمى لانماط الحياة التى نعرفها على كوكبنا ؟ .. وباية وسيلة استطاعت هذه الكائنات « المجهولة » ان تكيف حياتها على « مداخن » تنفث طبخة سامة ، وكانما هى تنفث فى هذه الكائنات نسمة الحياة ، لتزدهر بها واحات بحرية تبدو الحياة فيها اغرب من الاساطير ؟

لكن .. ماذا تعنى الواحات البحرية اولا حتى يصبح للموضوع معنى ؟

الواقع أن الاعماق الســحيقة من المحيطات تشبه صحراء واسعة خالية من الحياة ، وفى هذه المتاهات الموحشــة (سواء فى الصحراء او الاعماق) قد تتهيأ مساحات لتزدهر فيها الحياة .. فاذا ظهرت الحياة على مساحات محدودة فى قاع المحيطات ، وكان كل ما حولها خالياً من الحياة ، فانها تسمى ايضاً واحة بحرية ، لكن ليس المــاء هو مشكلتهــا ، بل المشكلة فى غذاء ميسر يهبها طاقة الحياة .. وقد كان !

فحول مداخن الاعماق تعيش كائنــات غريبة ، منها على سبيل المثال محاريات وديدان وسبيط (ام الحبر) وسرطانات (كابوريا) واسماك ... الخ ، ومن المداخن تنطلق « طبخة » ساخنة من مركبات واملاح شتى ، وفيها تكمن الطاقة التى تدير آلية الحياة فى كائنات الاعماق ، لكن «الطاهى» او الوسيط الذى يجهز لها المائدة ، ويحول الطاقة الموجودة فى احدى مركبات المداخن الى طاقة مخزونة فى جزيئات طعــام مستساغ لكائنات الاعماق ـ هذا الوسيط هو احد انواع البكتيريا المعروفة باســم بكتيريا الكبريت ـ او بالتحديد بكتيريا كبريتيد الايدروجين ، وهو غاز كريه الرائحة وخانق ولا يساعد على الحياة ، لكن هذه البكتيريا تستطيع ان تؤكسده (تحرقه) ، وتحصل منه على الطاقة التى تدير بها عملياتها الكيميائية ، فتتكاثر وتزدهر ، وعليها تعيش كائنات حيوانية صغيرة تنتشر على الصخور كشعيرات رفيعة تتكدس وتختلط بدون نظام واضح ، ولهذا اطلق عليها بعض العلمــاء « الاسباجتى » ، لانها اشبه بالمكرونة المعروفة بهذا الاسم .

ثم على هذا « الاسباجتى » تعيش حيوانات فى سلسلة من الطعام ، حيث يلتهم فيها الاكبر الاصغر ، وبهذا تتنوع صور الحياة فى الاعماق وتنتشر ، وكانما هى تعيش فى واحات تعتمد فى حياتها على الطاقة الكيميائية التى تقدمها المداخن وبهذا حلت محل الطاقة الشمسية التى ظنها العلماء انها المصدر الوحيد لحياة الكائنات فى هذا الكوكب ، لكن ظنونهم قد خابت بعد اكتشاف هذه الظاهرة المثيرة من حياة تبدأ بمركب كيميائى فى مداخنه ، وبميكروب مناسب يستفيد به ، ليفيد كل ما حوله من صور الحياة الحيوانية الاخرى فكانما هذه البكتيريا هى المرعى ، وعليه تعيش كائنات اخرى ارقى فارقى .

كشف له مغزاه

وطبيعى ان احداً لم يتصور من قبــل وجود هذا النوع من الحياة ، ولا انتشار هذه الواحات فى مناطق محدودة من اعماق المحيطـ ... ـعا تسبح فى ظلام حالك ، والبحث عنها صعب ، والوصول اليها أصعب ، ومع ذلك فان اكتشافها قد جاء بمحض الصدفة ، اذ عندما كان بعض العلماء التابعين لمعهد علوم البحار بولاية كاليفورنيا يقومون باجراء مسح علمى لاعماق المحيطات بواسطة اجهزة يرسلونها الى القاع ، لتسجل الظواهر الطبيعية والكيميائية والجيولوجية وما شابه ذلك ، سجلت الترمومترات درجات حرارة غير عادية ، وبعثت بها عبر اقطاب كهربية الى حيث يجلس العلماء على ظهر سفينة الأبحاث ، وتعجبوا لهذا التغير الواضح الذى لم يلحظوه قبل ذلك ابداً ، إذ ان درجة حرارة القاع من درجة التجمد (لا تزيد عن درجتين فوق الصفر المئوى) .. لكن حرارة هذه البقعة مختلفة ، اذ تتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٢٠ ـ ٣٢ درجة مئوية ـ يتوقف ذلك على موقع الرصد ، وطبيعى ان السفينة كلما ابتعدت عن هذا الموقع ، انخفضت درجة الحرارة ، لتعود الى معدلها الطبيعى الشديد البرودة .

عندئذ تفتحت امام علماء البحار آفاق جديدة ، ولم يجدوا لذلك تعليلا الا بافتراض وجود بؤر او تشققات او فتحات فى قاع المحيط ، ومنها تنطلق تيارات او سوائل ساخنة ، فتحيل الماء البارد حولها الى ماء دافىء ، والواقع ان هذه الظاهرة نفسها قد سجلت فى البحر الاحمر منــذ



مدخنتان صغيرتان تظهران هنا بوضوح حيث لازالت احداهما تنفث «شوربتها» السامة ، فى حين كفت عن ذلك التى تقع خلفها نتيجة لتغير طارىء فى طبيعة السائل التى كانت تغذيها (فى اسفل الصورة اجهزة تسجل وتحلل) .

حوالى ١٧ عاماً اثناء عبور احدى سفن الابحاث فيه ، لكن هذه الظاهرة قد مرت مروراً عابراً ، ودون أن يعطيها احـــد الاهمية المطلوبة ، ربما لانها لم تكن ضمن خطة البحث ، او لعدم وجود تجهيزات علمية ملائمة ، او لأن عملية استكشافها تستلزم اياما طويلة ليست واردة فى البرنامج .. الخ .

لكن الاجهزة المدلاة الى الاعماق لم تسجل ارتفاعا فى درجات الحرارة فحسب ، بل سجلت ايضا ارتفاعا فى تركيز الأملاح والمركبات المنتشرة فى هذه الجزء من المحيط ، وبحيث صنعت منها بيئة حرارية وكيميائية جديدة ، مما اثار فضول العلماء ودفعهم الى ضرورة الكشف عن سر هذا اللغز المثير من خلال اجهزة افضل ، وطرق غوص اتقن .



رحلة إلى الأعماق

يقص علينا البروفسور جون ادموند استاذ الكيمياء الجيولوجية لعلوم البحار فى معهد ماساشوسيتس التكنولوجى ، قصة رحلة مثيرة قام بها اخيراً ، ليرى بعينيه ما يجرى فى الأعماق ، وليكشف سر هذا التغير الذى يطرا على بقع محددة من قاع المحيط ، فيذكر « عندما بدات المحاولات الأولى التى اجريت فى بداية السبعينات من هذا القرن للكشف عن هذا السر ، كانت معلوماتنا عن قاع المحيطات بدائية ، وكذلك القدرة على كشفها بدائية ايضا .. لكن فى منتصف السبعينات بدات الأمور تتغير بسرعة ، خاصة بعد أن يسرت البحرية الأمريكية للباحثين استخدام المعدات والاجهزة والتكنولوجيا التى كانت فى حوزتها ، وعلى راسها تكنيك الملاحة فى الأعماق باستخدام اجهزة فائقة الحساسية والتعقيد ، ومن اهمها اجهزة رصد الصدى الصوتى المرتد » .

وفى هذه الاثناء ايضا امكن انتاج آلة تصوير كبيرة ومتحركة لمسح قطاعات واسعة من الاعماق ، مع استخدام كشافات قوية ، ولقد اطلق على هـــــذه الكاميرا ومستلزماتها اسم « قفص الغوريلا » ، اذ ان وزنها قد بلغ طنا ونصف الطن ، وتستطيع ان تشتغل لمدة ١٨ ساعة كاملة ، وتعطى صورة ملونة كل عشر ثوان ، وهى ايضا تحدد زمن التقاط الصور اوتوماتيكيا ، مما ييسر حسابات الزمان والمكان .

وفى هذه الفترة ايضا تحسنت وسائل الغطس والحركة فى الأعماق وتطورت ، اذ لابد من غاطسة قوية لتتحمل الضغوط الرهيبة التى توجد على عمق آلاف الامتار تحت سطح المحيط ، واختار العلماء لهذه المهمة غاطسة اسمها الفين ALVIN يصل وزنها إلى ١٦٫٥ طن ، واتساعها من الداخل حوالى مترين ، وتستطيع ان تحمل فى جوفها عالمين بحريين ، بالاضافة الى قائد لتوجيهها بسلام فى ظلمات الأعماق .. ولهذه الغاطسة سفينة ام يطلق عليها اسم « لولو » ، هذا بالاضافة الى سفينة ضخمة تسمى « نور » وطاقم من العلماء والفنيين يعد بالعشرات .

نعود الآن الى البروفيسور ادموند ، لننقل بضع اسطر من وصفه لرحلة الاعماق ولكن بتصرف واختصار ، فنراه يقول : لقد استقليت الغاطسة الفين مع دكتور جون كورليس من جامعة ولاية اوريجون ، بالاضافة الى قائد للغاطسة ، وهبطنا الى القاع بسرعة تتراوح ما بين ٣٠ ـ ٣٥ مترا فى الدقيقة ، حتى قطعنا مسافة ٢٥٠٠ متر فى ساعة ونصف ساعة ، ثم اقتربنا بالغاطسة وبحذر شديد من القاع حتى كدنا ان نلامسه ، واضيئت الكشافات ، وانتشر نورها فى الظلام إلى مسافات تقدر بحوالى ١٥ متراً فقط .

ولقد كان تقديرنا سليماً ، لاننا هبطنا على المنطقة الساخنة فى القاع ، وهى التى سبق رصدها مع غيرها فى المنطقة منذ فترة مضت ، ورغم ان حركة الغاطسة الفين قرب القاع كانت بطيئة ، ولا تتعدى سرعتها اربعة كيلومترات فى الساعة ـ رغم ذلك فقد بدانا نتحرك ونرصد ظواهر غريبة لم تقع عليها عين من قبل ، ولقد ظللنا معزولين تماما عن العالم لمدة ثمانى ساعات ونحن نجمع العينات ، ونرقب الكائنات ، ونسلط الأضواء على المداخن أو النفاثات التى تنفث من جوف الارض سوائل محملة برواسب سوداء او حمراء او بيضاء ، وبحيث تبدو كدخان متصاعد فى جوف المحيط .. لكن لون هذه الرواسب يرجع أساسا الى نوع المركبات القادمة من جوف الأرض !



فى هذه الواحات البحرية المظلمة تنتشر هذه المحاريات التى تتحمل الضغوط الرهيبة وتعيش على ترشيح الماء والحصول منه على اية مادة عضوية حية او ميتة .

إننــا الآن نتجول فوق شرخ او صدع فى قشرة الأرض الواقعة تحت مياه المحيط الباسيفيكى .. وهو واحد من الشروخ الكثيرة التى تمتد لمسافات تصل إلى حوالى ٤٥ الف كيلومتر تحت مياه البحار والمحيطات . وبها تنقسم القشرة الارضية الى عدد من البلاطات الضخمة التى لا تزال تتحرك فى كل الاتجاهات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة) .

وفى مثل هذه الشروخ تنتشر المداخن فى الأعماق ، وحولها تتهيأ الحياة الخصبة فيما يشبه الواحات . اذ لو توقفت هذه المداخن عن نفث حرارتها وعناصرها ومركباتها التى تنطلق مع المياه الساخنة كما ينطلق الدخان من المداخن ـ لو توقفت لتوقفت الحياة ذاتها . ففيما تنفثه طاقة محركة للحياة . مثلها فى ذلك كمثل الشمس بالنسبة للحياة التقليدية (ولقد شاهد العلماء بالفعل بعض هذه «المداخن» التى توقفت عن العطاء لأسباب غير معروفة ، فانقرضت من حولها الكائنات الحية ، واصبحت المنطقة كصحراء جرداء ليس فيها ما يسمن او يغنى من جوع !).

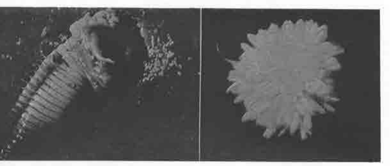
تجهيز الطبخة

نعود ـ إذن ـ لنقول : إن هذه المداخن لا تنفث دخانا . فالتسمية نفسها مضللة ، ولهذا تشير الى غير حقيقتها . ولقد تسرع بعض من راوها او صوروها ، واطلقوا عليها ما اطلقوا ، وهم فى ذلك معذورون الى حد ما ، لان الشكل اقرب الى المداخن ، فلها فوهات قد يصل قطرها الى حوالى متر ونصف المتر ، اما ارتفاعها ، فيتراوح ما بين ٥ ـ ٩ امتار ، وطبيعى ان احداً لم ينشىء هذه التكوينات التى تشبه المداخن ، بل تكونت بفعل الرسوبيات التى تتراكم حولها فتبنيهــا طبقــات من فــوق طبقــات ، والرسوبيات ذاتها تنشا من التفاعل المستمر بين ماء البحر البارد ، وبين الماء الساخن المحمل باملاح ذائبة اتية من جوف الارض .

ثم إن ما يخرج من هذه الفوهات يندفع فى قاع المحيط كما يندفع الدخان من المدخنة (انظر الشكل الدال على ذلك) .. وهو ليس بدخان ـ كما سبق ان ذكرنا ، بل اصله رواسب دقيقة تنتشر فى الماء الساخن المندفع والمتفاعل مع ماء البحر ، والرواسب ذاتها تختلف الوانها باختلاف طبيعة مكوناتها ، فان كانت كبريتيد حديد ، انطلقت كنافورات سوداء ، وان كانت اكاسيد حديد ، تلونت بلون احمر ، وان كانت كبريتيد زنك ، جاء لونها رماديا ، وإن كانت خليطا ، جاءت الالوان مختلطة بنسب مكوناتها .. الخ .

لكن .. ما مصدر هذه المياه الساخنة التى تندفع فى قاع المحيطات ، وعلى طول الصدوع أو الشروخ التى تتخلل القشرة الارضية ؟

الواقع ان مصدرها المحيط ذاته ، فمنه تندفع المياه الى جوف الارض باردة ، واليه تعود ساخنة ، وهى هنا اشبه بالينابيع الحارة . او النافورات البخارية التى نراها على اليابسة فى بعض بقاع العالم البركانية .. ذلك ان اى شىء يتخلل جوف الارض لابد ان يسخن ، وكلما تعمق فى الجوف ، ارتفعت حرارته ، لان جوف الارض ذاتها قطعة من اللهيب التى تذيب



بعض كائنات الأعماق التى تنتشر حول النفاثات .. فالى اليمين خيوط رفيعة تشبه «الاسباجتى» . وهى ليست إلا تجمعات من ديدان تنتشر على القاع ، لتصبح غذاء لكائنات اكبر .. وفى الوسط فرع اخر من الديدان التى تعيش على بكتيريا كبريتيد الايدروجين .. والى اليسار احد انواع الكائنات الهلامية التى تشبه الزهور .



صورة لأحد انواع سرطانات البحار الصغيرة التى لم تر النور طيلة حياتها إلا نور التصوير الضوئى الذى اوضحها لنا لاول مرة فى التاريخ ثم طواها بعد ذلك ظلام ابدى .

الصخور والمعادن والحجارة .

وفى شروخ القشرة الارضية توجد شقوق او منافذ الى جوف الأرض حيث تبدأ من قيعان المحيطات ، فيندفع الماء البارد خلالها ، ويسخن اكثر فاكثر ،كلما تجول فى الشقوق اعمق فاعمق ، حتى تصل درجة حرارته الى ما يزيد على ٣٠٠ درجة مئوية ، ورغم ذلك لا يغلى الماء ولا يتبخر عند هذه الدرجة العالية (المعروف أن الماء يغلى عند مائة درجة فقط) ، ويرجع ذلك الى الضغوط العالية التى يتعرض لها الماء مما فوقه (عدة آلاف من الأمتار عمقا) ، إذ يصل الضغط فى هذه الأعماق الى حوالى ٢٥٠ مرة قدر الضغط الجوى عند سطح البحر .

وتحت هذا الضغط العالى ، والحرارة المرتفعة ، تذيب الميـــاه كل ما تستطيـــع إذابته مما علق بالصخور الساخنة ، والحمم البركانية القادمة من الجوف ، وكأنما هذه المياه تتجول فى مراجل رهيبة ، فتكون من الأملاح والمركبات «طبخة» كيميائية يختلف «طعمها او مذاقها» باختلاف مكوناتها ، ثم تندفع عائدة الى المداخن او النافورات «كشوربة» مغذية للميكروبات ، لتصبح الميكروبات اول حلقة فى سلسلة الطعام ، فتتغذى عليها الكائنات الأكبر فالأكبر .

والواقع ان هذه «المراجل» او المداخن او النافورات تشتغل فى باطن الأرض ليل نهار وهى تعد بمئات الآلاف ، لانها تنتشر على طول الصدوع الأرضية (اكثر من ٤٥ الف كيلو متر) .. ولهذا فقد قدر احد العلماء ان هذه المراجل تستطيع ان تسحب من مياه المحيطات الباردة حوالى ٣٥٠ مليون متر مكعب فى اليوم الواحد ، ثم تعيدها اليها ساخنة ، على هيئة «طبخة» كيميائية مناسبة ، لتزدهر بها واحات من كائنات حية كانت عن مداركنا خافية !

وبعـــــد

لاشك أن هذه الكشوفات المثيرة قد دفعت العلماء لاعادة حساباتهم عن ميزانية الكوكب الحرارية ، فهناك فى الأعماق مراجل تسحب الحرارة من باطن الأرض ، وتغذى بها الأعماق الباردة ، ولابد من وضع ذلك فى الحساب ، ثم هناك ميزانيات ملوحة البحار التى كان الظن السائد الى عهد قريب أن هذه الأملاح تأتى اليها من اليابسة مع مياه الأمطار .. صحيح أن ذلك يحدث ، لكن هناك مصدراً اخر لهذه الأملاح تأتى من غسيل ما فى جوف الأرض وانطلاقة على هيئة مداخن او نفاثات ، ليختلط بماء البحر ، فتزيد ملوحته بمرور ملايين السنين .

هذا بالاضافة الى اكتشاف حياة مثيرة فى الأعماق ، فجذبت لغرابتها فضول علماء الحياة ، وعلماء البيئة ، وعلماء البحار .. الخ ، ليضيفوا الى معلوماتهم ومراجعهم اضافات كثيرة ومتنوعة وغريبة .. وكأنما علماء البحار هنا قد فتحوا نافذة على هذا الكون السابح فى الظلمات ، تماما مثلما فتح علماء الفلك نافذة على السماء ليكشفوا كل ما هو مثير وغريب .. وما أكثر النوافذ التى فتحها العلماء ، ليروا من خلالها عظمة الكون ، وروعة الحياة ، وبديع صنع الله .

د . عبد المحسن صالح



لوحة جانبية لجاكلين .. رسمها بيكاسو عام ١٩٦٢ على قطعة صفيح ، وكان يحب وضع منحوتاته فى حديقة منزله فى «موجان»

لوحة لبيكاسو بريشته .. رسمها عام ١٩١٨ عندما سمع بموت صديقه الشاعر « أبو لينير »



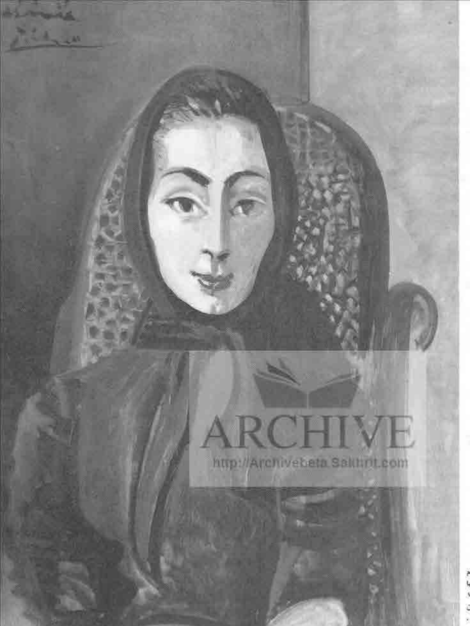
جاكلين .. آخر زوجات بيكاسو

بيكاسو .. بعد عشر سنوات من وفاته :

كان أجمل رجل في العالم !

ياسر السباعى

▶ (جاكلين والقط) .. هذه اللوحة كانت بالكاد منتهية فى عام ١٩٦٤ عندما مات القط الصغير الذى التهمه الكلب المدلل لدى بيكاسو !



جاكلين بالمنديل الاسود فى عام ١٩٥٤ .. عندما التقى بيكاسو بها فى ورشة للخزفيات عام ١٩٥٣ ادهشه التشابه بينها وبين لوحة ذات الخمار .

- اضواء على المجموعة النادرة التى اهداها بيكاسو لزوجته .
- كان بيكاسو يكره قص الاشجار لانه لا يريد أقلاماً خشبية !
- الدخول الى بيت الفنان الكبير يثير الاعصاب .. وزوجته صاحبة الثروة العظيمة تقابلك حافية !
- من هو الشاعر الذى قال له : إنك تمسك الشعلة باصابعك وترسم كالحريق ؟!
- لم يشتر بيكاسو البيوت والقصور إلا لكي يرسم ويحمى لوحاته !
- قال بيكاسو عن زوجته : عندما اتنفس تتنفس .. إنها تحبنى كثيراً !



(باولو بالقبعة) لوحة رسمها الفنان عام ١٩٢٩ لابنه من زوجته الاولى راقصة الباليه ، وقد توفى الابن فى عـــام ١٩٧٥ ، بعـــد عامين من وفـــاة بيكاســـو .

بانتظار ان يفتح متحف بيكاسو ابوابه فى فندق (ساليه) فى باريس ، تعرض جاكلين زوجة بيكاسو المتوفى سنة ١٩٧٣ ثمانين تحفة من أعماله فى متحف الفنون الجميلة فى «نيم» بفرنسا . وقد اختارتها من بين المئات من مجموعتها الشخصية التى وضعتها فى قصرها (نوتردام دوفى) فى «موجان» بفرنسا وارادت ان تكشف للناس كل وجوه تلك العبقرية التى صنعت ـ او صنعها ـ الفنان الذى وسم القرن العشرين بفنه .. إنها مازالت تحبه وكانه مازال الى جانبها .

عندما ندخل بوابة قصر (نوتردام دوفى) فى (موجان) تبدو أشجار السرو المحيطة بالمدخل وكانها فى ثياب الحداد فقد كان بيكاسو يكره ان تقص صارخا : انا لا اريد اقلاما خشبية . وفقد قصر «نوتردام دوفى» شمسه : بابلو بيكاسو .

كانت زوجته جاكلين تنتظر على عتبة الباب وشعرها الاسود ينسدل على كتفيها وعيناها الجميلتان الخضراوان تبدوان وكانهما لا تريان .. ولكن هذا خطا فقد كانت جاكلين ترى كل شىء .

حافية .. قالت : أنا أكره الاحذية كما أكره المتطفلين !!

دخلت الى ممر طويل عميق مظلم ، وبعد المرور بمكتب صغير ومطبخ كبير ملىء بالخزفيات التى صنعها بيكاسو ، وجدت نفسها امام الشمس المختفية فها هو بيكاسو فى مغطس اصفر ، تلك الصورة التى التقطها له (دافيد دوجلاس دنكان) وكانت نظرة بيكاسو تاسر كل من يرنو اليه قالت جاكلين امام الصورة : صباح الخير يا زوجى ، احبك وساحبك كل حياتى . قالت ذلك بابتسامة تاسر اكثر الأفاعى وحشية !

ذكريات لا يمحوها الزمن

بيكاسو الذى لا يقاوم ، ذلك العملاق المذهل قد انتهى وجاكلين هى المراة الوحيدة التى احبها اكثر من غيرها .

إنه وقت الافطار . جلست فى غرفة الطعام قائلة : من العبث ان نحدد الاشياء لان حمم بيكاسو البركانية قد غزت كل شىء فى هذا البيت ، فكل الحجرات اصبحت قاعات رسم . لقد كان (براساى) على حق عندما قال : إن الدخول الى ذلك القصر يثير الاعصاب فهنا الرسم هو الذي يامر !

ابتسمت جاكلين وهى تشرب القهوة وتابعت قولها وهى تتناول لقمة طعام : عندما يكون المرء شاباً فانه يحتاج الى الطعام .

وكانت تلتهم فى نفس الوقت تلك اللوحات ولم تعد تعرف أين تنظر ، فقد شعرت بالتواء فى عنقها ، ومن خلفها كانت لوحة (سطوح برشلونة ـ ١٩٤٠ ذات المرحلة الزرقاء) وقالت وهي تتابع نظراتها : عنـدمـــا عثر بيكاسو على هذه اللوحات واعادها الى البيت كانت سوداء من شدة الغبار ، وطلب منى أن اضعها فى الحديقة تحت الشمس . إن اللوحات مثل الكائنات البشرية يجب الا نضعها فى الصناديق والا نبيعها للتجار !

واضافت جاكلين بسخرية : إنى افضل ان اقوم باعمال البيت على ان ابيع اية لوحة ، ويعلم الله انى موهوبة باعمال البيت !

على اليسار كانت هناك اللوحة الامومية (اولغا) ـ اول زوجة لبيكاسو ـ وهى تحمل ابنهما «باولو» على ذراعيها . وفى احدى الخزائن الزجاجية يوجد مغلف ابيض بسيط كتب عليه بيكاسو (اوغو) التى تعنى بالاسبانية (عين) ثم كلمة (انتباه) !! واصبحت من انامله حتى اغطية الزجاجات حمائما ، كل كنبة وكل مقعد وكل قطعـــة اثاث كانت مغطـــاة بالصحف والرسائل والصور والرسومات واللوحات .

كانت جاكلين تداعب ذراعى الكرسى الذي تجلس عليه والمغطى بقماش برتقالى عندما قالت : فى احد الايام قال لى احدهم : يجب ان تنظفى الكراسى فهى مليئة ببقع الالوان ، وما كان منى إلا ان صعقته



جاكلين بالملابس التركية احدى اللوحات النادرة التى رسمهـــا الفنـــان عـــام ١٩٥٥ ، وكانت تصاحبـــه اينما ذهـــب .

بنظرتى ، إنه الحبر الصينى الذى كان يستعمله بيكاسو .. اشعر وكان هذه البقع سقطت البارحة .

كانت جاكلين تحمل حقيبتى يد بيسراها وقالت انهما من اصدقائها الافغان الذين قدموهما لها ولبابلو بيكاسو الذى كان يحمل الحقيبة الحمراء بينما تحمل هى الحقيبة الخضراء .

ثم تذكرت جاكلين يوم طلب بيكاسو يدها : لقد قال لى بنظرة ثاقبة غريبة : إذا مرضت يوما فلن يدعك الاخرون تعتنين بى ، فاجبته : إنى اتزوجك ولكن لن اكتب اية ورقة او مغلف ولن اقوم باية خطوة فانت الذى تقوم بكل شىء ، اما انا فلن اقوم باى شىء فبالحب لا توجد التزامات !

وكطفل صغير احضر بيكاسو مغلفا وورقة ليكتب الى ملاغا فى اسبانيا طالبا شهادة ميلاد بحجة انه يريد شراء بيت . لقد كان دائما يحب ان يردد إن الانسان يستهلك وقتا طويلا حتى يصبح شابا . لقد كان على حق فقد تزوجت اجمل رجل فى العالم وانا التى كنت عجوزا !

انا و بيكاسو

وبتاريخ ٢ مارس ١٩٦١ تم الاحتفال بالزواج فى مبنى عمدة (فالاوريس) بتكتم شديد وكان عمر جاكلين وقتها ٣٥ سنة وبيكاسو ٧٩ سنة .

قالت جاكلين : ولكنى لا اشعر انى بعيدة عن ماضيه فقد استخرج لى شهادة تنص على انى من مواليد ١٩٠٧ قائلا : يا جاكلين ! تعرفين انك كنت تعيشين فى ماضىّ .

كان بيكاسو رائعا ولم اكن بحاجة لان اقول له : ادهشتنى ! كانت معايشتنا دائمة فالناس لم تر حبنا والـ ٤٥ سنة التى تفصل بيننا ولم تفهم الروحانية التى توجد بيننا . كنت دائما فى البيت وكان بيكاسو ينادينى كل لحظة : جاكلين هل انت هنا ؟ لدرجة ان الببغاء «الغابونى» الذى عندنا حفظ الجملة واخذ يرددها ولم اعد اعرف من ينادينى بيكاسو ام الببغاء ؟!

كان بيكاسو يقول لى بببساطة : جاكلين .. احبك ، اشتر لى قماشا للوحات وسكاكين رسم ، فقد كان يخشى دائما ان تنفذ من عنده ، فذهبت الى (كان ـ فرنسا) وعندما عدت كان بيكاسو ينتظرنى على الباب قائلا : لقد هجرتنى لوقت طويل .

ولم نكن نترك ايدى بعضنا حتى فى السيارة احيانا .

كانت تتكلم جاكلين بابتسامة تضىء وجهها : ضِعنا مرة فى منطقة ثلجية على طريق جليدى .. وكاننا كنا خارج الزمن .. كم كان هذا رائعا وعندما حل موعد عودتنا الى البيت ، كان يحاول بيكاسو ان يسوق السيارة وكان يصرخ قائلا : إنى اسوق السيارة مثل سائق محنك . وهو الذى لم يمسك فى حياته مقود سيارة، كما انه لا يعرف كيف يركب الدراجة العادية او الحصان !

لم يكن يعرف إلا الرسم ولكن يجب ان اعترف ان ذلك مسىء جدا كما كان يقول !

نهضت جاكلين وتوقفت فى القاعة الكبرى ووجدت نفسها امام (رصيف المحطة) وهو مقعد سماه بيكاسو بهذا الاسم لان الزوار يجلسون عليه بانتظار استقباله لهم .

ولكن لماذا تبدو جاكلين فى الصور دائما خلف بيكاسو بقليل ؟

فاجابت وكانما تصدر صرخة من قلبنا : لاننـــــا لا يمكن ان نحجب نور الشمس!

ثم امسكت بسلسلة مفاتيحها الملونة وفتحت باب قاعة الموسيقى واخذت تستمع الى اسطوانة (السمفونية الاسبانية) للموسيقار (ادوار لالو) الذى تعشقه . ثم تراخت على الكرسى الدوار الذى كان لبيكاسو وتجلى وجهها من جديد كما تتجلى كل لوحات (جاكلين) التى تزين الجدران وتشهد لها بلا انقطاع على حب بيكاسو .

(جاكلين والزهور) ـ ١٩٥٤ اول لوحة رسمها لها ، فقد قابلها عام ١٩٥٣ فى ورشة (مادورا) للفخاريات فى (فالاوريس) ولكنه





(مثير ثيران المصارعة الساقط) و (مصارع الثيران الساقط) لوحتان للفنان يعود تاريخهما لعام ١٩٧٠ .. وقد كان بيكاسو شغوفاً بحلبات المصارعة ، وما من مرة عاد فيها إلى اسبانيا دون ان يذهب لمشاهدة مصارعة الثيران التى كانت وسيلة لهوه الوحيدة .

فى الحقيقة عثر عليها من جديد لان بيكاسو ودون أن يعرفها قد وقع فى حبها . فى البداية كان ذلك فى متحف اللوفر عندما كان ينظر الى لوحة (نساء الجزائر) للفنان دولاركروا حيث سحره وجه تلك الشابة الجالسة على يمين اللوحة وبيدها نرجيلة.

وفى عام ١٩٤٧ زين ديوان (غونغورا) الشاعر الاسبانى من القرن ١٦ (ذات الخمار) وهى مجموعات اعمال حفر ترافق مقاطع شعر غونغورا ، صور فيها جاكلين فهل حلم بيكاسو بجاكلين او هل كان يعرف انها موجودة ؟

يبدو أن الحب والرسم شىء واحد !

كانت جاكلين على الكرسى الدوار وهى تحمل الاهداء الذى يقول : هذه اللوحة لجاكلين مع وافر قبلاتى .

واثناء معرض نيويورك عام ١٩٨١ ، اشترت جاكلين هذه اللوحة التى وقعها بيكاسو بدهن صينى براق فقالت جاكلين عنها : إن اللوحات مثل الاطفال تعود الى بيتها لانها عاشت فيه .

وهاهي لوحة (جاكلين) بثوب من أوراق الشوكولا ـ ١٩٥٧ ـ فقد استخدم بيكاسو ورق علبة شوكولا قدمها له اصدقاؤه السويسريون آل (روزنجار) ليصنع منها صدرية لجاكلين . وعلى طاولة خشبية ووسط مجموعة سكاكين رسم واوعية الالوان يمكن ان نقرا على قطعة ورق مقوى:

جاكلين ، احبك ، فهل سيفتح بيكاسو الباب ويرمي بكلمته الشهيرة (وماذا بعد ؟) فالمرء لا يستطيع أن يمتنع عن التخيل ان هذا سيحدث طالما ان غيابه يعتبر وجوداً !

وللاسف لم نعد نشم رائحة الالوان الزيتية .

وسرحت جاكلين مع الموسيقى قرب بساط حريرى طبع عليه لوحة من لوحات بيكاسو ، وعلى ضوء الشموع كان تظهر دفاتر رسمه التى ترجع الى عام ١٩٥٩ ، فوسط لوحات (مصارعة الثيران) و (مصارعى الثيران) تظهر لوحة (جاكلين : ملكة على حصان) باسلوب الفنان (فيلاسكيز) وخلف كل رسم على هذه الدفاتر اهداء : الى جاكلين العزيزة .

واستمرت الموسيقى منسابة كالنهر ، وكان العازف الماهر يطلق اجمل نحيب من كمانه ، وكانت اللوحات تتراقص عندما تمتمت جاكلين : هنا ، فى هذا البيت كل شىء يتغنى بحب بيكاسو .

فى الورشة الفنية

ثم انتهت السيمفونية الاسبانية وساد الهدوء فنزلت جاكلين بالمصعد الذى اهدته الى بيكاسو بسبب أعوامه التسعين والذى سماه بيكاسو (كاتدرائية) وتحت الأرض كانت هناك ورشة النحت ففتحت جاكلين الباب قائلة : فى كل مرة يكون هنا نفس الانبهار فقد كتب (ايلوار) الى بيكاسو قائلا : إنك تمسك الشعلة باصابعك وترسم كالحريق .

وغطست جاكلين فى مقعد وثير من طراز لويس الثالث عشر مزدان بالزهور تحت قبة حجرية فى هذا المرسم العملاق . كان هناك



(مصارع الثيران) لوحة رسمها بيكاسو عام ١٩٧٠ ، وقد استقبل الفنان العالمي مع زوجته جاكلين في منزلهما كل مصارعي الثيران المشهورين ، وكانت تحرص جاكلين في كل مقابلة على اخذ الصور التذكارية بنفسها

تمثال عبدين للفنان مايكل انجلو من الجبس وكانهما يقومان بالحراسة كما يقوم الرعاة على حراسة الغنم ، وهناك حمائم وبومة ونساء واطفال والة الريف الرومانى (فون) واوان من عصر ما قبل من عصر ما قبـــل الكولومبى وتماثيـــل من الفن الـــزنجى تملأ المرســـم ولوحات ولوحات ومزيد من اللوحات .

فى تاريخ الفن يعتبر بيكاسو الرسام الذى ترك اغزر الأعمال الفنية التى يستحيل فهرستها . لم يترك شىء دون انجازه فقد انهى كل ما بدا به وصنع عالمه الخاص فلا شىء فى هذا البيت لم تصنعه يداه او تركت علامة عليه ، إنه يرسم حتى على صفحات الكتب التى يقراها ولم ينقطع عن العمل ابداً .

قالت جاكلين : عشت مع بيكاسو كالفقراء ، لم يكن بحاجة إلا الى الرسم والى جاكلين ، وانا لم اكن بحاجة الى شىء لانه كان دائما بقربى ، ولم يشتر بيكاسو البيوت والقصور إلا لكي يرسم ويحمى لوحاته .

هل أنت هنا ؟

صعدت جاكلين الى الطابق الأول وهو مرسم اكثر فخامة ، ثم قالت : إنه اجمل متحف فى العالم ، بعد عشر سنوات من وفاته ، اشعر باننى مازلت اعشقه وانا ارفض ان اكون ارملة ، كنت امضى ليالى ـ واحيانا حتى الفجر ـ وانا اراقبه يرسم ، كنت اجفف عرق جبينه ، قريبة منه لا اتحرك ، صامتة ، وكان غالبا ما يتجه إلي ويقول : جاكلين ، هل انت هنا ؟

كانت عينا جاكلين تلتمعان وكانهما على وشك البكاء عندما قالت : لم ابك ابداً امام الناس ، ابداً ، إن المي ومعاناتى تخصانى وحدى فبقوة عضى على شفتى اعتقدت اننى امشى بلا سيقان !

كان بيكاسو يقول : عندما اتنفس تتنفس .. انها تحبنى كثيراً .

لقد كان همه ان يعيش قربها للابد ويرسم بلا نهاية ، كان يكره كلمة الموت او ان يلفظها احد امامه .

جلست جاكلين على الارض وكانت اللوحات مستندة على الجدار بالمئات وكانت تقلبها وكانها تتصفح كتابا لا ينتهى قائلة : إن الرسم ليس لجدران الشقق بل لكي نلمسه . اللمس هنا غير ممنوع ولكن المستحيل رؤية كل شىء . وحتى جاكلين التى عاشت عشرين عاما قرب بيكاسو مازالت تكتشف الفنان والفن اللذين لم تنقطع عن حبهما ابداً . وعلى ظهر الخزانة المعدنية التى تحتوى بادراجها المعدنية العديدة على رسومات واعمال حفر ، يوجد لوحات بدون براويز من المرحلة الزرقاء . اما على مقعد خشب الصفصاف فقد اتكات لوحة تجريدية كبيرة يبدو فيها لون رمادى غامق عليه بقعة سوداء كثيبة (كانها ثور) ولون وردى (كالضوء) . قالت جاكلين عنها :

إنها آخر لوحة رسمها بيكاسو ولن اعيرها ابداً واريدها ان تكون كفنى عندما يدفنوننى بجانبه !

توفى بيكاسو فى ١٩٧٣/٤/٨ فى «نوتردام دوفى» ودفن فى قصر «فوفنارج» قرب (اكران بروفانس) ومازالت جاكلين تنتظر كل عام بفارغ صبر موعد ذكراه . إن كل حجـــرات القصر فارغـــة إلا من بعض الأوانى المليئة بالزهور تنتشر فى كل مكان . إنه قصر لا تسكنه إلا الزهور اشتراه بيكاسو عام ١٩٥٨ لانه كان يشاهد من نوافذه جبل (سان فكتوار) الذى طالما رسمه الفنان (سيزان) .

فى ممر الطابق الأرضى توقفت جاكلين امام مراة مستطيلة حيث تذكرت قول الاديب الفرنسى جان كوكتو : هناك مرايا تعكس الصورة واخرى لا تعكس .

عشية موته نظر بيكاسو الى هذه المراة كشاب وقال بخصوص قامته : ليست سيئة جداً !

وبعد لحظة هدوء لخصت جاكلين كلمة الموت بجملة : لقد رايت وجهاً وردياً وهو يتحول الى رمادى فلم افهم ولم اقبل !

كان بابلو بيكاسو عبقرياً لم يتوقف لحظة عن العمل ولم يكن عنده الوقت ليموت !

حل الظلام على نوتردام دوفى عندما قالت جاكلين : اكره الرحيل .. ولكن !!

بالتاكيد مازال بيكاسو يرسم هناك . الم يقل قبل ان يغلق عينيه للمرة الأخيرة : غداً ، ساعاود الرسم ؟!

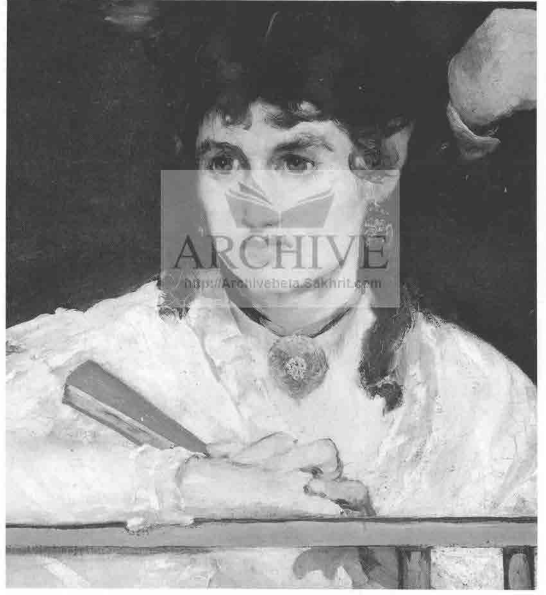
ياسر السباعي

المرجـــــع :

PARIS MATCH: 23 Sep. 1983

بقلم : جمال قطب

في الشرفة



في الشرفة .. للفنان العالم « إدوار مانيه » .. رسمها عام ١٨٦٨

كانت باريس فى القرن التاسع عشر مسرحاً لاحداث جسام ربما كانت اخطر احداث فى التـــاريخ الفرنسى كله : الاكتشافات العلمية الهائلة والتطـــور الصناعى الذى بهر العالم حينذاك ، والحرب السبعينية وظلالها الرهيبة .. كما شهدت الحياة كذلك الوان الترف والسرف والرفاهية والتانق ..

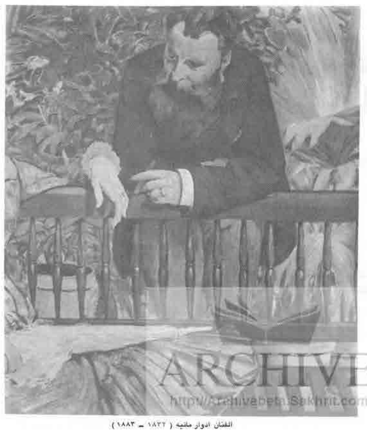
وقد شهد الفنانون الذين عاشوا احداث هذا القرن ، تحولات هامة فى مسيرة الابداع العالمى كله .. حيث كانت العاصمة الفرنسية ــ انذاك ــ تقود حركة الفكر والفن فى أوروبا ، ومنها ينتشر الاشـــعاع الحضارى إلى كافة شعوب الارض .

لقد ظهرت مدارس فنيـــة غـــاية فى الاهمية : الكلاســـيكية الجـــديدة ــ الرومانتيكية ــ مدرسة باربيزون (او جماعة الخروج إلى الطبيعة) ــ التاثيرية وما بعدها .. وكانت الأخيرة إيذانا بظهور تيار جديد يقود إلى فن القرن العشرين ، ورؤيته الفلسفية الغارقة فى الذاتية والتصور .

وقد بلغ تحرر الشباب الفرنسى ذروته فى منتصف القرن التاسع عشر .. وكونوا جماعات فكرية هى خلايا إبداعية هائمة فى اجواء الحرية التى عصفت بالمعتقـــدات والتقاليد الفرنسية القديمة .

وكانت المقاهى الشهيرة مثل : مقهى جيربوا ومقهى اثينا الجديـــدة ومقهى تراس وغيرها .. هى ملتقى هذه الجموع الرائعة .. لقد هجروا مظاهر التـــانق والارستقراطية ــ ومعظمهم من العائلات الثرية ــ وسعدوا بالفقر والبساطة ، ورفعوا شعارهم الذى كان رمزاً لجماعتهم وقتها : النبق نبلاء ولنسعد بفقرنا ! وامتلكوا العالم امتلاكا شاعرياً ، وانطلقت ملكاتهم العبقرية ــ ادباً وشعراً وعلماً وفناً ــ متحررة من قيود المادة ، فصاروا قادة النهضة الجديدة التى ارست دعائمها فى النصف الثانى من القرن الماضى .

وكان زعيم جماعة الفنانين الشباب هو « إدوار مانيه » .. التفوا حوله لما عرف عنه من انه كان يتفاعل بوعى وإدراك مع الأحداث بوجهيها المتناقضين : التحول الحضارى بافكاره المستقبلية ، والرواسب التى تشوب الحياة الفرنسية من جـــراء الحروب والصراعات الفكرية المستعرة بين الأجيال المتعاقبة .



الفنان ادوار مانيه (١٨٣٢ ــ ١٨٨٣)

وكما يلقى المجددون دائما ، فقد وقف الأكاديميون فى وجه مانيه .. ورفضوا عرض اعماله ورفاقه فى معارض الصالون الرسمية .. بل واتهموه بتشويه وجه الفن والخروج على التقاليد الجمالية المتوارثة ..

واعتبر مانيه نفسه فى معركة المصير .. لم ييأس ولم يهن فى كفاحه ، كما لم يثنه الاضطهاد عن اسلوبه الفنى المبتكر .. ووقف بجانبه صديقه المفكر الشهير إميل زولا .. وظل النضال مستعراً حتى انتصر مذهبهم الفنى الذى اعتنقه فنانو العالم بعد ذلك .. الا وهو التاثيرية !

وكان أول المعارض التاثيرية هو ما اقيم بباريس عام ١٨٧٤ .. ثم تلته معارض اخرى متتابعة .. بعد ان كانت اعمـــال الفنانين التاثيريين لا تلقى من الجمهور ومن رجال الأكاديمية الفرنسية على وجه الخصوص إلا اشد انواع التعنت والازدراء !

وفى عام ١٨٨٤ ، وبأمر من قادة الحكومة الفرنسية ، يفتح متحف اللوفر ابوابه لتحتل اعمال إدوار مانيه مكانها اللائق بين إبداعات العباقرة من الفنانين الأفذاذ الخالدين .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء احد أعمال مانيه المميزة ، وهو قطاع من لوحة كبيرة ، منفذة باسلوب ذى لمسات تاثيرية جريئة .. وقد اسماها : « فى الشرفة » . وهى من مقتنيات اللوفـــر الشهيرة ..

لقد صدقت توقعات إميل زولا ، عندمـــا قال كلمته التى رددتها الصحافة فى ايام الكفاح ، « إن مانيه قد تحدد مكانه فى متحف اللوفر .. إنكم تسخرون منه اليوم ، ولكن ابناءنا سيجتمعون بزهو وإعجـــاب حول لوحاته » !

هذا المنبر الذي يحمل على أكتافه حماية الكلمة والدفاع عن حقوق الفنانين والمفكرين

حوار: مريم آل سعد

● لسنا جهة رقابية على الصحافة المحلية ، فهى مؤسسة وطنية حرة .

● سبب عدم اصدار اية مطبوعات صحفية جديدة هو ان الفكر قيمته فى الكيف وليس فى الكم

● تحت الطبع كتاب عن تاريخ الصحافة فى قطر وتطورها .

● اقتراح لوضع الأسس العلمية والقانونية لحماية الفنان القطرى وللحفاظ على حقوقه .

انها منبر يحمل على كتفه مهمة تاصيل الكلمة ، وتاسيس المعايير الفكرية من خلال تنظيم الاصدارات الصحفية ، ومراقبة المصنفات المحلية والخارجية ، واستخلاص اتجاهات الراى العام العربى والعالمى ، وإعداد واصدار المقالات والمطبوعات والملصقات والصور التى تعطى الفكرة الكاملة عن انجازات دولة قطر فى مجالات التنمية الاقتصادية وبناء الانسان .

تلك هى إدارة المطبوعات والنشر التى تتضح صورتها اكثر عندما يقول مديرها عبد الله صادق :

انشئت نواة لهذه الادارة عام ١٩٦٩ ، فعاصرت بذلك احداثا هامة فى تاريخ البلاد ، إذ عاشت فترة ما قبل الاستقلال ، وشهدت بزوغ فجره ، ثم شاركت بجهودها فى مرحلة التحول التاريخى التى اعقب ذلك ، وتراكمت لديها خلال تلك السنوات الخبرات والتجارب الكثيرة التى تستثمرها فى النطاق الذى تعمل فيه .

خلال تلك المساحة التاريخية ظهرت



عبد الله صادق مدير إدارة المطبوعات والنشر



بعض الصحف المحلية التى تصدر من دولة قطر

الصحافة القطرية وصارت الى ما هى عليه الآن مما يملأ النفس بالاعتزاز ، وتواجدت وسائل الطباعة والنشر والتوزيع والمكتبات كما كان التقدم التكنولوجي فى وسائل الاتصال قد القى مرساه فى بلدنا وفى دول الخليج ، فظهر الشريط المسموع والمرئي ، وهذا بالاضافة إلى الاتجاه نحو التخصص كاسلوب حديث فى الادارة داخل مؤسساتنا لتعمل وفق الطرق المتقدمة فى هذا المجال .. فاذا كانت كل تلك المؤسسات قد قامت على ارض بلدنا كعلامات ورموز بارزة لما لحق جميع نواحي حياتنا من تحديث ، واذا كانت تلك المؤسسات تجد الطريق الى التطور كل يوم ، فان ما يملأ نفوسنا غبطة اننا ساهمنا ونساهم بجهد متواضع فى تنظيمها ، لتؤدى الغرض المرجو منها .

الأهداف والوسائل

ونسال مدير إدارة المطبوعات والنشر :

● ما هى الأهداف الأساسية لادارة المطبوعات والنشر ؟ ..

ـ اسم إدارة « المطبوعات والنشر » يحمل الاجابة بشكل ما عن هذا السؤال ، بل إن مضمونه فى الحقيقة اوسع من ذلك ، إذيعبر عن الأهداف والوسائل معا ، فنحن نتعامل مع كل ما هو مطبوع ومنشور فى الداخل او فى الخارج مادام يمت بصلة ما للدولة . ومن الامور المعلومة أن لكل دولة اعلامها الرسمي الذى يحمل للراى العام العالمي والمحلى وجهة نظرها ومواقفها وتوجهاتها إزاء الأحداث المختلفة ، والذى يعبر فى ذات الوقت عن اهدافها .. واذا كانت الكلمة المسموعة والمرئية تجد مجالها فى وسائل اتصال اخرى فان الكلمة المطبوعة هى وسيلتنا . ولهذا فاننا إذا تكلمنا عن الأهداف لاتضح انها تنطلق من قاعدتين هما : مصلحة الوطن والمواطن معا .. بمعنى انه إذا كانت دولتنا تقوم بعبء كبير فى رعاية المواطن ، وكفالة اسباب الحياة الكريمة له ، فان علينا من خلال وسائلنا المطبوعة ليس فقط تنويره باهداف الدولة ، بل حثه على مشاركتها فى جهودها ،الرامية فى النهاية الى خيره ، وهو فى ذلك يستطيع الكثير . وهذا فى نفس الوقت الذى نعمل فيه على القاء الضوء على الطابع المتميز لدولتنا الفتية ، والذى اكتسبته بالجهد والمثابرة خلال سنوات من الكفاح . ودورها فى محيطها العربى والذى ينطلق من حرصها على تضامن الامة العربية ، ومساندتها لها بكافة امكاناتها وتطلعها لأمن وسلام العالم وحفاظها على الانتماء للأمة الاسلامية والذى نهتم به بالغ الاهتمام .

● يلاحظ على الادارة جهودها الرامية الى توضيح صورة قطر فى الخارج .. فما مدى اسهاماتها فى المشاركة بالصحافة المحلية .. ؟

نحن نعمل فى خطين متوازيين وغير متعارضين فى نفس الوقت ، فنحن نتكلم عن قطر فى الصحافة العالمية ونتكلم عنها أيضاً فى الصحافة المحلية .. ولكن وكما يقولون .. « لكل مقام مقال » فاذا كنا نخاطب الراى العام العالمى بطريقة معينة ، فان نفس الطريقة لا تصلح لمخاطبة الراى العام المحلى ، وفى كلا المجالين ـ على اى حال ـ نحن نقدم المعلومة الصحيحة ، والتحليل النزيه ، والتقرير النابع من الواقع ، دون تهويل أو مبالغة .

الصحافة المحلية

● ما هو تقييمكم من خلال علاقتكم بالصحافة المحلية لكل الاصدارات الموجودة .. ؟

قال مدير إدارة المطبوعات والنشر عبد الله صادق :

ـ الحق أن عملية التقييم ليس فى الوسع اجراؤها فى حوار مثل هذا ، فهى عملية تتم وفق معايير علمية محددة ، وهى تتم فى اتجاهين : هما الشكل والمضمون .. ومن ناحية الشكل فكما نعلم فان الصحيفة تحوى اخبارا ومقالات وموضوعات وتحقيقات واعلانات وصورا ورسوما كاريكاتورية . وغيرها . ومطلوب توزيع هذه الموضوعات على صفحات الجريدة بطريقة تحقق اغراض الوضوح ، والدقة ، والصدق فى التعبير ، والجاذبية

هذا المنبر الذي يحمل على أكتافه حماية الكلمة والدفاع عن حقوق الفنانين والمفكرين

ويسر القراءة ، لذلك يجب ان يتم عرض هذه المواد بطريقة تتفق مع اهميتها سواء بالنسبة لحجمها او عناوينها او ترتيبها على الصفحة الواحدة ، كذلك يجب ان يكون تصميم الصفحات باساليب جذابة ، ومشوقة ، ومحققة للمعانى المستهدفة .. فشكل الصحيفة إذاً يقوم على اسس صحفية ونفسية .. هذا من ناحية .. اما الناحية الأخرى وهى مضمون المادة

الصحفية ، فان ذلك يعتمد على صدق ما يرد للصحيفة من اخبار ، ونزاهة ما يرد فيها من تعليقات سواء كانت واردة فى صورة استطلاع او مقال افتتاحى او عمود او يوميات ، واريد ان اقول إن لكل صحيفة تصدر فى قطر ـ وانا اتكلم فى هذا الحوار كله عن الصحافة الأهلية ـ طابعاً ولوناً ومذاقاً خاصاً وهى صحافة مكافحة بدات طريقها من عهد قريب نسبياً ، وبامكانات محدودة ، ووصلت من حيث الشكل ومن حيث المضمون الى مستوى يرضى بل يسر . لكن ما يهمنا انها دائمة التطور وفى هذا وحده ما يطمئن .

إثراء الحياة الفكرية

● ما هو شكل العلاقة القائمة بين الادارة وبين الصحافة المحلية .. ؟

ليس لدينا شك فى ان ما نهدف اليه هو نفس ما تهدف اليه صحافتنا ، وهو كما قدمنا مصلحة الوطن والمواطن وعندما يتحد الهدف يصبح التعامل سهلا وميسراً ، فنحن ننظر لصحافتنا من منطق انها مؤسسة وطنية تعمل فى ادق واهم ميادين العمل الوطنى . فالصحيفة تحمل الفكر الى المواطن وليس فى الوجود اعز واغلى من الفكر . ونحن فى تعاملنا مع صحافتنا لسنا سلطة فوقية كما اننا لسنا جهة رقابية ، نحن فى الأساس جهة رسمية مهمتها دفع الصحافة وغيرها من وسائل النشر المطبوعة الى اثراء حياتنا الفكرية ، والخوض فى جميع ما يهم المجتمع دون خوف او رهبة ، ونحن فى سبيل ذلك نقدم كل ما نستطيع من دعم ادبى ومادى .

● وما رايكم فى ملاحظتنا على اعتماد الصحافة الأهلية فى هيكلها الرئيسي على موضوعات الصحافة العالمية ، وعلى ما تبيعه الوكالات الصحفية من هذه النوعية من الخدمات ؟

يبدو ان هذا السؤال يحمل نوعاً من الاثارة ، فقد قال مدير إدارة المطبوعات والنشر :

ـ فليسمح لي بان اصحح بعض المفاهيم الواردة فى هذا السؤال ، فنحن وكما قدمت لسنا جهة اشرافية على ما تقدمه الصحافة المحلية . فهى مؤسسة وطنية مستقلة حرة لا اشراف عليها من قبل اى جهة حكومية . اما إذا كان المقصود بالسؤال هو جانب تقييم ما تقدمه الصحافة من مواد ، فهذا من حق كل مواطن يعيش على ارض هذا البلد ، نحن نقيم ما يرد فى صحفنا من دافع الحرص على المصلحة العامة ، والصحافة تفتح صدرها للنقد ، بل هى تخصص صفحات منها لذلك . فالراى والراى الآخر مطلوبان ، ومادام للصحافة الحرية فى نقد أوضاع المجتمع فما احراها بتقبل النقد لما يرد فيها بصدر رحب ، وهذا ما يحدث فعلا ، فهناك وجهات نظر مستمرة بيننا وبينها ولا إلزام عليها ابداً فى ان تاخذ بتقييمنا لموادها ، فلها ان تاخذ بهذا التقييم او لا تاخذ به ، حسب ما تراه من مصلحة .

أما القول بانها تعتمد على الخدمات التى تقدمها الصحافة العالمية ، فالحقيقة انتى لم اعرف القصد من ذلك . وهل المقصود بالا تكتب الصحافة الا عن الامور المحلية ، فى هذه الحالة نكون قد انكفانا على انفسنا ، وانقطعت صلتنا بالعالم من حولنا ولا يبقى الا ان نفنى كما فنيت جماعات كثيرة انعزلت عما حولها .. ام هل المقصود انها تورد بعض الاقتباسات عن الصحف العالمية ، ولست اعرف العيب فى ذلك ، وهو عمل تبيحه آداب المهنة ،

وكبريات الصحف تقتبس عن بعضها البعض .. وهل تكتفي كبريات الصحف فى العالم بما لديها من اجهزة للتحرير والاخراج .. ؟! لقد ادى التطور الحديث فى مجال الصحافة الى نشاة وكالات شبيهة بوكالات الأنباء تخصصت فى مد الصحف بمختلف المواد الصحفية من موضوعات إلى صور الى رسوم ، هذه الوكالات تعتمد عليها الصحف العالمية .. ثم الا تنقل الصحافة العالمية عن صحفنا الكثير من الاخبار والتحليلات ؟!

أسس الضوابط الرقابية

● كم عدد المخالفات التى اصدرتموها بحق الصحافة المحلية .. ولماذا .. ؟

ـ اذا اطلق لفظ المخالفة فانه ينصرف الى معنى قانونى ، والادارة منوط بها تنفيذ القوانين المتعلقة بمجل النشر وهى قانون المطبوعات وقانون العقوبات ..

ودورها هو احالة المخالفين الى القضاء ، وذلك لا يتم بطبيعة الحال الا اذا تم النشر فعلا .

وأكد مدير المطبوعات والنشر ملاحظته بقوله :

ـ واستطيع القول انه لم يتم حتى الآن ووفق المعنى الذى قدمت ، احالة اية مخالفة نشر الى القضاء ، سواء بالنسبة للصحافة او لغيرها من وسائل النشر .

● ولكن على اى الأسس تستند الضوابط الرقابية التى تمارسها الادارة فى منع أو السماح بتداول المطبوعات الداخلية أو الخارجية ؟ وهل يملك اعضاء هذا الجهاز الرقابي المواصفات التى تخولهم لأداء هذا الدور بجدارة ؟

ـ بداية فان لفظ مطبوعة يعنى الصحف والكتب والنشرات ، وكذلك الاشرطة

والاسطوانات . ايضا كما ان لفظ رقابة يعنى الرقابة المسبقة .. واود ان اوضح فى هذا المجال انه ليست لدينا اية رقابة مسبقة على الصحف الداخلية من أى نوع ، اما رقابة المطبوعات الاجنبية فتتم وفقاً لمعايير مقصود بها حماية النظام العام ومصالح الدولة العليا ، وحماية الآداب واحترام المقومات الأساسية لمجتمعنا . والذين يقومون بالرقابة وفق تلك المعايير هم من قدامى العاملين فى الادارة الذين تكون لهم ـ بالتعامل اليومي مع الفكر المطروح فى المطبوعات ـ حس خاص ، ورؤية شاملة ، ومنطق واع يملي عليهم أن الأصل العام المعمول به فى مجال عملهم الدقيق هو الاباحة ، وان المنع لا يكون الا للضرورات الملزمة .

مرحباً بالابداع الجيد

● بصفتكم جهة مسئولة عن النشر ، وتسعى الى المساهمة فى دفعه الى الامام بقوة وصلابة .. ما هو تفسيركم لضعف حركة التاليف والنشر فى البلاد ، سواء من ناحية عدم او قلة العناصر المبدعة ، او لعدم وجود دور النشر الريادية التى تساهم بجدية فى اشعال وقود هذه الحركة الثقافية والفكرية .. ؟

ـ فى تقديرى ان الثقافة والفكر هما نوع من الكفاح ، فاذا لم توجد لدى صاحب الفكر روح القتال من اجل ان يصل انتاجه الى الجمهور فلن يجدى معه شيء . وفى رايى ان الفرص المتاحة فى بلدنا امام من يريد النشر ليست بهذا اليسر فى كثير من البلاد ، ونحن كجهة رسمية لها صلة بمؤسسات النشر والطباعة نقوم فى ذات الوقت بطبع ونشر الكثير من المطبوعات ، وهى مطبوعات اعلامية فى الأساس ، ولكن ليس هناك ما نع على الاطلاق فى ان تقوم الادارة بطباعة اى إبداع يصدر عن ابناء هذا البلد إذا ما وجدنا ان ذلك الابداع يحقق مصلحة قومية .. وادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام تقدم دائما يد العون والتشجيع لكل اصحاب المواهب .. وقد قامت بطبع ونشر العديد من الاعمال ، كذلك فان صفحات جميع الصحف المحلية تدعو دائماً المبدعين كي يملاوها بابداعاتهم ، ودار العهد على سبيل المثال تصدر كتابا شهرياً لنشر الفكر القطرى صدر منه حتى الآن اعداد كثيرة . اما دور النشر فهى موجودة ، وبطبيعة الحال فهي تعمل وفق أسس ومعايير تجارية ، إذ يجب ان يكون العائد من النشر اكثر مما تكبدته فى سبيل الطباعة من نفقات ، وذلك يتطلب جمهوراً يقرأ ما تنشره ، وليس بالضرورة ان يكون الجمهور محلياً فقط ، بل قد يكون ايضا من خارج الحدود ، وهنا يجب ان يكون ما يطرح من فكر على مستوى معين ليصمد امام المنافسة الشديدة فى ذلك المجال ، وفى تقديرى ان الخامات الخلاقة موجودة ولكنها تركن الى الكسل او الانصراف الى مجالات اخرى غير مجال الفكر .

إننى ادعو من موقعي فى ادارة المطبوعات والنشر كل موهوب فى بلدنا يستطيع ان يقدم فكراً جديداً ان يتقدم به ، وسوف يجد امامه كل ابواب النشر مفتوحة .



مجموعة من المطبوعات التى اصدرتها إدارة المطبوعات والنشر

المطبوعات المحلية الجديدة

وما هو تفسير الاتجاه الى عدم اصدار اية مطبوعات محلية جديدة .. ؟

ـ ليس هناك إلا سبب واحد هو ان الفكر قيمته فى الكيف وليس فى الكم ، والصحافة اداة فكر ، ولا يسعدنا ان يكون لدينا كم كبير من الصحف الهشة والغثة والقليلة القيمة بقدر ما يسرنا ان يكون لدينا عدد محدود من الصحف العظيمة القيمة ، كبيرة الفائدة .

الرقابة على المصنفات

● وما هو شكل الرقابة على المصنفات الفنية الداخلية والقادمة من الخارج ؟

ـ المصنفات الفنية عبارة عن اعمال فنية ، مسجلة على اشرطة سمعية او بصرية ، والادارة تختص بالرقابة على هذه الاشرطة قبل عرضها فى دور السينما او طرحها للتداول من قبل محلات التسجيلات. ورقابة هذه المصنفات معمول بها فى غالبية العالم حماية للآداب العامة ، ومحافظة على الأمن والنظام العام ، ومصالح الدولة العليا ، فقد ادى التقدم العلمي ، وارتفاع مستوى المعيشة الى تواجد اجهزة التسجيل والفيديو فى كل بيت تقريبا ، ولو لم تفرض الرقابة ، لأدى دخول بعض المصنفات الى البيوت وعرضها فيها الى الاضرار بمصالح المجتمع . وتقوم برقابة تلك المصنفات لجنة تابعة للادارة تسمى « لجنة الرقابة على المصنفات الفنية » يمثل فيها مندوبون عن وزارة التربية والتعليم ، والداخلية ، والعمل والشئون الاجتماعية ، ورئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، وتضم عدداً من ذوى الراى ، ويساعد فى اعمالها جهاز للسكرتارية . وتضع اللجنة فى اعتبارها ـ عند ممارسة عملها فى الرقابة لاى شريط سمعي او بصرى ـ المعايير التى قدمتها ، هذا فضلا عن جهاز الضبطية القضائية التابع للادارة ، والذى يمر على دور السينما ومحلات التسجيلات ، لضبط المخالفات واحالتها الى القضاء ، ونحن نحاول ومازلنا غرس بعض المفاهيم لدى القائمين على محلات التسجيلات ، تتلخص فى ان العلاقة بيننا وبينها يجب ان تكون فى نطاق التعاون لصالح المجموع .

طموح بلا .. حدود

● ما هى خطة الادارة المستقبلية ..؟

اجاب مدير ادارة المطبوعات والنشر عبد الله صادق :

ـ أمالنا كبيرة وبتشجيع المسئولين فى الوزارة .. طموحنا بلا حدود .

وهناك الكثير من الافكار الجديدة والتى شرعنا فى دراستها ، الدراسة المتانية ، والمؤسسة على توفر الامكانيات المادية والبشرية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر .. لدينا خطة لاصدار سلسلة من الكتب يعالج كل منها موضوعاً بذاته فى مجالات العمل بالدولة . وقد ظهرت بواكير تلك السلسلة فى كتاب اصدرناه عن القطاع الصناعى فى دولة قطر ، وتحت الطبع الآن كتاب اخر عن تاريخ الصحافة فى قطر وتطورها ، ولقد تعرضنا فيه لجميع الصحف التى ظهرت فى البلاد حتى الآن . كذلك لدينا خطة لاصدار سلسلة تراجم عن الشخصيات البارزة فى حياة بلدنا ، والتى ادت ادواراً لاثراء حياتنا الفكرية ، او الاجتماعية ، او الثقافية . وكذلك لدينا مشروع اقتراح لوضع الاسس العلمية والقانونية ، والتى تكفل للفنان القطرى كامل حقوقه الفنية ، وتنظم العلاقة التى تحكم تداول اعمال الفنانين وترويجها من قبل شركات التوزيع .. وهذا بعض وليس كل ما نخطط له .. وسننفذه باذن الله .

مريم آل سعد



اثار مدينة الرقة التى تدل على مجدها القديم



الرَّقَّة

مدينة الرشيد التي تغنّى بها الشعراء

بقلم: عبدالكريم البليخ

إن اسم الرقة فى التاريخ والقصص القديمة يرتبط بالصورة المشرقة للعصر العباسى ، وبصورة خاصة بالأيام التى كان يسميها الناس فى زمنها ايام العروس ، وهى ايام هارون الرشيد وملكه الزاهر وسلطانه الواسع الرقعة . ومع ان الفاً ومائتى سنة مرت بعـــد هارون الرشيد فان زائر الرقة المعاصر او القادم إليها فى مهمة هذه الأيام يدخلها ويتصورها مدينة كما تصفها الأغانى او الف ليلة .. فاذا أصطدم بالواقع توجه إلى من يلقاها من اهل البلدة متسائلاً كالمستنكر ، ومستفهماً كالمتهم ، كانه يقول لهم : انتم الذين احلتم هذه الجنة الوارفة الظلال إلى بيداء قاحلة ؟ ماذا فعلتم بالأشجار التى كانت تظلل المسافر من بغداد إلى الرقة فلا تراه الشمس فى رحلته ؟ . اين الهني والمرى ، وأين مرابع ديرزكى ، وأين نهر النيل الذى يتفرع من الفرات ويلتف حول الرقة ليحيلها جزيرة محاطة بالماء ؟ اين مصانع الصلبون الرقى المشهورة فى كل العالم الاسلامى ، وافران الزجاج والخزف التى تزين بقاياها متاحف الدنيا ؟ كيف حولتـم هذه الجزيرة الخضراء ، بين النهرين التى يسكنها ثلاثة الاف الف انسان إلى سهوب قفراء لا يتجاوز سكانها ثلاثمائة الف ساكن ؟ . انها تهم ثقيلة هذه التى يتهمنا بها زوار الرقة والطارؤون الغرباء عليها . وليس يعادل ثقل هذه التهم غير كونها تهم ظالمة ، تلقى على عواتق قوم ابرياء من تبعاتها هم ابناء الرقة المعاصرون ...

ان ابناء الرقة المعاصرين ، الذين يعتزون بمجد الرقة القديم ، يتقبلون هذه التهم محاورين فيها ومداورين ، محاولين تخفيفها ، دون ان يخطر لهم ان يتنصلوا منها تنصلا تاما ، لانهم لا يريدون التبرؤ من تاريخ بلدتهم والتنازل عن الانتساب إليها . اما الذين يلقون التهم فانهم ، كما قلت ، على قدر متوسط من الثقافة لم يبلغ إطلاعهم الحد الذى يعرفون فيه ان الرقة القديمة قد زالت من الوجود بعد غزوات التتار . لقد كان اخر العهد بالرقة كمدينة عامرة هو عام ٧٧٣ هجرية ١٣٧١ ميلادية ، حين اخلاها اهلها فجاة امام جراد جيوش تيمورلنك المنتشر ، فتفرقوا بددآ فى ارض الله الواسعة . وبذلك امحت مدينة الرقة من الوجود ، وامحت منطقة بلاد النهرين من عداد المناطق المتحضرة ، واستحالت تلك الارجاء المزدحمة بالسكان والعمران إلى صحراء مقفرة خلال خمسة قرون متتالية . نعم لقد امحت الرقة القديمة ، بسكانها وعمرانها ، منذ خمسة قرون . فى هذه القرون الخمسة يبست الاشجار وتهدمت السدود على الفرات وروافده وجفت الانهار . فالخراب يجر الخراب . لم يبق من اهل المدينة القدامى انسان فيها ، بل اصبحت واصبح ما حولها مسرحا للقبائل البدوية تنتقل بين بقاعه فى انتجاعها للكلا او تتخذه ميدانا لغزواتها وحروبها . حتى خطر للدولة العثمانية ان تقيم فى هذه البادية المتسعة مخفرآ يكون نقطة ارتكاز لقواتها ، فانتخبت له على شاطىء الفرات هذه الخربة المهجورة التى كانت تسمى ذات يوم باسم الرقة . وبعد إقامة هذا المخفر بدات بعض الأسر القادمة من مدينة الرها فى الشمال ، او من الموصل والعشارة فى الشرق ، او بوادى حمص وحلب فى الجنوب والغرب ، بدات هذه الاسر تستقر حول المخفر وتبنى لها بيوتا من الشعر او اكواخا من اغصان الأشجار والنبتات البرية ، ثم دوراً حجرية انتزعت احجارها من جدران القصور القديمة المهجورة ، وهكذا كانت الرقة الجديدة ..



الموقع والطبيعة

الرقة لغة تعني كل ارض شبه مستوية تقع على ضفة واد ضحل ينساح فوقها الماء وقت الفيضان او المدكي ينحسر عنها فيما بعد فى موسم الشح .. وتحتل هذه المدينة اواسط الزاوية المؤلفة من التقاء وادى الفرات برافده الصغير البليخ الذى يعانق الفرات على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترات إلى الشرق منها .. فوق بقعه تزخر باثار الحضارات المتعاقبة القديمة من ارامية وهللينيستية ورومانية واسلامية ..

وتقوم الرقة إلى الشرق من حلب عاصمة بلاد الشام الاقتصادية على مسافة تبلغ مائة وثمانين كيلومترآ .. إلى الشمال الغربى من مدينة دير الزور اكبر مدينة عربية على الفرات .. والتى تبعد عنها بمقدار مائة واربعين كيلومترآ اى على الطريق التجارية التى تربط موانىء البحر الأبيض المتوسط ببلاد الرافدين .. وبموانىء الخليج العربى والهند والشرق الاقصى وعند نقطة من هذا الطريق تدعى « المقص » ويتفرع منه طريق طـوله ستة كيلو مترات فى اتجاه الشمال الشرقى ليتصل ببحر حديث البناء على الفرات يؤدى مباشرة إلى مدينة الرقة .وتعتمد الرقة على نهر الفرات العظيم الذى يقذف فى كل نصف دقيقة من الزمن ما يكفى لاستهلاك مدينة كبيرة .. فى كل يوم .. لهذا قامت على ضفتيه زراعة كثيفة يحتل القطن فيها مكان الصدارة ..ويتلوه فى الانتاج القمح ـ ذهب المستقبل ـ والخضار بانواعها .. وللرقة شهرة عظيمة بزراعة البطيخ الاحمر او الاصفر الذى كان يصدر الى عاصمة العباسيين إذ لايزال العراقيون يطلقون على البطيخ الاحمر اسم «الرقى» نسبة الى الرقة وهو الذى يدعى «الحبحب» فى الحجاز «والجح» فى نجد «والجبس» فى حلب «والدبشى» فى دير الزور والرقة





إلى اعلى لقطة لقلعة جعبر التى تقع على الضفة اليمنى الشمالية لنهر الفرات حاليا .. والقلعة الأخرى لقصر البنات من الداخل

الرَّقَّة

مدينة الرشيد التي تغنى بها الشعراء

«والدلاع» فى كل اقطار المغرب العربى مثلما كانت مشتهرة بزيتونها وزيتها وصابونها المعطر كما اسلفنا .

وتاريخ اقدم بناء مسكون فى الرقة الحاضرة لا يرجع الى ابعد من عام ١٣٠٥هـ ـ ١٨٨٧ م . بمعنى ان عمر الرقة لم يبلغ بعد القرن الكامل . ولقد وصلت الرقة الحديثة ، فى تطورها ، منذ إنشائها حتى الآن ، وبطريقة عفوية ودون تخطيط مسبق، الى نتيجة يمكن ان تعد مقبولة فى نشوء اية بلدة حديثة . ففى اقل من ثمانين عاما نبت فى نقطة مقفرة على الفرات تجمع بشرى يضم نحواً من اربعين الفا من السكان هم سكان البلدة بالذات يقومون بخدمات مجموعة بشرية يقارب عدد افرادها الثلاثمائة الف ، هم سكان المحافظة

بناء المدينة

من المعلوم ان الخليفة ابا جعفر المنصور قد اشاد فيها مدينة جديدة سماها «الرافقة» بنيت على شاكلة بغداد فى ابوابها ، واسوارها ، وفصولها ، ومساحتها، ورحابها ، وفى استعمال مادة البناء نفسها وهى الطابوق وقامت الى جانب الرقة البيزنطية الاموية على مسافة ٣٠٠ ذراع الى الشمال الغربى فشيدت اسوارها من الطابوق على هيئة اسوار بغداد اى تتالف من سور مضاعف داخلى وخارجى بينهما فصيل وحفر حول السور الخارجى خندق وكان عرض السور الخارجى يبلغ ٤٫٥ امتار وكان اساس السور من الحجر الكلسى وشابهت بغداد فى بيوتها وابوابها وجعل للمدينة بابين الاول .. يسمى باب بغداد ، ويقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية لايزال قائما حتى اليوم .. والثانى وهو باب الجنان .. وكان يقوم الى جنب كل منهما برج مستدير نصف قطره ٧,٨ امتار ،

وظل اعتماد سكان الرقة حتى فترة ما بين الحربين العالميتين على اطلال الرقة فى استخراج الطابوق اللازم لبناء بيوتهم

وقد رأى البرج العالم هرتزفيلد سنه ١٩٠٨ وكان لها باب ثالث فى الجهة الشمالية يسمى باب اورفة .

ويذكر الرحالة ابن حوقل فى معرض كلامه عن المهدية فى تونس «ولها بابان ليس لهما فيما رايته من الارض شبيه ولا نظير إلا البابين اللذين على سور الرافقة » وإذا علمنا ان موقعها هذا بمثابة منفذ على الفرات الذى هو اشبه ما يكون بدهليز تنفذ خلاله طرق المواصلات التجارية من اقصى المغرب ومصر والشام والجزيرة . ومر معنا فى المصادر ان المنصور حينما اعتزم بناء بغداد واختار موقعها قال .. إنها جزيرة بين دجلة والفرات دجلة شرقيها ، والفرات غربيها ، مشرعة الدنيا كل ما ياتى فى دجلة من واسط والبصرة والابلة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين ومايتصل بذلك ، فاليها ترقى وبها ترسو ، وكذلك ما ياتى من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وارمينية مما يحمل فى السفن فى دجلة وما ياتى من ديار مضر والرقة والشام والثغور ومصر والمغرب مما يحمل فى السفن فى الفرات فيها يحط وينزل .. ثم لتكونن اعمر مدينة فى الارض ، ثم لابنين بعدها اربع مدن لا تخرب واحدة منهن ابدا فبناها وهى الرافقة ـ ولم يسمها ـ وبنى ملطية وبنى المصيصة ، وبنى المنصورة بالسند وذكر اليعقوبى : ان لهم فى الفرات نهر عيسى العظيم الذى ياخذ من معظم الفرات ، تدخل فيه السفن العظام التى تاتى من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام . ولقد كان من الحوافز التى حدت بالخليفة المنصور لبناء الرافقة وغيرها ذلك البرنامج الجديد الذى اوجدته طبيعة الحال فى إقامة المدن المحصنة إذ ان هذا الخليفة احس بان الامويين ارتكبوا خطا فاحشا ، لانهم لم يتخذوا لانفسهم مدينة محصنه تحصينا قويا تستطيع ان تقاوم الاعداء لاطول مدة ممكنة ، ورغب فى إصلاح هذا الخطا ببناء بغداد لذا صارت بغداد خصوصا فى اصل تصميمها قلعة حصينة لا يمكن لاى عدو الاستيلاء عليها بسهولة وبذلك لم تسيطر بغداد على المدن الرئيسية فى العراق فحسب . وإنما غدت كذلك القلب النابض للامبراطورية .. وبنى المنصور من اجل الاغراض الحربية الرافقة وهى اشبه ما تكون بقلعة قوية بالقرب من الرقة عند مجارى الفرات العليا ، ووضع فيها حامية من الجند الخراسانيين ، ودعم نفس الخليفة حصون الكوفة والبصرة الدفاعية بمال جمعه من مواطنى هاتين المدينتين . وقد بلغت الرقة اوجها فى عصر الخليفة هارون الرشيد إذ كانت الرقة قبل عام (١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م) مصيفا للخليفة ومنها تنطلق غزوات الصائفة لحرب الروم ولقد اتسعت ولم تعد بلدانها القديمة البيضاء والسوداء والرافقة وواسط كافية لاستيعاب سكانها ، فاشاد الرشيد بالرقة الوسطى «وهى توسع الرافقة واتصال الرقتين» فشملت جميع المنطقة السهلية الواقعة عند ملتقى الفرات من البليخ وانتشرت فى الاتساع ايضا الى الروابى المطلة على هذا السهل ، كما ان نهر الفرات بتغيير مجراه قد ذهب بجميع معالم المدينة الواقعة فى الجهة الشامية المقابلة والمعروفة «بواسطة الرقة ـ اورقة واسط» ومع ذلك فقد قدر مساحة الانقاض الباقية فى مدينة الرقة الجزرية بـ (٥٠ ك.م٢) .

فى عصر الرشيد

كان ازدهار الرقة فى عصر الرشيد امتداداً للازدهار الذى اختطه المنصور ، وللاستقرار السياسى الذى رافقها خلال حكم المهدى والهادى فلما اتخذ الرشيد له مصيفا جديدا فى الرقة كانت ترافقه مواكب الدنيا حين يفد اليها . ولقد امر الرشيد بانشاء كل ما يلزم فيها من وسائل الراحة والترف كميادين سباق الخيل وملاعب الصولجان ، وحقول الصيد ، وموانىء السفن والحراقات والمنتزهات الواسعة والحدائق المزهرة على ضفتي الفرات والرحاب الفسيحة ، فاصبحت من اجمل ، مصائف الدنيا .. والظاهر ان الرشيد أراد تمام الانقلاب الخطر الذى كان يفكر فى اعداده ضد البرامكة فجعل من الرقة عاصمة دائمة له سنة ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م وشيد فيها قصر الخلافة المعروف «بقصر السلام» وعدة قصور منها «قصر الابيض» والى ان لا يعود الى بغداد ويقيم فيها يوما واحدا إلا لضرورة ملزمة . كما اتخذ الامراء والوزراء والقواد وخاصة البرامكة قصوراً لهم بالرقة يقيمون فيها الى جانب الخليفة ونحن إذا تتبعنا سيرة الرشيد فى أسفاره وحجه وغزوه واحصينا ذلك لوجدنا ان المدة التى اقامها طوال خلافته ، فى الرقة اطول من المدة التى كان يقيمها فى بغداد . وفى سياق الحديث عن «قصر السلام» قال الجومرد كان مقر بلاط الرشيد «قصر الخلد» حين يكون فى بغداد «وقصر السلام» ، عندما يقيم فى الرقة ، وكلا القصرين من افخم قصور الدنيا فى ذلك العهد ، واكبرها سعة وجمالا .. وسار الرشيد فى ادارته على نهج قويم ، واعاد الى الخلافة رونقها الذى كان على عهد جده المنصور وسمى الناس ايامه «ايام العروس» لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها ، وكانت دولته من احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا واوسعها رقعة . وجبى الرشيد معظم الدنيا وكان احد عماله صاحب مصر . بل لقد كان عصره ذروة الازدهار فى تاريخ الدولة

الاسلامية التى كانت الرقة فيها عاصمة دائمة مدة ١٣ سنة (من سنة ١٨٠ هـ ٧٩٦م ١٩٣ هـ ـ ٨٠٨ م وعلى هذا نستطيع ان نقف على مدى الازدهار الذى كانت تتمتع به الرقة فى هذه الحقبة .. والرشيد على كثرة بذله المأثور خلف من المال ما لم يخلف احد مثله منذ كانت الدنيا . وعلى الرغم مما انفق ذلك فان الرشيد ترك فى بيت المال عند وفاته تسعمائة الف الف ونيف ٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم حملتها زبيدة من الرقة الى بغداد عند وفاته .. وفى هذا العصر بلغت الرقة أوج عصرها الذهبى إذ كان الرشيد يقول : «الدنيا اربعة منازل دمشق والرقة والري وسمرقند» ـ وكانت زبيدة تقول لمنصور النمرى : قل شعراً تحبب فيه بغداد إلي فانني اختار الرافقة عليها . فقال منصور شعراً يحبب فيه بغداد اليها فاعطته الفى دينار . وقال شيخ الربوة الدمشقى .. الرقة من انزه بقاع الدنيا . وقد اكثر الشعراء فى ذكرها ووصفها والتغنى بمحاسنها وعظمتها . قال ربيعة الرقي :

حبذا الرقة دار وبلد
بلد ساكنه ممن تود
ما راينا بلدة تعدلها
لا ولا اسمعنا عنها احد
إنها بريـة بحرية
سورها بحر وسور فى الجدد
تسمع الصلصل فى اشجارها
هدهد البسر ومكاء غرد
لم تضمن بلدة ما ضمنت
من جمال فى قريش واسد

ـ وقال ابو نواس ..

رجعت الى العراق برغم انفى
وخلفت الجزيرة والشاما
على شط البليخ وساكنيه
سلام متيم لقي الحماما

ـ وقال مسلم بن الوليد :

وصرف رصافية قهوة
تميت الهموم وتبدى السرارا
الم ترانى بأرض الشام
أطعت الهوى وشربت القعارا
لقد كنت من حب خمر البليخ ان
اجعل الشام اهلا ودارا

ـ وقال يصف تفاح دامان وهى احدى قرى الرقة ، كان تفاحها مشهوراً بحمرته ويضرب به المثل ببغداد :

وحياتى ما الف الدامانى
لا ولا كان فى قديم الزمان

تمتعت الرقة في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، بمركز فكري رفيع وفيها العديد من العلماء ومنهم :

ـ الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة ، ومن المؤسسين الأوائل للمذهب الحنفي ، وله مناظرات مشهورة مع الامام الشافعي بالرقة وكان بها ايضا الكسائي وخرجا مع الرشيد الى الرى وتوفيا فقال الرشيد اليوم دفنت اللغة والفقه فى رنبوية » وهى احدى قرى الرى » سنة ١٨٩ هـ ـ ٨٠٤ م . ومما يشير الى اهمية الرقة ومكانتها بين الاقاليم العربية الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ما رثى به احد الشعراء المصريين احمد بن طولون حيث يقول :

انت الأمير على الشام وثغره
والرقتين وما حواه المشرق
واليك مصر والحجاز وبرقة
كل اليك مع المدى يتشوق

ظلت الرقة مدينة كبرى من امهات المدن العربية الاسلامية حتى اواسط القرن الرابع الهجرى حيث اخذ نجمها الساطع فى افول ، وانتابها بعض الجمود والذبول ، الى مدينة قريبة عادية ، ومع ذلك لم تعدم لها مفضلا ، وإن الصور الشعرية الرائعة التى تركها لنا الشاعر ابو بكر الصنوبرى المتوفى سنة «٣٣٤ هـ و ٩٤٥ م» خير شاهد على ازدهار الرقة فى هذا القرن ومن مليح شعره فى وصف الرقتين :

اما الرياض فقد بدت الوانها
صاغت فنون حليها افنانها
رقت مغانيها ورق نسيمها
وبدت محاسنها وطاب زمانها
هذا خزاماها وذا قيصومها
هذا شقائقها وذا حوذانها
تبكى عليها عين كل سحابة
ما ان تمل من البكا اجفانها
واهالرافقة الجنوب محلة
حسنت بها انهارها وجنانها
لا تلمنى بالرقتين ودعنى
إن قلبى بالرقتين رهين
بلد مشرق الازاهر مرع
لا ولا جاء مثل ذا الحين حين

ـ ومدحها الأمير أبو فراس الحمدانى بقوله :

المجد بالرقة مجموع
والفضل مرئي ومسموع
وإن بها كل عميم الندى
يداه للجود ينابيع
وكل مبذول القرى بيته
على على العلياء مرفوع

استمرت الرقة بعد القرن الرابع الهجرى تشارك مع غيرها من إخواتها المدن العربية فى الشام والجزيرة ، وفى كافة بقاع العالم العربى الاسلامى فى رد الغزوات الخارجية على البلاد الاسلامية التى اخذت تهدد امن هذه البلاد الزاهرة ، من صليبية ومغولية ، وكانت تقوم بواجبها فى شتى المجالات وقد وصل الينا فى العصور السلجوقية والاتابكية والأيوبية الكثير من روائعها الفنية ، وصناعاتها الخزفية ما يدهش فى جماله وروعته ، ونضارة طلائه ، وبريق رونقه حتى قوض التتار معالمها وقضوا على حضارتها ومدنيتها . فاضحت اطلالا خربة طول عدة قرون ، واستمر التاريخ حتى عصرنا الحاضر ..

القلاع المتنوعة

والآن لنعد الى الآثار الموجودة فى الرقة ولنتجول بها ، ولنقتصر بجولتنا فى الرافقة «مدينة المنصور» العظيمة إذ يقتصر فيها لوحدها وجود الآثار الظاهرة فوق سطح الأرض ولنتفرس فى ابوابها واسوارها وأبراجها ومسجدها الكبير ، وساحاتها ورحابها ، ولنجعل تطوافنا حول ما نراه من سورها الترابى المشيد باللبن المجفف ، ولنسبر اغواره واساساته ، فنقف على القاعدة الصخرية التى شيد عليها، وأول ما يدهشنا فيه ملاحظة اثار تلفيحه بالآجر الجميل من الداخل ومن الخارج وتلفيح جميع ابراج السور الخارجي والداخلى بالجص والآجر ايضا ، وهو اقل انخفاضا من السور الداخلى فنرى ان بناء السور يكون على الشكل التالى :

● جعل السور على شكل نعل الفرس . وهو من الناحية الجنوبية المطلة على الفرات ، لم يكن مزدوجا كما هو الامر فى جهاته الثلاث الباقية بل استعيض عن السور الخارجي من هذه الجهة بابراج ضخمة ، قطر البرجين الشرقى منها المجاور لباب بغداد والغربى منها الذى زال سنة ١٩٠٨ (١٥,٦٠ م) وبين هذين البرجين تقع ابراج السور الاخرى بجانب بعضها وعلى مسافة (١٥٠٠ م) كما قدر الأستاذ كرزويل أبعاد الرافقة وتكون المسافة بين كل اثنين من تلك الابراج ٣٥ م ملفحة جميعها بالآجر والجص ، ولا يمكن تقدير ارتفاع كل منها إلى ارتفاع بما يضفى اليها .. وهى تناطح الجو منظراً خلابا تخالط الذهن تلاعب السفن الشراعية عند اقدم تلك البروج وهى تتثنى كالعرائس على صفحة الفرات الفضية



احد ابراج قلعة جعبر يصارع اخطار الزمن

الرقة مدينة الرشيد التي تغنى بها الشعراء

باشرعتها الزاهية ذات الالوان البيضاء والحمراء والخضراء والزرقاء مداعبة خيال الصنوبرى حيث قال :

ويا سفن الفــرات بحيث تهوى
هوي الطيــر بين الجلهتيــن
تطــارد مقبــلات مدبــرات
علـى عجــل تطــارد عسكرين

● يشكل سور الرافقة استدارة تاخذ شكل نعل الفرس تبدا من باب بغداد الواقع فى الجهة الشرقية الى الشمال ثم الى الغرب ثم الى الجنوب حتى تصل الى الباب الغربى ، الذى زالت معالمه وهو الباب المناظر لباب بغداد .

● يكون السور فى هذه الجهات الشرقية والشمالية والغربية مزدوجا مؤلفا من سورين الداخلى اكثر ارتفاعا من الخارجى، قصد منه سهولة الرمى لئلا يصيب المرابطون على السور الداخلى جماعتهم المرابطة على السور الخارجى . وبين السورين يقع فصيل بعرض (٢٠،٨٠ م) وسمك السور الداخلى (٥،٨ م) وسمك الخارجى (٤،٥ م) اما الخندق فان عرضه فى الاعلى (١٥،٩٠ م) . وفى الاسفل (٩،٥ م) ويكون سور الرافقة كسور بغداد ياخذ فى الضيق كلما ارتفع ، كما اشارت المصادر الى ذلك حول كيفية بناء سور بغداد ، وبروز ذلك ظاهريا للمتامل فى بناء سور الرافقة ، ويلاحظ ان البرج للسور الداخلى يكون من الجهة الخارجية وابراج السور الخارجى من الجهة الخارجية . وابراج السورين إذا متقابلة مع بعضها ومطلة على الفصيل المشترك بينهما الذى يكون بمثابة شارع بين السورين ، ويلاحظ ايضا ان المسافة بين ابراج السور الصغير الخارجى تقرب من ٢٠ م لا ٣٥ م كما هى الحال فى السور الداخلى مما يشكل مراعاة فى انسجام ابعاد المبانى . ويمكن القول ان جميع هذه الابراج – وتتدرج الداخلية منها مع الخارجية – تعلوها فى الاصل قباب بيضاء جميلة رائعة ، استندت إلى اعناق تزينها بعض الزخارف الجميلة حسب فنون ذلك العصر . اضف إلى ذلك إذا ما تصورنا ان هذه القباب والأسوار والفصيل كانت تعج دائما بالعساكر والجند فى عصورها الذهبية ويلاحظ ايضا ان السور الخارجى ينحدر على الخندق انحدارا مائلا بعض الشىء ، وقد بنى بالجص والآجر . وبني ايضا على شاكلته الحافة الثانية الخارجية للخندق كما هو الامر فى بغداد تماما ولكن ما طرا على الخندق من تبدل فى بعض الأزمنة العباسية المتاخرة قد بدل بعض معالمه الاصلية ، بعد اعادة نزح ما تراكم به من ترسبات الطين والجص الذى يحمله الفرات الىالخندق ، وتبدو آثار تلك الترسبات بعد استخراجها من باطنه تحيط بالخندق من الخارج ، وترافق استدارته حول السور . شيء اخر لابد من ذكره والاشاره إليه حول ما يتبادر للذهن . ما هى القيمة الاثرية والفنية لآثار الرقة ؟ وإذا علمنا إن هذه الروائع الأثرية قد عاصرت الازمنة الذهبية للدولة العربية فى عصرها الذهبى ، وعاصرت أزهى حقبة فى تاريخنا قدرنا القيمة الفنية والمعنوية لهذه الآثار إذ انها تكاد تكون النموذج الفريد الذى أبقت عليه عاديات الزمن من آثار عصر المنصور والرشيد ، فهى ليست آثار فنية وحضارية فحسب ، ولكنها آثار رافقت امجاداً عسكرية لامتنا العربية . وهناك ظاهرة تنفرد بها آثار الرقة بالنسبة للآثار الأخرى فى بلاد الشام ومصر والمغرب ، إذا علمنا انها تكاد تكون المحطة الاولى والوحيدة التى فيها الأساليب الفنية المعمارية ، والروائع الخزفية والزجاجية المصنوعة فى القرنين الثانى والثالث الهجرية ، وعنها انتقلت الفنون العباسية الى مصر والمغرب فيما بعد ..

وحفريات مدينة الرقة كانت من المشاريع التي تعقد عليها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية اكبر الآمال ، لان هذه المنطقة تضم اكبر مجموعة من الاطلال الاسلامية بين كل مناطق الشرق الادنى ، ولان التنقيب فيها كفيل باظهار كثير من مخلفــات العصر العبــاسي التي يقل وجودها في بلاد الشام والتي يحتمل ان تحتوى على ما يشبع رغباتنا فى معرفة فنون بناء ونحت وتصوير ذلك الزمن ، واكمال ما اظهرته حفريات سامراء فى العراق كما ان المنطقة اليوم بحاجة إلى حملة واسعة من اعمال التنقيب والكشف والترميم . وهذه الاعمال الواسعة تتطلب أموالا باهظة ، ولكن الفوائد العلمية والمادية ستكون بالغة الأهمية إذ ما عرفنا أن البلدة الجديدة آخذة فى التوسع داخل منطقة الآثار ، وان المساكن الجــديدة المتواضعة تزحف لتوضع-مجانبة لسور الرافقة مما يؤدى إلى هدمه وفنائه ومما يزيد الخطر على الآثار اقتران هذا الزحف المخرب بوجود الآلة الميكانيكية التى يكون لها أثرها المخرب فى إبادة الآثار وإزالتها أمراً يعد بالغاً فى خطره .. ان التعديات المستمرة منذ العهد العثمانى على الآثار فى مدينة الرقة وعلى سور الرافقة بصورة خاصة حتى يومنا هذا ، لا يمكن اعتبار الطريقة المتبعة حاليا فى سبيل المحافظة عليها ضامنا اكيدا للابقاء عليها . وان اهمال ذلك وتركه أمر يحاسب عليه الضمير الحي . لذا كانت دراسة انشاء شــارع الكورنيش فى الداخل من السور وفى

الخارج ايضا تخفف من التعديات عليه ـ كما ان زراعة صفوف من اشجار السرو حول السور تزيد ايضا في الحماية ، وبعث حياة جديدة الى ماكان عليه هذا الاثر من الاهمال ، وعامل جديد من شانه اشعار الاهالي بان هذا التراب لم يعد مهملا بالصورة التى اعتادوا عليهـــا فى ايـــام زمـــان ، ويمكن القـــول بان لون الاشجار الخضراء المعانقة لجدار السور الاحمر فى استدارته وزرقة السماء ، لا يمكن تصور جمال ذلك إلا من تفتح قلبه لهوى الطبيعة ، وروعة سحرها . وعدا عن ذلك فمدينة الرقة غنية جداً بالتلال الاثرية المتناثرة فى ارجاء المنطقة ومن هذه التلال تل خويرة الذى يقع إلى الشمال الشرقى من الرقة فى منتصف المسافة بين منابع الخابور والبليخ . تل مريبط يقع بجوار بلدة العريبط . يبعد من تل مريبط ثلاثة عشر ك . م . شمالا تل يسمى المباقة الذى يقع على الضفة اليمنى تجاه بلدة حبوبة الكبيرة ومحطة ضخ مياه الفرات الى حلب . تل احمر الذى يقع الى الشمال من المباقة نجد انها تعود إلى مطلع الألف الأول ق . م .

وفى منطقة حوض البليخ حيث تنتشر على ضفافه تلال اثرية مختلفة حجما واهمية .. زار تلال حوض البليخ عدد من البعثات الأثرية من بينها البعثة الانجليزية التى كانت تنقب عن الآثار فى تل براك فى الحسكة برئاسة العالم « ملوان » وصلت البعثة فى شهر تشرين الأول من عام ١٩٣٨ إلى عين العروس ، منبع البليخ الرئيسى ، ثم اجرت تحريات اثرية فى التلال الآتية :

● تل أسود : كبير ومرتفع إذ يبلغ ارتفاعه عن سطح السهل المحيط به عشرون مترا يبعد عن عين العروس الى الجنوب ٣٥ كم تقريبا .

● تل ميفش : يقع الى الغرب من نهر البليخ على بعد ٢٠ كم جنوبي تل اسود . ويمر بجانبه وادي كـــان يزود المدينة بالمياه عثر فيه على بيت صغير من عصر العبيد . (منتصف الألف الرابع ق . م) مبني من اللبن . وان حجرات هذا البيت صغيرة . تبلغ مساحتها ٢/٥٠ م٢

● تل جدل : موقعه جميل الى الغرب من نهر البليخ وعلى بعد ٤ كم جنوبي عين العروس بمعنى انه كـــان قرية صغيرة تاسست في عصر الوركاء (النصف الثاني من الألف الرابع ق . م) وفيها شواهد تدل على انها كانت مسكونه في عصر جمدة نصر (نهاية الألف الرابع ومطلع الالف الثالث ق . م) وعصر ميزليم (٢٧٠٠ ـ ٢٦٠٠ ق . م) ويعتبر العصر الاكـــادي (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق . م) ازدهار هذا الموقع الذي جرى تحصينه لأول مرة في عهد الملك الاكادي فارام زن (٢٢٧٠ ـ ٢٢٣٣ ق . م)

● تل الحمام : كان قرية صغيرة اصغر من جدل واقدم منها إذ تاسست في العصر الحميري الحديث ولكنها لم تزدهر الا في العصر الميثاني حيث اصابها الدمار عند نهايته ومن الشواهد على تخريبها العثور على طبقة من الرماد سماكتها ٤٠ سم في بيت مبني من اللبن فيه آثار مشابهة لآثار مدينة اللالخ التي تعود الى عهد السوية الرابعة (١٤٤٧ ـ ١٣٧٠ ق . م) ويبدو من هذه المفارقة ان القرية قد خربها الحثيون حينما اجتاحوا الامبراطوريـــة الميثانية فقضوا عليها .

● تل سحلان : يقع على الضفة اليسرى لنهر البليخ مقابل تل اسود .

● تل البيعة : شرق الرقة على بعد مسافة ثلاثة كم .. من المتوقع ان تعثر البعثة الألمانية على مدينة مزدهرة وذات شان كبير في العصور القديمـــة تدعى توتول .

عبدالكريم البليخ
ســـــورية

مازال باب بغداد قائما حتى يومنا الحالى بمدينة الرقة .

مصادر البحث ومراجعه :

ـ الدكتور عبد السلام العجيلي : الماضي والمستقبل في حياة الرقة ـ مقال ـ ١٩٧١ ـ العمران ـ

ـ الدكتور عبد الرحمن حميدة : الرقة البطيخ الأحمر

مجلة الفيصل العدد « ٤٢ » ١٩٨٠

ـ الشاعر والباحث مصطفى الحسون : اثار الرقة ـ العمران ـ ١٩٧١ .

ـ علي ابو عساف : العصور المتابعة على مدينة الرقة من خلال الآثار التى اسفرت عنها التنقيبات الحديثة ـ العمران ـ



الواجهة الامامية لقصر البنات من الداخل

د . عزالدين فـراج

نحو تغذية سليمة

ملح الطعام الزائد في قفص الاتهام

● كثرة ملح الطعام فى الطعام مسئولة عن ارتفاع ضغط الدم والسمنة وغير ذلك من الأمراض !

وجهت السلطات الصحية الامريكية العديد من الاتهامات الى ملح الطعام بعد أن ثبت علمياً ان الملح احد اسباب ضغط الدم وان الافراط فى استخدامه يؤدى فى النهاية الى امراض القب وتصلب الشرايين والفشل الكلوى وغيرها من الامراض .

وتجتاح اوربا وامريكا فى الفترة الاخيرة حملات ضد مضار ملح الطعام ، حتى ان احدى الحملات طالبت الحكومة الامريكية باصدار قانون يحتم وضع تحذير ينبه الى ان الملح يضر بالصحة ، على معلبات السردين والتونه والمخللات ، وغيرها من المعلبات التى تحتوى على نسبة عالية من الملح .

إن أصابع الاتهام تشير الى ذلك فقد قام فريق من اطباء جامعة «تافت»الامريكية برئاسة دكتور لوت بيدج بدراسة اكثر من الفى شخص من سكان جزر سليمان الواقعة جنوب غرب المحيط الهادى وشمال غينيا الجديدة ، وكلهم من القبائل التى تتغذى على الخضروات والاعشاب والحشرات والبطاطس ونوع من الدرنات يشبهها .

هذه القبائل لم يوجد بين سكانها اى اثر لارتفاع ضغط الدم ويندر ان يرتفع ضغط الدم عندهم عند الشيخوخة .

وبدأ الدكتور بيدج فى تقديم الوجبات الأوربية تدريجياً لعدد من افراد القبائل هناك ، مع الاحتفاظ بكل مظاهر الحياة البدنية حتى يكون العامل المتغير هو العامل الغذائى فقط .. اى حتى لا يكون للمظاهر المدنية المختلفة من تلوث فى الجو وضوضاء وارهاق عصبى تاثير على الجسم البشرى .

كان الفارق الوحيد بين غذاء القبائل البدائية فى جزر سليمان وبين غذاء حيوانات التجارب ، هو احتواء الغذاء الجديد على الملح . وبعد عامين وجد الكولسترول فى الدم وارتفع الضغط مع زيادة السمنة ، وبدأت تتضح بين القبائل التى كانت تنعم بصحة قلوبها وشرايينها واوردتها .

ومن العادات المالوفة تناول المخللات مع الطعام وهى مشبعة بمحلول ملح الطعام ، لتثير عند اكلها الشهوة للطعام والرغبة فى الاستزادة منه .

والاكثار منها يجعل الجسم ياخذ من ملح الطعام اكثر من حاجته ، وقد يكون ذلك ضاراً بالجسم وغير مناسب لبعض الامراض . لهذا ينبغى الاقلال من هذه المخللات والاستعاضة عنها بالخضراوات الطازجة .

ويتزعم دكتور «كلاريبورن» حملته ضد ملح الطعام فكتب كتاباً يوضح ذلك ، ويضم وصفات خاصة للطعام بدون ملح . واكد فى كتابه ان الملح يعتبر احد الاسباب الرئيسية فى الاصابة بالبدانة المفرطة ، ويقول كلاريبورن :

«أؤكد انه يمكن ان تخفف من وزنك بمجرد تخفيفك من تناول ملح الطعام» .

ولهذا اوصى بثلاث وصايا هامة حماية لك من الأضرار الناشئة من زيادة ملح الطعام .

اولا : بعدم وضع المخللات والحوادق والمشهيات على مائدة الطعام ، فبالرغم من انها لا تزيد الوزن فى حد ذاته إلا انها تساعد على احتجاز الماء فى الجسم كما ذكرنا ، بالاضافة الى انها تزيد من صعوبة التحكم فى الشهية وعليه يستحسن تناول السلاطة الخضراء مع عصير الليمون الطازج .

ثانيا : الحد من تناول المسليات مثل الفول السودانى المملح واللب الابيض والاسمر والانواع التى تحتوى على كميات كبيرة من الملح .

ثالثا : الاقلال بقدر الامكان من استخدام الملح عند طهيك للطعام ولا داعى لوضع الملاحات على مائدة الطعام ، حتى لا تعودى أفراد أسرتك على الاسراف فى استخدام الملح ، واعلمى ان معظم الاطعمة التى يتناولها الشخص خلال يومه العادى مثل الخبز والجبن بانواعها واللحوم والاسماك والخضراوات الطازجة والمطهوة كلها تحتوى على نسب مختلفة من الأملاح التى تكفى حاجاته بل تزيد فى بعض الاحيان .

الكولسترول فى قفص الاتهام

والكولسترول فى صورته النقية مسحوق ابيض اللون ، فاذا امتزج بالدهون ورسب فى الشرايين بدا شمعياً اصفر اللون ، وهو موجود فى كل خلية من خلايا الجسم واكثرها غنى به المخ والحبل الشوكى ، والاعصاب .. فهو يشكل ١٠٪ من وزن المخ ، واكثر أنواع حصى المرارة اغلبها من الكولسترول .

الكولسترول عدو للجنس البشرى عندما يتجمع فى جدران الشرايين ، ولاسيما الشريان التاجى الذى يغذى القلب ، وعندما تزداد رواسبه ، تغزوها مادة ليفية فتزداد جدران الشريان خشونة . وكثيراً ما تتكون جلطات دموية عند مكان الاصابة ،



اكل الخضروات والفاكهة انسب طريق لنقص «الكولسترول» فى الدم .. كما انها تساعد على نقص الوزن

وقد يصبح الشريان فى النهاية مسدوداً تماماً ، وعندما يحدث ذلك فى شرايين القلب تحدث نوبة قلبية . اما إذا حدث فى المخ حدثت «النقطة» .

وفى عام ۱۹۱۳ قام العالم «انيتشكو» باطعام بعض الارانب اطعمة غنية بالكولسترول ، وكانت الرواسب الدهنية الناتجة فى شرايينها اشبه بتلك التى توجد فى الشرايين التاجية لاشخاص ماتوا بنوبات قلبية ، وكانت هذه الملاحظة سبباً فى بدء بحث على نطاق عالمى حول كل الدهون التى تجرى فى الدم مثل «النرجليسيدس» ، «الفوسفوليبيدات» ، والاحماض الدهنية وغيرها ، ولكن الكولسترول حظى باكبر قدر من الاهتمام ، ويرجع بعض السبب فى ذلك الى ان هناك اختيارا سهل الاجراء لفحص مستويات الكولسترول فى الدم .

وكانت عشرات الآلاف من اختبارات الدم التى اجريت تتفق بصفة خاصة بامر واحد وهو انه فى البلاد التى تستهلك فيها كميات كبيرة من الدهون الحيوانية ، كانت مستويات الكولسترول فيها مرتفعة ، وكذلك الوفيات بسبب امراض القلب ، والعكس صحيح ، ففى اليابان مثلا ، حيث يعتمد الاهالى الى حد كبير على طعام الأرز والأسماك التى ينخفض فيها الكولسترول لا توجد غير ١٠٪ من امراض القلب الموجودة فى امريكا ، ولكن عندما هاجر اليابانيون الى كاليفورنيا وبداوا فى تناول الأطعمة الامريكية الغنية بالكولسترول ارتفع معدل الاصابات بامراض القلب بينهم ارتفاعا كبيراً .

وثمة موقف مماثل فى جنوب ايطاليا ، حيث يعتمد الغذاء اساسا على الزيوت النباتية والنشويات والخضروات والفاكهة مع قليل من الدهن المشبع ، ومعناه ان اى جزىء من الدهن يحوى كل ذرات الأيدروجين التى يستطيع ان يحويها ، اما الدهون غير المشبعة والمركبة غير المشبعة واغلبها زيوت نباتية ، فان بها مكانا فى الجزىء لذرات ايدروجينية اضافية ، ولا يوجد فى هذه المنطقة إلا حوالى ثلث امراض القلب الموجودة فى الولايات المتحدة ، ويستمد الأمريكيون بوجه عام اكثر من ٤٠٪ من السعر الحرارى فى اغذيتهم من الدهون ، بينما لا يستهلك الناس فى اجزاء كبيرة من اسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية غير ثلث هذا القدر من الدهون ، وامراض القلب هناك قليلة الاهمية نسبياً .

ولقد كشفت دراسة مستمرة لامراض القلب بولاية ماساشوستس عن حقائق اخرى ، وهى ان الاشخاص الذين تبلغ نسبة الكولسترول فى كل ١٠٠ سم مكعب من دمائهم ٢٤٤ ملليجراما او اكثر ، يزيد معدل اصابتهم بالنوبات القلبية إلى ثلاثة امثال المعدل لدى الأشخاص الذين يقل مستوى الكولسترول فى دمهم عن ٢١٠ ملليجرامات .

وقد بدا ان هذه الدراسات وامثالها قد اصدرت حكما لانزاع فيه فى القضية : ان الطعام الغنى باللحوم والبيض ودهون الألبان يرفع مستويات الكولسترول فى الدم ويمهد الطريق لبداية امراض قلبية .

وفى غضون ذلك اشارت دلائل اخرى إلى ان التحول من منتجات الألبان والبيض إلى الزيوت النباتية يقلل مستويات الكولسترول فى الدم بنسبة ١٠٪ أو اكثر ، واستنتج اناس كثيرون انهم عثروا على وسيلة سهلة لتفادى النوبات القلبية ، وأسرع صناع الأغذية إلى الدعوة للزيوت النباتية المركبة غير المشبعة ، بتفادى الناس تناول القشدة والزبدة .

تقرير هام

وقد اعلنت جمعية امـراض القلب الامريكية فى تقرير جديد لها ان التحكم فى كمية الدهنيات والكولسترول فى غذاء الانسان هى اسلم وسيلة لتجنب الازمات القلبية .

ونصحت الجمعية بالتزام ثلاث فقط :

- مراقبة السعرات الحرارية بحيث لا يزيد وزن الجسم .
- الاقلال من الدهنيات المركزة . وهى الدهون ذات الأصل الحيوانى . والاستعاضة عنها بالدهنيات النباتية .
- انقاص الكولسترول .. بطريقة منظمة .

وقد حذرت الجمعية فى تقريرها من تدخين السجائر والخمول البدنى . والخضروات خير الاغذية لانقاص الوزن والاقلال من الدهون وانقاص الكولسترول فى الدم .

السمن البلدى والدهون الحيوانية

إن طهو الطعام بالسمن الناتج من لبن الابقار والاغنام ومن مصادر حيوانيـة باستمرار يؤدى الى الخمول والاصـابة والامراض .. ويجعل جسم الانسان كسولا لا يستطيع النشاط والحركة لترسيب الدهون فى عضلاته واوعيته الدموية .

ان الطعام المسبك والمصنوع بالسمن البلدى (السمن من اصل حيوانى) يسبب زيـادة الكولسترول فى الدم ، ويساعد على تصلب شرايين القلب ، مما ينتج عنه ارتفاع فى ضغط الدم او ذبحة صدرية او جلطة فى القلب او فى شرايين المخ ، واضرار الاصابة بهذه الامراض بليغة .

لهذا كله ننصح ربات البيوت بالاقلال من استعمال الدهن الحيوانى فى الطهو بكثرة حتى لا يجيء يوم يمتنعن عنه بتاتا بامر الطبيب . وحبذا لو استعملن بدلا منه الزيوت النباتية .



الفنان القطرى عبد العزيز ناصر مع العود فوق مركب قديم يذكره برحلات الاجداد للصيد والغوص واغانيهم التى مازالت محفورة فى القلوب

الفنان عبد العزيز ناصر:

لا أعتقد أن هناك مدينة حزينة على وجه الأرض غير القدس

بقلم: جميل العابد

مثل زهرة برية ، تتغذى بندى الصباح وتسقى من رائحة الارض ، تكبر فى وجه الريح وتستمد الصلابة من سكون الصخر وحرارة الشمس .. ومن سواقى مجهولة لا ترى تحت قشرة التراب اليابس تمتص نسغ الحياة . مثل الشجر ، مثل الثمر طلع هذا الفنان القطرى ، كما طلع آخرون قبله ومازالوا يطلعون فى قرى واحياء الوطن المترامية ، ينثرون الحب فيزرعون الامل .

عبد العزيز ناصر ليس بحاجة لمن يتحدث عنه . اعماله تتحدث عنه . وكل ما اود ان اضعه هنا هو ما يحول حياؤه الفطرى دون قوله .

لكننا نحن الذين سمعنا الحانه فى اغنيتى (اه يا بيروت) من شعر نزار قبانى ، و (احبك يا قدس) للشاعر الفلسطينى هارون رشيد ، وجدنا ان العملين يقفان على قمة الانتاج الفنى الموفق ، وان الفنان الذى ابدع فى اللحنين هو إنسان يملك إحساساً استثنائياً . وقد استطاع بموهبته التى منحه إياها الله ان يوصل الينا ذلك الاحساس .. فبكينا كما بكى ، ثم صعدنا بعقولنا وقلوبنا معاً لنعانق شرفاً كدنا ، لولا العيب ، ان ننساه !

لقد منح الله عبد العزيز اداة عاصفة يعبر بها عن إحساسه (الموسيقى) . فجاء التعبير مشحوناً باللوعة والغضب المتوج بالرجاء .

بقيثارته ، ركب سحابة داكنة ، وعلى اوتارها عزف اللحن الذى تئن به مواجعنا ويكشف حقيقة ماساتنا .

العالم بالنسبة لهذا الفنان الملهم ، تقول لنا موسيقاه ، ابيض واسود : عدل يقابل قهراً ، حياة تصارع موتاً ، وفوق هذا وذاك ، حب يطلب البقاء .

قال لي عندما قابلته اخر مرة : «بعد بيروت والقدس ، افكر بتقديم عمل عن افغانستان . ولكم تقض مضجعى مسالة الانسان الجائع على الارض . لا استطيع ان انسى هذه الاشياء !» .

هذا هو عبد العزيز ناصر ، حزين كالبنفسج . يغنى للجراح نحيباً يهز براءة الانسان ، وبالعذاب يوقد شمعة فى لجة الليل الحالك . هو والحزن كيان واحد ، معه يكبر ومنه يعطى . فى عينيه طفولة ، وفى نبرته انصهار .. وما بينهما وداعة وانس جلاه الحب لله والوطن ولكل اغصان النخيل المزروع فى رباه .

هو ابن بار لوطنه . انعدمت المسافة بينه وبين ابعد حبة تراب عربية . يعطى كل يوم من روحه وجهده ، فينتقى الكلمة الخالصة الملتهبة من عصارة الشعراء وعميق وجدانهم القومى ويحولها بدوره الى ناقوس مهيب يقرع فى السكون .

ولانه فنان اصيل ، فان الحانه تنفذ الى



فى راى الفنان عبد العزيز ناصر ان الفن الحقيقى لابد ان يكون مستلهماً من الارض والناس

الجوارح .. تنثال من الاعالى ، فتلهب الضمائر وتزرع بذرة الحزن الغاضب .

لحن قصيدتين للشاعر محمود درويش (تكبر تكبر / اه يا جرحى المكابر) ، ولنزار قبانى (اه يا بيروت / يا قدس يا مدينة الاحزان) وللشاعر هارون رشيد (احبك يا قدس / ايها المحتل ارضى) ، ومن خلالهم غنى لشخصيته الحضارية التى اراد لها ان تحيا ، فى عالم جشع غير عادل . فهو لا يستطيع ان يتصور نفسه إلا حجرة فى صرح الامة ولبنة فى جدرانها الماثلة فى وجه النوء .

يقول عبد العزيز ناصر فى مناسبات متفرقة : «نريد مزيداً من الوعى فى الوطن العربى» ، «الوطنية تعنى الحب» ، «لا اعتقد ان هناك مدينة حزينة على وجه الارض سوى القدس» ، «الاغانى ثقافة» ، «اليهود يصرفون الكثير على الاعلام التربوى» ، «الفن والصدق أمران لا استطيع الفصل بينهما» ، «يجب ان يتسع مفهوم الاغنية الدينية ليشمل كل عمل فنى يشيد بالقيم الاخلاقية والقيم الجمالية والانسانيات . اقصد ان كل عمل فنى يخدم روح الدين يعد عملا دينيا ، فمثلا الاغنية التى تتحدث عن عظمة الابداع فى الازهار تعتبر فى رايى اغنية دينية . وكذلك الاغانى التى تطالب بحرية الانسان وحرية تفكيره ، والاغانى التى تتحدث عن الوفاء والتضحية والخير والحب الطاهر .. كلها فى اعتقادى اغان دينية لانها تخدم روح الدين» ، «الغاية ليست التشبيه الادبى واسقاط المعانى النبيلة ، بل ان ننير بصيرتنا ونحن نتامل فى القحط الوجدانى والعاطفى الذى نستشعره حولنا ولا ندرى منه مخرجاً .. وإيجاد ما يؤكد ان بذور تربتنا قابلة للتفتح والحياة» .

زرته فى مكتبه بادارة الموسيقى والغناء بالدوحة اكثر من مرة . كانت رغبة شديدة من جانبى فى التعرف على هذا الرجل بعد ان هزتنا الحانه فى الاغنيتين (احبك يا قدس) و (اه يا بيروت) قبل عام . اغنيتان سكن صداهما كما تسكن العاطفة صدور المحبين . فقد اشرابت القدس من افق النغم الهادر .. حبيبة دنسها الضياع وشرفاً مرغه الهوان . واطلت بيروت من قلب الجمل اللحنية واللفظية معاً .. شاطئاً فيروزياً لنا حرم الامان ، ووجهاً بهياً منا اتت عليه النار . كنت اشعر برغبة لكى انقل تقدير الوف الناس واقول له «شكراً» .

وعندما التقيته اخيراً ولمست عن كثب ما جبل عليه من رقة وما ملكه من خيال واخلاص فى العواطف ، عرفت كيف تكون القوة الحقيقية فى هيئة انسان ، ولماذا ومن اين تصدر الاعمال التى تنفذ الى شغاف الملايين : إنها الموهبة المصانة بالصدق .

لقد خلق عبد العزيز ناصر موهوباً .. نعم . لكنه ايضاً ، وببصيرة فذة لاشك ، وعي متى تصبح الموهبة (الفنية) عنقاء تحلق فى الفضاء الرحب وتطل ، من فوق ، على صور الجمال واشكال العذاب .. فكان الصدق وسيلته الموروثة الدافقة كينبوع فى قلب الجبال ، لينقل ما يراه ويحس به وهو يراقب الاشياء .

هذا فنان يحس بنا . يسكن معنا اينما كنا . يعيش على ارضنا ويعبر بصدق ولهفة عن آلامنا واحلامنا . يعبق خياله برائحة ترابنا ، فيشدو لنا بوحي من الجذور وعمق الاصول .

فهل تكفى كلمة اطراء له ؟

كلا !

إنه يستحق الحب . كل حبنا إذا كان فى جوارحنا بقية منه . لان حبنا له هو حب

الفنـــان عبد العـــزيـــز نـــاصر:

لا أعتقد أن هناك مدينة حزينة على وجه الأرض غير القدس

للعطاء ، حتى يعم العطاء !

يسعدنى ان اترك له المنبر ليحكى لنا كيف بدا واى مسعى يبتغى . اعطانى بعضـــا من اوراقه انقلها هنا بالحرف :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. الفن عندى رسالة وقضية ووسيلة للتعبير والتاثير والتغيير لا مجرد اداة للترفيه والاطراب . إيمانى دائما ان الفن الحقيقى هو ذلك الفن الذى ينبع من وجدان الأمة معبرا عن احاسيسها ومشاعرها وتطلعاتها ، مستمدا عظمته من عظمة الارض والانسان . من ذلك المنطلق بدا تعاملى مع التراث الشعبى ، فقدمت اعمالى التراثية مثل : (أم الحنايا ــ العايدوه ــ يا راعى الملحة) لو قل هى التى قدمتنى ، إن شئت » .

«تناولى للاعمال الفنية التراثية لم يكن من باب الحفاظ على التراث ، بل لايمانى بان الفن الحقيقى لابد وان يكون مستلهما من الارض ومن الانسان . وايضا لحنينى للماضى ورغبتى فى تجسيد بعض صوره فى قوالب فنية جديدة تلائم روح العصر» .

«اللحظة عابرة والمكان متغير والفنان وحده قادر على تجسيد ذلك المكان وتلك اللحظة بما لديه من وسائل ابداعية خصه الله بها » .

«اعتمدت على الغناء الجماعى فى التعبير عن قضايا الامة مثل الاغانى الخاصة بقضيتنا الكبرى ــ القدس ــ لان الغناء الجماعى ، فى رايى ، اقدر من الغناء الفردى فى التعبير عن تراث الامة ومشاعرها وتطلعاتها الوطنية ، وبالتالى فهو ابقى واكثر خلودا » .

«اول عمل فنى لي وانا لم اتجاوز الخامسة عشر من عمرى كان يتحدث عن القدس ، بعنوان (ايها المحتل ارضى) للشاعر الفلسطينى هارون رشيد الذى لحنت له فيما بعد قصيدة (احبك يا قدس). وكان ذلك قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . غنيت اللحن بصوتى وقمت بتسجيله مع بعض الزملاء الموسيقيين الهواة ، وكان فى نيتى اذاعـــة اللحن فى بداية عهـــد اول اذاعة قطـــرية .. ولكن هزيمه حرب الـ ٦٧ كانت سببا فى عدم اذاعة هذه الاغنية . ومازلت احتفظ بذلك التسجيل المتواضع فى مكتبتى الموسيقية » .

«فى سنة ١٩٦٥ راودتنى فكرة انشاء فرقة موسيقية تضم الهواة من اولاد الحي ، وفى عام ١٩٦٦ وفقنى الله واسست (فرقة الاضواء) بقسميها الموسيقى والمسرحى ، وبمعاونة بعض الشباب القطرى الموهوب . وقد تولى الفنان الصديق المرحوم محمد احمد عنبر القسم المسرحى فى الفرقة بالتوجيه والرعاية فى بادىء الامر ، وتوليت انا القسم الموسيقى» .

«عارض والدى سنة ١٩٧٠ فكرة التحاقى بالمعهد العالى للموسيقى ، وارضاء لرغبته وافقت على دراسة اللغة العربية بجامعة القاهرة بشرط ان يسمح لى بالانتساب للمعهد الموسيقى فى الوقت نفسه . ولكن فى القاهرة رفض المعهد قبولى منتسبا ، لان الدراسة فيه عملية وهو لا يقبل إلا المنتظمين . وهذا جعلنى ادفع المبلغ الذى كنت اتقاضاه من وزارة التربية والتعليم ، اربعون جنيها مصريا تقريبا ، على الدروس الخصوصية فى الموسيقى ، حتى انى عشت تلك الفترة معيشة تميل للتقشف .. وجبة الفول والطعمية كانت غذائى الرئيسى ، وكان الاوتوبيس هو وسيلة المواصلات اليومية .. صدقنى ان تلك الحياة رغم قسوتها كانت جميلة جدا فى بساطتها وفيما تعطينا إياه من دروس وعبر .

امام اصرارى المستمر على دراسة الموسيقى ، وافق اخى الاكبر على مساعدتى للالتحاق بالمعهد العالى للموسيقى بالقاهرة فى السنة التالية ، بشرط ان انتسب هذه المرة لجامعة بيروت العربية لدراسة اللغة العربية . وتم بتوفيق الله ذلك . إلا ان حبى للموسيقى جعلنى اهب كل وقتى للاستزادة فى العلوم الموسيقية» .

«فى القاهرة استفدت من تعاملى مع كثير من الفرق الموسيقية واحتكاكى بكبار الموسيقيين . وتعاونت مع المايسترو شعبان ابو السعد ، والمايسترو عبد الحليم نويرة وغيرهما فى توزيع بعض اعمالى الموسيقية» .

«تخصصى فى المعهد كان دراسة آلة الكمان ، المنهجين الغربى والشرقى . ودرست البيانو كالة اضافية ، الى جانب المواد الموسيقية الاخرى » .

«عشت فى القاهرة فترة زمنية طويلة قاربت الاحـــد عشر عاما . قمت بتسجيل وتنفيذ معظم اعمالى هناك حيث كانت لي تجربة الحب الاول ، والتى انجبت مقطوعتى الموسيقية التى تحمل اسم الحبيبة .

«وقد تطرقت فى اعمالى الفنية الى كثير من الالوان الغنائية والقوالب الموسيقية . فانا لست مع الذين يريدون للفنان ان يبقى حبيس الدور الواحد . ان الممثل القدير هو الذى يجيد ويتقن جميع الادوار ، كبيرة كانت ام صغيرة . وكذلك على المؤلف الموسيقى ان يتعامل مع جميع الالوان الغنائية والموسيقية . المهم ان يبتكر ويبدع فى اخراجها لكى يثبت مقدرته فى مختلف الالوان . وعليه ايضا ان لا يخجل من تقديم العمل الفنى الصغير ، مادام هذا العمل لا يقلل من قيمة الفنان الذى يستطيع التصدى لاعمال كبيرة . واضرب لذلك مثلا قوله تعالى : (إن الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة وما فوقها .. (صدق الله العظيم » .

وهذا نموذج للمواطن الصالح الذى يفكر بقضايا وهموم بلده وامته ، ويحملها معه اينما حل او ذهب . يدرك عن قناعة دوره الأدبى الملزم تجاه تلك القضايا والهموم ، وان له واجب (عام) يجب ان يؤديه فى مجاله بامانة وهمة لا تقل عن سعيه لتحقيق الخاص من المطالب .

وهكذا تضاف زهرة نضرة فى عالمنا الكالح ، وتصب قطرة بيضاء صافية فى المزيج الضارب الى القتامة ، وينبثق لهب دافىء فى مساحة الثلج .

ويبقى ثمة بريق خافت يغشى بصر الفنان ويتلالا جاهدا خلف حدود الزمن المنظور وافق الضباب .

جميل العابد

الروائى الانجليزى العظيم تشارلز ديكنز كانت تاتيه افكار رواياته وشخصياته اثناء نومه فى الأحلام ، والشاعر شيللى يحلم بفتاة تشده إلى الماء ، وبعد فترة قصيرة يموت غرقاً فى خليج « سبيزيا » ، واحداث اخرى كثيرة من هذا النوع .. ماحقيقتها وما تفسيرها وما مدى صدقها وكيف ينظر إليها العلم الحديث .. هذا هو الفصل الثانى من السلسلة التى تنشرها « الدوحــة » عن أعاجيب الحياة من وجهة النظر العلمية ، او ما يسمى فى الدراسات الحديثة باسم « الباراسيكولوجى » .

أذهــــــان بـــلاحـــــــدود "٢"

أسرار الإنسان وعجائب الحياة كيف ينظر إليها العلم الحديث؟

إعداد : محمد العـزب موسى

ربما يكون كروسوس ملك ليديا الـذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد هـو اول من اجرى تجربة فى البراسيكلوجى . فقد اراد ان يعرف اى العرافين امهر : الاغريق أم المصريون ، فبعث وفداً الى كل منهما ليسالهما فى وقت محدد : « مــاذا يفعل الملك كروسوس ابن الياطس الآن ؟! » وفى الوقت المحدد قام كروسوس بشىء لا يخطر على بال احد ، جاء بحمــل وسلحفاة . وقطعهما الى قطع صغيرة ، وطهى لحمهما معاً فى قدر من النحاس ..

وتقول الحكاية ، التى وضعت اصلا لاعلاء شان الاغريق ، ان عرافة معبد دلفى فى بلاد الاغريق هى التى توصلت الى الحل الصحيح .

وبالطبع لم يكن كروسوس ابن الياطس يريد بهذه التجربة أن يخدم العلم ، فقد كان يؤمن بالفعل بالقوى الخفية للعرافين ، ولكنه كان يريد أن يتخذ لنفسه عرافاً رسمياً من امهر الفريقين . وبالطبع ، اختار عرافة دلفى ، ولكن حبها للرموز والالغاز ثبت فيما بعد انه فى غير صالح الملك ، إذ تنبات قبل احدى حملاته بان جيشاً عظيماً سوف يدمر ، فذهب الى القتال واثقاً من النصر ، ولم يكن يدرى ان هذا الجيش هو جيشه !

وطالما ان الناس يعتقدون فى وجود القوى الخارقة للطبيعة كجزء من الحياة ، لا تكون هناك فرصة امام البحث العلمى فى مثل هذه الظواهر . وقد كان هذا الاعتقاد سائداً فى زمن شكسبير ، كما يظهر ذلك واضحاً فى مسرحياته ، فمثلا فى مسرحية « حلم ليلة صيف » نجد ان مخلوقـــات ما وراء الطبيعة تتفاعل مع البشر وتندمج معهم فى نسيج واحد ، ولاشك ان مشاهدى شكسبير فى زمنه كانوا ياخذون ساحرات « مكبث » وشبح « هاملت » شيئاً مسلماً به ولم تكن تدور فى اذهانهم امثال هـــذه التساؤلات التى يناقشـــها علمـــاء الباراسيكلوجى اليوم : هل الساحرات عندما تنبان لمكبث بانه سيصير ملكاً كن يلتقطن منه بطريقة تليباثية رغبة دفينـة لديه فى ان يصبح ملكاً ؟ وهل كل ما يرمز اليه الشبح فى « هاملت » هو مجرد هلوسة لا شعورية لدى هاملت عن ماضيه ؟ مثل هذه الاسئلة تشير الى اهتمامات الابحاث النفسية الحديثة ، فهذه الابحاث لا تحاول ان تقلب الكون ، وإنما تفسره تفسيراً جديداً وبدلا من ان تركز اهتمامها على مخلوقات ما وراء الطبيعة فانها تركز هذا الاهتمام على اسرار الذهن البشرى وقواه الكامنة .

وهناك شرطان ضروريان لبدء البحث العلمى ، الاول ان يوجد مجتمع يرفض هذه الظواهر فيما يسمى بالظواهر الخارقة ، والثانى ان يظهر علماء يشكون فى صحة هذا الرفض وحدوده الضيقة . ولم يتحقق هذان الشرطان بالكامل إلا قرابة منتصف القرن التاسع عشر فى اوربا ،فقد كان القرن الثامن عشر عصر الشك والرفض لكل الموروثات ، كان عصر يمجد العقل ، ولكنه لم ينتج فلاسفة او علماء يشكون فى العقل فلم يكن احد يغامر بان يعرض نفسه للسخرية والامتهان إذا اقدم على بحث جاد فى عقائد السلف ، ولكن عندما اخلى التعصب للعقل مكانه للنزعة الرومانسية فى بداية اوائل القرن التاسع عشر ، مــع ما تنطوى عليه هذه النزعة من تاكيد للتجربة الشخصية ، اصبحت الظروف اكثر ملاءمة لبدء البحث العلمى النفسى .

رؤى الادباء

كان الشاعر شــــيلى ، وهو احـــد الشخصيات الكبرى فى العصر الرومانسى ، حالماً عظيماً ، وقد حلم مرة انه شاهد « اليجرا » ابنة لورد بيرون المتوفاة تنهض

من خليج سبيزيا ، وتمسك بيديه وتبتسم فى وجهه ، وفى حلم اخر شاهد صديقيه الحميمين ادوارد وجين ويليامز يلقيان ميتة شنيعة فى منزل يكتسحه الفيضان بالقرب من البحر . ولم ينقض وقت طويل على هذه الكوابيس حتى كان شيلى وادوارد ويليامز يلقيان حتفهما غرقا فى خليج سبيزيا على شاطىء ايطاليا ..

وقد تعرض الشاعر الالمانى العظيم « جيته » لتجربة تنبؤية اقل شرا ، اوردها فى ترجمته الذاتية ، فقد كان يسير ذات يوم ممتطيا حصانه فى احدى الغابات حين شاهد صورته قادمة عليه من الاتجاه المقابل على صهوة جواد ، وادهشة انه يرتدى رداء لم يلبسه من قبل ، وهز « جيته » راسه وسرعان ما تبددت الرؤيا ، ولكن بعد ثمانى سنوات بينما كان « جيتة » راكبا حصانه فى نفس الطريق ، تحقق فجاة انه يرتدى نفس الرداء الذى حلم به من قبل ، وكان يسير فى الاتجاه المقابل للاتجاه الأول ..

وجرب الروائى تشارلس ديكنز رؤيا تنبؤية مشابهة ، اذ نام فى مكتبه ذات ليلة فحلم انه يرى سيدة مرتدية شالا احمر كانت تعطيه ظهرها ، ولم يعرفها حين استدارت وواجهته ، ولكنها قدمت نفسها على انها « ميس نابير » ومرة اخرى لم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل . وفى الليلة التالية زاره بعض الأصدقاء ، وكانت معهم ضيفة غريبة ترتدى شالا احمر قدموها اليه على انها « ميس نابير » .

ولكن بالرغم من تجارب ديكنز النفسية ، وظهور عالم الأحلام والارواح فى رواياته بكثرة ، إلا انه كان معارضا بشدة لولع الاتصال بعالم الاورواح الذى كان يكتسح الولايات المتحدة وانجلترا فى اواسط القرن التاسع عشر ، وعندما سمع عن حادث « قرع الأرواح » فى « البيت المسكون » فى هيدسفيل بنيويورك ، وهو الحادث الذى اطلق عقال « الحركة الروحية » فى امريكا عام ١٨٤٨ ، ربما يكون ديكنز قد تذكر ما حدث للكاتب الانجليزى العظيم دكتور جونسون فى القرن الاسبق ، ففى عام ١٧٦٢ زار دكتور صمويل جونسون منزلا فى حارة كوك بلندن يقال ان شبح السيدة « كنت » يظهر فيه بواسطة قرع الأوانى والدق على الأبواب ، وهى ظاهرة لا تحدث إلا فى وجود الطفلة اليزابيث بارسون ابنة صاحب المنزل وعمرها ١٢ عاماً . وقد اصبح هذا الشبح شهيراً فى كل انحاء لندن يتتبع الناس اخباره ، وذات يوم اعلن الشبح سراً خطيراً ، هو ان السيدة « كنت » ماتت مسمومة بسم دسه لها زوجها السيد « كنت » . وكتب دكتور جونسون مقالا فى احدى المجلات مؤيدا ظاهرة الشبح ، ومؤكدا انه تحقق منها بنفسه ، وبعد ذلك اتضح ان العملية كلها خديعة « مفبركة » ، وان الفتاة اليزابيث هى التى تقوم بقرع الأوانى والابواب بتحريض من ابيها الذى كان يريد ان يبتز السيد كنت ! ونتيجة لهذا الاكتشاف اصيبت فى الصميم سمعة دكتور جونسون وبعض المشاهير الاخرين الذين ايدوه !

دجالون ووسطاء

كان شبح حارة كوك بداية لفن التزييف الذى انتشر بشدة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع تزايد الاهتمام بالظواهر الروحية ، وربما كان كل الوسطاء الروحيين الكبار الذين اشتهروا فى هذا العصر قد ضبطوا مرة او اكثر متلبسين بالغش والخديعة ، فيما عدا اعظمهم جميعا د . د . هيوم الذى لم يضبط مطلقا متلبسا بالغش ، كان الوسطاء الغشاشون يقرعون الأوانى ، ويلتقطون صورا فوتوغرافية للاشباح ، ويجسدون ارواح الموتى (دائما فى شبه ظلام) ويصدرون اصواتا تحمل رسائل لجمهور متعطش للتصديق . وقد انكشف ذلك كله ، او معظمه ، تباعا ، ولذا ليس غريبا ان يرفض الاذكياء الجادون فى ذلك العصر ما يسمى بالظواهر الروحية باسرها ، ويجدوها بدعة سقيمة ، متناقضة ، مضيعة للوقت ، هذا الموقف لدى مثقفى العصر يعبر عنه ابلغ



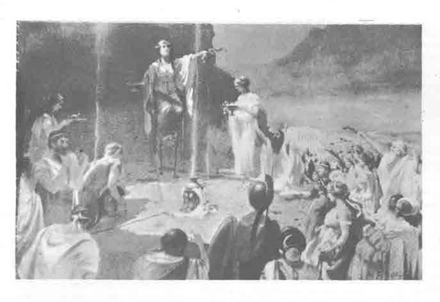
الروائى الانجليزى العظيم تشارلس ديكنز كانت تاتيه افكار رواياته وشخصياته اثناء نومه فى الاحلام . والادب العالمى ملىء بالتجارب والرؤى الباراسيكلوجية . اخترعت الكاتبة مارى شيلى شخصيه فرانكشتاين نتيجة لكابوس تعرضت له اثناء النوم .

تعبير الفيلسوف توماس هكسلى فى خطاب كتبه الى صديق يرفض فيه دعوة وجهت اليه لفحص « الظاهرة الروحية » . اذ كتب هكسلى يقول : « على فرض ان هذه الظواهر صحيحة فانها لا تهمنى ، فاذا شرفنى احد بدعوتى للاستماع الى ثرثرة امراة عجوز تقول اشياء تافهة ، سوف أرفض هذا الشرف لان لدى ما اهتم به اكثر واذا كان الناس فى العالم الآخر لا يقدرون على حديث احكم او اعقل من ذلك الذى يجريه على السنتهم اصدقاؤهم فى الارض ، فاننى اضعهم معا فى نفس الطراز. ان الفائدة الوحيدة التى اجدها فى « الظاهرة الروحية » هى انها يمكن ان تكون مانعا اضافيا للانتحار ، فمن الأفضل ان يعيش الانسان كناسا متجولا فى هذه الارض عن ان يموت ويذهب الى العالم الآخر ثم يستدعيه وسيط جاهل الى جلسة ارواح نظير جنيه يتقاضاه الوسيط .. » !

جمعية الابحاث الروحية

ولكن ، كان هناك مثقفون اخرون لم ياخذوا موقف هكسلى ، فلماذا لا يكون بين هذا التبن الكثير تبر خالص ايضا ، اى معرفة جديدة لها وزنها ؟ ومن اشهر هؤلاء ثلاثة هم هنرى سيجويك ، وف . و . مايرز ، وايدموند جورنى . كان ثلاثتهم زملاء فى كلية « ترنيتى » بجامعة كمبردج ، ويرجع اليهم الفضل فى تاسيس علم الابحاث الروحية على اسس علمية . وكانوا يشكلون فيما بينهم مجموعة متكاملة مثالية للبحث النظري والعملى الدءوب وراء الظواهر الخارقة التى خصصوا لها الجانب الاكبر من حياتهم واهتمامهم .

كان سيجويك استاذا للفلسفة الاخلاقية بكمبردج ، ويمتلك موهبة نقدية حادة ككل مثقفي عصره . وتفوق مايرز فى الكلاسيكيات والحضارات القديمة كما كان مؤهلا كطبيب وموسيقي . وقد اسس ثلاثتهم مع بعض زملائهم فى كمبردج واكسفورد « جمعية الابحاث الروحية » فى عام ١٨٨٢ ، وتولى سيجويك رئاستها واصبح جورنى سكرتيرا لها ، وعمل مايرز بلاكلل فى تنظيم الجمعية ، والقاء المحاضرات ، والكتابة ، والبحث ، وجمع المواد للنشر .. ومن ابرز اعضاء الجمعية ايضا اليانور سيجويك ، زوجة هنرى سيجويك ، وكانت لها خلفية علمية ، وهى التى قامت بمعظم الابحاث الهامة التى أجرتها الجمعية ، وتولت رئاستها خلفا



لوحة من القرن التاسع عشر عن اسم عرافة دلفى التى تجلس على كرسى عال وحولها الاغريق رجالا ونساء يسالونهـــا عن المستقبل . وصفت هذه العرافة سقراط بانه احكم البشر . ولكن نبوءاتها ثبتت فى النهاية انها ليست فى صالح كروسوس ملك ليديا !

لزوجها .

كان الهدف المعلن للجمعية .. « البحث على نطاق واسع فى الظواهر الخارقة موضع الجدل طبيعية كانت او روحية او تنويم مغناطيسى .. بدون تحيز او فكرة مسبقة من اى نوع . وبنفس الروح المتجردة التى مكنت العلم من حل مشاكل كثيرة كانت يومها لا تقل غموضا او مدعاة للجدل » . فقد كان مؤسسو « جمعية الأبحاث الروحية » كمعظم مثقفي عصرهم يؤمنون بقدرة العلم على حل اى غموض يواجه الانسان .

ساهمت « جمعية الابحاث الروحية » فى كشف وسائل الغش والخداع التى يلجا اليها كثير من الوسطاء المحترفين بالرغم من شهرتهم باتيان الخوارق . ولكن مايرز وجورنى كانا مقتنعين بان بعض الوسطاء على الأقل حقيقيون . وجاء اقتناعهما هذا نتيجة لتقصيهما حالة ويليام ستينتون موسى ،وهو قس متقاعد يحمل شهادة من جامعة اكسفورد . وكان على حد وصف مايرز له رجلا لا يمكن الشك لحظة فى لجوئه الى الغش ، خاصة انه لم يكن يتقاضى اجرا على الاطلاق نظير القيام بتجاربه .

وقبل ان يكتشف ستينتون موسى مواهبه كوسيط روحاني ، كان من غلاة رافضي الظواهر الروحية . وصف مرة كتابا وقع فى يده عن الوسيط الشهير د .د. هيوم بانه « اسوأ هذيان » قابله فى حياته ، ولكنه بدا يراجع افكاره عندما حضر احدى جلسات تحضير الارواح ، وتلقى عن طريق وسيط وصفا دقيقا للغاية لصديق متوف قبل ان روحه حضرت الجلسة . وبعد عدة اشهر حدثت له اول تجربة للارتفاع فى الهواء دون ارادته . وابتداء من ذلك الوقت كرس موسى السنوات التسع الباقية فى حياته لأعمال الوساطة الروحية الخارقة . فعزى اليه انه كان يرتفع فى الهواء . ويحرك الموائد الثقيلة بوضـــع اصابعه فوقها ، ويستحضر اشياء من غرف مغلقة كما لو كانت قد مرت خلال الجدران .لقد كانت اية جلسة يحضرها ستينتون موسى لا يمكن أن تمر كئيبة ، فقد تهب على الجالسين نسمات معبقة بالروائح الذكية ، او يسمعون نغمات موسيقية راقية تاتى من لا مكان . او تتحرك فى الغرفة عواميد من الضوء الشفاف تتجسد فيها ارواح او ايد او وجوه لموتى !

وكان ستينتون موسى يدعى ان الظواهر الطبيعية التى تحدث فى وجوده هى من فعل الأرواح التى تريد ان تثبت صدق الرسائل التى تبعث بها عن طريقه الى العالم بواسطة « الكتابة الاتوماتيكية » . وقد نشر موسى هذه الرسائل التى املتها عليه الأرواح فى عام ١٨٨٣ تحت عنوان « تعاليم الأرواح » ، وهو كتاب اصبح بمثابة المرشد للحركة الروحية .

وبالرغم من ان مايرز كان لايشك فى صدق موسى إلا انه كان يشك فى الذكاء المزعوم للارواح والرسائل التى تبعث بها ، وكان يرى انه لابد ان يكون هناك تفسير آخر للكتابة الاتوماتيكية والظاهرة النفسية على وجه الاجمال ، ولكن لسوء الحظ عندما انشئت « جمعية الابحاث الروحية » كانت قوى موسى قد تدهورت ، ولم يمكن اختباره تحت الظروف المشددة التى تتبعها الجمعية ازاء كل من تختبرهم .

ابحاث مايرز

لقد كانت الظاهرة الروحية مقبولة فى ذلك العصر ـ بالنسبة للذين يقتنعون بها ـ كدليل على وجود عالم الأرواح ، وبالتالى حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكن منشئي « جمعية الأبحاث الروحية » لم يروا فى ذلك إلا مجرد فرض ، وربما كانوا هم انفسهم يتطلعون الى اخماد شكوكهم ويتمنون الوصـــــول الى دليل حاسم يؤكد بقاء الانسان بعد الموت ، إلا انهم لم يسمحوا لهذا الميل بان يؤثر على ابحاثهم المنهجية ، وكانت هذه الأبحاث تتعلق اساسا باجراء تجارب فى التليباثى (التخاطر) والرؤية الغيبية او الاستبصار ، وجمع الأدلة على صحة هذه القوى الكامنة فى الذهن البشرى .

فى ذلك الوقت ، كانت هناك « حالة » اثارت اهتمام الرأى العام ، واغرقت جورنى ومايرز فى العمل ، فقد كان هناك قس فى مانشستر يدعى « كريرى » يزاول منذ زمن اجراء تجارب فى التليباثى مع بناته الخمس ، واستدعت الجمعية اسرة كريرى حيث اخضعتها للبحث المنهجى الوثيق فى تجاربها على التليباثى ، واثبتت اسرة

كريرى نجاحا امام لجنة الفحص تحت ظروف رقابة مشددة . ولكن حدث بعد ذلك ان اكتشفت حالات غش بين البنات فى بعض التجارب الاقل رقابة ، فالغى مايرز وجورنى ما كان يعتقدان انه دليل مثير على التليباثى نتيجة لابحاثهما على اسرة كريرى .

وفى عام ١٨٨٣ ، بعد سنة من تجارب كريرى ، اكتشف رجل اعمال فى ليفربول يدعى مالكولم جوثرى ان بعض موظفيه يقومون بتجارب على نقل الافكار فيما بينهم فى اوقات فراغهم ، وانهم حصلوا على نتائج مدهشة فى التخاطر برسوم بسيطة ، وثار اهتمام جوثرى بالامر حتى انه قام هو وصديقه جيمس بيرشال باجراء تجاربهما الخاصة مع اثنتين من الموظفات هما الآنسة رلف والآنسة ادوارز ، وكانتا قد اظهرتا مقدرة استثنائية على تلقي الرسائل الذهنية ، واحرزت هذه التجارب نجاحا ملحوظا ، وابلغت نتائجها الى « جمعية الابحاث الروحية » فاوفدت لادوارد جورنى الى ليفربول ليشرف على بعض هــــذه التجارب بنفسه .

وكان الاسلوب الذى اتبعه جورنى يتلخص فى تغمية عينى الفتاة التى تتلقى الرسالة وان تجلس عكس اتجاه الشخص الذى يبعث بالرسالة ، وهذا الشخص يمسك بالرسم الذى يعطى له بطريقة لا يمكن معها ان تراه الفتاة حتى لو كانت غير معصوبة العينين . ويركز الراسل فى الرسم حتى تقول الفتاة انها على استعداد لادائه . وعندئذ ترفع العصابة عن عينيها ، وتمسك بالقلم . وعادة ما تتراوح فترة التركيز بين نصف دقيقة الى دقيقتين او ثلاث دقائق .

وفشلت كثير من المحاولات او احرزت تشابها ضئيلا ، ولكن عدداً من المحاولات احرز نجاحا جزئيا او كليا ساحقا ، وتكرر ذلك عدة مرات كافية لاستبعاد احتمــــال الصدفة .

فى ذلك الوقت كان هناك استاذ شاب فى علم الطبيعة بجامعة ليفربول يدعى اوليفر لودج ، وقد منح لقب سير فيما بعد لاكتشافاته فى ميدان الكهرباء والراديو . سمع لودج عن تجارب جوثرى فطلب ان يقوم بنفسه بتجارب مع الفتاتين ، واجرى هذه التجارب بنفس الحرص والدقة التى يجرى بهما تجاربه فى علم الطبيعة . وفى احدى هذه التجارب جعل شخصين يركزان على شكلين مختلفين دون أن يدرى احدهما بما مع الآخر . وكذلك لم تكن الفتاة تدرى انها تتلقى من شخصين مختلفين ، وهى التى تعودت ان يكون الراسل واحداً ، وقد اضطربت الفتاة فى اول الامر ثم مالبثت ان رسمت الشكلين اجدهما داخل الآخر ، مما يدل على انها تلقت الرسالتين ولكنها اعتقدت ، عن وعى او غير وعى ، انهمـــا يمثلان شكلا واحداً .

التخاطر التلقائى

وبالاضافة الى التجارب العملية التى قاما بها ، راح جورنى ومايرز ، اللذان لا يكلان عن العمل ، يبحثان فى عديد من الحالات التى وردت اليهما عن تجارب التليباثى التلقائى والاستبصار ، وكانا قد نشرا اعلانات فى « التايمز » وبعض المجلات الدورية يطلبان فيها من الجمهور موافاة الجمعية بمثل هذه الحالات ، وتلقيا فيضا لاينقطع من الخطابات قدر فى عام ١٨٨٣ وحده باكثر من ١٠ الاف خطاب ، كما استقبلا مئات الاشخاص ، واستدعيا لمساعدتهما استاذا فى جامعة اكسفورد يدعى فرانك بودمور كان معروفا بشكه فى الظاهرة الروحية وتشدده فى وسائل استقصائها ، مما جعل مساهمته ذات قيمة كبرى .

وقد لاحظ الباحثون الثلاثة ، بعد عمليات الفحص والتحليل والتبويب التى قاموا بها ان اكبر مجموعة من الحالات يمكن تصنيفها تحت عنوان « رؤى المحنة » ، فى هذه الحالات يتعرض الشــــخص « لهلوسة حية تكاد تكون واقعية » عن



دانييل دوجلاس هيوم كان من اشهر الوسطاء الروحيين فى القرن التاسع عشر ، من تجاربه تجسيد الارواح ، وتحريك الاشياء بالقــــوة الذهنية ، والارتفاع بالجسم فى الهواء ، واطالة قامته . لم يضبط مرة واحدة متلبسا بالغش كما كان يفعل كثيرون غيره .

شخص اخر يثبت فيما بعد انه كان يمر فى نفس اللحظة بازمة خطيرة . هذه الأزمة هى عادة موت الشخص او تعرضه لاصابة خطيرة او مرضه . وفى بعض الحالات تكون هذه الهلوسه سمعية وليست بصرية بمعنى ان صوت الشخص الذى يمر بالمحنة يكون مسموعا بوضوح لدى صاحب التجربة .

وبعد ثلاث سنوات من البحث نشر جورني ومايرز وبودمور ادلتهم على التليباثى ، التلقائي والتجريبي ، فى كتاب ضخم ، هو اول عمل كبير تقوم بنشره جمعية الأبحاث الروحية ، تحت عنــــوان « اوهام الاحياء » ويحوى ٧٠٢ حالة من التجارب الباراسيكلوجية التلقائية ، كل منها تؤيدها شهادة اكثر من شخص واحد على الاقل ، ويمكن ان نورد فيما يلى بعض الحالات التى تدل على محتوى الكتاب .

● ذكر ضابط بحرى انه كان فى الثالثة عشرة من عمره عندما اوشك على الغرق الفعلى فى قارب انقلب فى بحر هائج بالقرب من شاطىء جاوة ، وعندما طفا على السطح بعد ان غاص فى الماه عدة مرات ، نادى باعلى صوته على امه ، مما اضحك الرجال الذين قاموا بانقاذه ، واخذوا يتندرون عليه . ولما عاد الى بيته بعد ذلك بعدة اشهر ابلغ اسرته بالحادث وقال انه شاهد اثناء وجوده فى الماء رؤية واضحة لامه وشقيقاته وهن جالسات فى المنزل ، وكانت امه تخيط قماشا ابيض اللون ، فتذكرن فوراً المناسبة التى يتحدث عنها ، وكن جالسات كما ذكر بالضبط ، وسمعن جميعا صوته بوضوح يكرر « ماما .. ماما » وقد انزعجت الام لما سمعت، حتى انها سجلت التاريخ والساعة فى مذكرتها ، وعندما حسبوا فرق الزمن بين انجلترا وجاوة تبين ان الصرخة التى سمعوها حدثت بالضبط فى الوقت الذى اوشك الصبى على الغرق .

● وهناك حالة اخرى تنطوى على غرق فعلى هذه المرة ، حدثت فى نيويورك عام ١٨٦٧ ، كانت فتاة صغيرة فى الثالثة من عمرها تلعب بعرائسها فى غرفة يجلس فيها ابوها وامها وخالتها ، وفجاة جرت الطفلة الى الخالة وهى تصسح « خالتى .. ديفى يغرق ! » وكان ديفى وهو ابن خالة الطفلة صبيا فى التاسعة من عمره يعيش مع والده واخيه الاكبر على بعد ٢٥ ميلا ، وكانت الطفلة شديدة التعلق به ولم تره منذ عدة شهور ، وقد طلب الكبار من الطفلة ان تكرر ما قالت اكثر من مرة قبل ان يفهموا ماذا تقصد . وظنت الام ان الفتاة لا تفهم



هنرى سيجويك مؤسس ورئيس « جمعية الأبحاث الروحية » التى حاولت وضع اللبنات الأولى فى علم الباراسيكلوجى الذى اصبح الآن علما معترفا به فى الجامعات الاوربية



اليانور سيجويك زوجة هنرى سيجويك ورئيسة جمعية الأبحاث الروحية من بعده . ظلت معظم حياتها لا تؤمن بالظاهرة الروحية ثم اقتنعت بها وتحولت الى هذه الأبحاث .

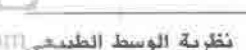


الوسيط الشهير ويليام ستينتون موسى . اشتهر بالكتابة الاتوماتيكية التى تمليها عليه الارواح . ولم يكن يتقاضى اجرا على تجاربه الباراسيكلوجية



معنى ما تقول ، فغيرت الحديث ، ولكنها لاحظت ان هذا حدث فى الساعة الرابعة مساء . وبعد ساعات تلقت الاسرة برقية من والد الطفلين تقول : « ولداى الصغيران داريوس وديفى غرقا الساعة الرابعة اليوم وهما يتزحلقان فى بحيرة كينك » .

وحصل باحثو « جمعية الأبحاث الروحية » على قصاصة من صحيفة محلية نشرت الحادث وذكرت تاريخه وساعته على النحو الذى ذكرته الأسرة .



نظرية الوسط الطبيعى

حاول جورنى أن يقدم تفسيراً لظاهرة التليباثى . قال انها من المحتمل ان تكون عملية نقل من ذهن الى ذهن عبر وسط طبيعى لا نعرف عنه شيئا الآن . مثلا كالوسط الطبيعى الذى يسير فيه السيال المغناطيسى . فالمغناطيس يجذب قطع الحديد الصغيرة التى تقع فى سياله حتى لو كان بينهما حائل ، كما انه لو ثبت مغناطيس قوى دائم فى حجرة فانه مع مرور الوقت يمغنط اية قطعة من الحديد فى تلك الحجرة . وهناك مثال آخر على الوسط الطبيعى يؤخذ من التيار الكهربائى فان السلك الذى يسير فيه تيار كهربائى بحدث تيارا مستحثا فى سلك مجاور . وعلى ذلك طالما أن الرسالة التى تنتقل تليباثيا هى واحدة فى ذهن الراسل وذهن المتلقى فانها تكون قد انتقلت من الاول الى الثانى عبر وسط طبيعى مجهول . ولكن الصعوبة تنشا عندما تكون الرسالة المنقولة غير دقيقة او مختلفة تماما ـ مثلا أن تنتقل صورة الراسل نفسه لارسالته ـ



تجربة يقوم بها اثنان من الكتاب العلميين المتشككين فى الظواهر الباراسيكولوجية مع سيدتين وسيطتين لرفع مائدة ثقيلة فى الهواء بوضع الاصابع فوقها بدون لمسها . لم ترتفع المائدة ولكنها تأرجحت بشدة على الجانبين لدرجة ان تخلى الناس عن طريقها .

فعندئذ تبدو فكرة الوسط الطبيعى غير محتملة .

وهناك ـ كما فكر جورنى ـ حجة اخرى ضد الاساس الطبيعى لظاهرة التليباثى هى ان كل القوى الطبيعية المعروفة تضعف كلما سافرت مسافات طويلة ، مثل الصوت والضوء والماء والمغناطيسية .. الخ ، والامر ليس كذلك بالنسبة للتليباثى ، فان الرسالة او الصورة التليباثية يمكن ان تنتقل عبر القارات بنفس السهولة التى تنتقل بها عبر الشارع . كل ذلك دعا جورنى الى التخلي عن فكرة الوسط الطبيعى . وربما لو كان جورنى قد عاش الى اليوم لغير رايه مرة اخرى : فقد اكتشف العلماء مؤخراً ان هناك معادن معينة اذا بردت الى درجة الهليوم السائل تكون قادرة على توصيل التيار الكهربائى بحيث لا تؤثر فيه المقاومة او المسافة ، وحولنا تطبيقات اللاسلكى كثيرة واضحة ، ففى الامكان استقبال موجات الراديو والتليفزيون من اى مكان فى الأرض ، بل ومن الفضاء الخارجى حيث تبعث سفن الفضاء الى المحطات الأرضية بالصوت والصورة فى وضوح تام فلماذا لا يكون التليباثى يعمل على اساس مشابه من الوسط الطبيعى ؟ على اية حال فان طبيعة هذا الوسط لاتزال غامضة اليوم كما كانت عندما بحثها جورنى لاول مرة منذ مائة عام .



لم يستطع ان يوقظ جسده المادى .. وعندئذ فكر فى امه التى كانت نائمة فى غرفة مجاورة ، ورآها بوضوح بالرغم من الحائط الذى يفصل بينهما ..

يعد البروفيسور جلبرت موراى الاستاذ بجامعة اكسفورد من ابرز المثقفين الانجليز فى مطلع هذا القرن ، والى جانب اهتماماته بالتاريخ والعلوم الانسانية اهتم موراى بظاهرة نقل الافكار بالتليباثى ، واجرى عليها حوالى ٧٥٠ تجربة بين عامى ١٩١٠ و ١٩٢٤ ، وكانت تشترك فى تجاربه مجموعة صغيرة من افراد اسرته واصدقائه ويتلخص اسلوب موراى فى انه كان يخرج من الغرفة حيث يجلس الآخرون ويتفقون فيما بينهم على صورة او حادثة يسجلونها كتابة فى ورقة ، ثم يدخل موراى ويمسك بيد الراسل ويحاول ان يخمن الموضوع الذى اختير، بينما يقوم احد الحاضرين بتسجيل كل كلمة ينطق بها ، وكانت الموضوعات التى يختارونها مزيجاً من احداث الأدب والتاريخ .

ومن امثلة هذه التجارب : فكرت ابنة البروفيسور موارى ـ وهى زوجة المؤرخ الشهير ارنولد توينبى ـ فى اختيار اللقاء الذى تم بين روبرت وناتاشا فى رواية « الحرب والسلام » لتولستوى حيث كانت ناتاشا تجرى فى الغابة مرتدية ثوبا اصفر ودخل الأب موراى وامسك بيد ابنته ، وسجل الكاتب كلماته كما يلى : « حسنا .. اعتقد ان الموضوع يدور حول شخص يدعى روبرت ، نعم انه موضوع خيالى ، انه يقابل شخصا فى كتاب ، انه يلتقى بناتاشا فى « الحرب والسلام » . لا اعرف ماذا يقول بالضبط ـ ربما يقول لها : هل تهربين معى ؟ .

وكانت تتخذ احتياطات كافية لمنع وصول اصوات المناقشة الى اذنى موراى فى الخارج ، لاستبعاد احتمل حدة حاسة السمع فى مثل هذه التجارب ، وقد لاحظ موراى نفسه انه اثناء فترة التركيز على الموضوع يكون حساساً للغاية ازاء الاصوات ، وربما يكون يتلقى بطريقة لا شعورية مؤثرات صوتية من المجموعة ، وبالفعل عندما كان الموضوع يبحث همسا بين المجموعة كان موراى يفشل عادة فى التعرف عليه ، ولكن لم يكن نجاح موراى يعزى فحسب الى قوة استراق السمع ، ففى بعض الأحيان كان يستطيع ان يخمن منظرا من كتاب لم يقرأه ويذكر تفاصيل او شخصيات لم تتحدث عنها المجموعة عند اختيار الموضوع ، والتفسير الوحيد لذلك انه حصل على هذه المعلومات تليباثيا من الراسل أو غيره من المشتركين الذين يعرفون الكتاب . وفى التقييم النهائى لتجارب البروفيسور موراى احرزت نسبة ٣٣٪ من هذه التجارب نجاحا كليا ، وعدت نسبة ٤٠٪ تجارب فاشلة ، والباقى تجارب احرزت نجاحا جزئيا .

لقد اثارت تجارب البروفيسور موراى ، وغيرها من تجارب التليباثى ، احتمال ان تكون هذه القوة الغامضة اكثر وضوحا فى حالة التراسل بين اعضاء نفس الاسرة ، فقد كان موراى انجح ما يكون عندما يقوم بتجاربه مع ابنته ، زوجة المؤرخ ارنولد توينبى ، كما ثبت ان التليباثى اقوى ما يكون بين التوائم ، وان الامهات اكثر استعدادا لتلقى اشارات الخطر تليباثيا من ابنائهن عند تعرضهم للمحنة .

وهناك حالة مهندس ايطالى شهير بعث بها الى « جمعية الابحاث الروحية » تدل على مدى حساسية الأم تليباثيا ، اذ كتب المهندس يقول انه كان فى شبابه يستعد لاداء الامتحان فى شهر يونيو ، ونتيجة للارهاق الشديد فى استذكار دروسه غرق فى نوم عميق جداً ، ولكن يبدو ان يده ارتطمت بمصباح الكيروسين فاوقعته ، وبدلا من ان ينطفىء المصباح انبعث منه دخان اسود كثيف ملأ الغرفة وبدأ يختنق ، ويضيف المهندس انه شعر تدريجيا بأن الجزء المفكر فيه انفصل تماما عن جسده المادى النائم ، وشعر هذا الجزء الواعى بانه لكى ينقذ نفسه يجب ان يعدل المصباح ويفتح النافذة ، ولكنه لم يستطع ان يوقظ جسده المادى او يجعله يستجيب بأى شكل ، وعندئذ فكر فى امه التى كانت نائمة فى غرفة مجاورة ، ورآها بوضوح بالرغم من الحائط الذى يفصل بينهما ، وهبت الأم من نومها فجأة وسارعت الى نافذة غرفتها ففتحتها كما لو كانت تنفذ الفكرة التى فى ذهنه ، ثم شاهدها تخرج من غرفتها ، وتدخل غرفته ، وتقدمت الى جسده المسجى على السرير وهزته برفق لتوقظه ، وعندئذ فقط شعر ان وعيه عاد الى جسده ، واستيقظ من نومه مذعوراً ، وقد اكدت الأم بعد ذلك انها فتحت نافذة غرفتها قبل ان تأتى اليه تماما كما رآها تفعل عبر الحائط المصمت .

● ● ●

لقد تقدمت فى الوقت الحاضر ابحاث وتجارب الباراسيكلوجى عما كانت عليه فى القرن التاسع عشر . ولكننا رأينا من المفيد أن نمهد للتجارب الحديثة بالاشارة الى هذه التجارب القديمة ، وقد اقتصر هذا الموضوع على تجارب « الادراك خارج نطاق الحواس » وهو جزء من القوى الباراسيكلوجية فى ذهن الانسان ، وهناك نوع اخر من هذه القوى هو المقدرة على تحريك الأشياء المادية بالطاقة الذهنية ، ويشمل تحريك الأشياء والسباحة فى الهواء وتجسيد المادة ونزعها والطب الروحى والطرح الروحى .. فالى المقال القادم .

محمد العزب موسى

المقال التالى : ـ
الحاسة السادسة فى معامل الاختبار



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الثالثة

عندما تفتح وجداني بدأت أعرف ... الخوف والخجل والملامة السوداء!

تظل ذكريات طفولتي قبل عهد المدرسة مشوشة ، باهتة ، متقطعة ، فلا استطيع لم شعثها او تنظيم فوضاها . ولكن الذى اراه واذكره بوضوح من صور هذه المرحلة الهامة فى حياة الانسان ، وهى المرحلة التى يشرع الطفل خلالها فى تمييز ذاته الاجتماعية ، هو إقبال أصدقاء ابى وعمى على ، وكذلك اصدقاء شقيقى احمد وابراهيم ، بالاضافة الى أصحاب الدكاكين المجاورة . فهؤلاء جميعا كانوا يضاحكونني ويمازحونني كلما التقيت باحدهم فى ديوان العائلة أو فى السوق ، فكنت احس معهم بانني شيء ذو قيمة اكثر مما انا بين أهلي . وكذلك بعد التحاقي بالمدرسة ، فقد جعلنى تصرف المديرة والمعلمات اكون عن نفسى فكرة افضل .

لا تحمل ذاكرتى اية صورة لاول يوم دخلت فيه المدرسة . كما انها لا تحتفظ بذكرى المرحلة الأولية التى تعلمت فيها قراءة الحروف وكتابتها . ولكن الذى اذكره بوضوح هو استمتاعي دائما بمحاولة قراءة اى شيء مكتوب وقع عليه بصرى .

لم يكن فى نابلس اكثر من مدرستين للبنات ، « المدرسة الفاطمية » الغربية و « المدرسة العائشية » الشرقية . وكان أعلى صف هو الخامس الابتدائى .

فى « المدرسة الفاطمية » امضيت السنوات الثلاث الاولى . وبعدها نقلت مع الصف كله الى « المدرسة العائشية » .

فى المدرسة تمكنت من العثور على بعض اجزاء من نفسي الضائعة . فقد اثبت هناك وجودى الذى لم استطع ان اثبته فى البيت . احبتنى معلماتى واحببتهن .

لقد اصبحت المدرسة احب الى من البيت والمكان الاكثر ملاءمة لي . وفى المدرسة عرفت مذاق الصداقة واحببته . كانت رفيقة مقعدي الدراسي تلميذه فى مثل سني اسمها « عناية النابلسي » وكانت احب صديقاتي الي واقربهن الى نفسى . ولقد بلغ من شدة تالفنا ان ابتدعنا طريقة غريبة لتاكيد صداقتنا ، فلجانا ذات يوم الى وخز إبهامينا ، ولعقت هى قطرة الدم التى نفرت من اصبعى ، كما لعقت قطرة الدم على اصبعها . وكان هذا (توقيعا) على (اخوة دم) لا انفصام لها .

لم التق « بعناية » منذ ايام المدرسة ، فقد تركت نابلس بعد زواجها فى سن مبكرة ولكن « عناية » . تلك البنت الصغيرة ، لا تزال هناك ، فى زاوية دافئة من القلب ، لم تغب عن مكانها ابدا .

فى بداية عام ١٩٢٨ حجبوني بالملاءة السوداء . وفى بداية عام ١٩٢٩ وصلت سن البلوغ . وكنت قد تعافيت من حمى الملاريا وسعدت بنعمة العافية .

لفت نظرى تفتح جسدى ، وخفت ، وخجلت . واربكنى هذا الامر فكنت اعمل على اخفاء هذا

النمو . ورحت اراقب هذا الأمر كله بحياء شديد كما لو كان ارتكاب ذنب مخجل استحق العقاب من اجله .

• • •

حتى ربيع عام ١٩٢٩ لم اكن اعرف شيئا عن الحب على الاطلاق . فلم يكن هذا الموضوع مما يتناوله افراد الأسرة على مسمع منا نحن الصغار .

وجاء الربيع . وعرفت هذا الشيء المسمى حبا . والذى ظل يشرنق حول وجودى الى مالا نهاية .

وجاء جواب السؤال الذى حرمته على امي . جاءني محمولا على زهرة فل عبقت رائحتها وعلقت بجدران قلبي . ولا ازال حتى اليوم احس وكان يدا خفية تقذف بي الى ذلك الماضى او تقذف به الي كلما نفحتني زهرة فل بعطرها .

ورائي الآن . وانا استحضر ذكرى تلك الحادثة . عشرات الاعوام . ولكن حدة الانفعالات التي بعثتها في نفسي . والدهشة التى تولدت من تلك الانفعالات هى من الأشياء التى لا تنسى ابدا . اكتشفت شيئا جديدا فى نفسى وفى العالم شيئا غريبا جدا . ووقفت مبهورة الانفاس امام دهشة الحب الاول .

امتلات الاعماق بعطر زهرة الفل الغامض العجيب . وحرك المشاعر شيء يستعصي على التفسير . وراح القلب يذوب تحت تاثير الاغانى المترعة بالعاطفية الشرقية الساخنة . منذ ذلك الحين ضربت اغانى محمد عبد الوهاب جذورها فى قلبى وظل عندى سيد الغناء . (تعالى نفن نفسينا غراما) (منك يا هاجر دائي) (قلب بوادى الحمى خلفته رمقا) (النبى حبيبك ماتحرمش الفؤاد منك) وغيرها .. وغيرها .

كانت تلك الاغانى مؤثرات تعمل على تكثيف شعورى الغائم المبهم . فقد كانت هذه اول مرة احس فيها بدقات قلبى وتواثبه . كان يفوتني ادراك معاني الاغانى ادراكا عقليا . ولكن مشاعرى كانت تعب من الجو العاطفى للصوت وللاغنية فترتوى وتزداد كثافة وزخما وتوهجا .

فقدت شهيتي للطعام . ولاول مرة عرفت الأرق الجميل المليء بالاخيلة والتصورات الهائنة . ولاول مرة عرفت كيف يغطى وجه انسان ما كل الوجوه الاخرى ويكتسح الوجود بكامله .

كان غلاما فى السادسة عشرة من العمر ولم تتعد الحكاية حدود المتابعة اليومية فى ذهابى وايابي . فما كان لمثلي ان تزوغ يمينا او شمالا . كانت الطاعة من ابرز صفاتي . وكنت مسكونة دائما بالخوف من اهلي . كان التواصل الوحيد الذى جرى لى من الغلام هو زهرة فل ركض الي بها ذات يوم صبي صغير في « حارة العقبة » وانا في طريقي الى بيت خالتي .

ثم حلت اللعنة التى تضع النهاية لكل الأشياء الجميلة .

كان هناك من يراقب المتابعة . فوشى بالامر لاخي يوسف . ودخل يوسف على كزوبعة هائجة . « قولى الصدق » ! .. وقلت الصدق لانجو من اللغة الوحيدة التى كان يخاطب بها الاخرين : العنف والضرب بقبضتين حديديتين . وكان يتمتع بقوة بدنية كبيرة لفرط ممارسته رياضة حمل الاثقال .

اصدر حكمه القاضى بالاقامة الجبرية فى البيت حتى يوم مماتى .. كما هددنى بالقتل اذا انا تخطيت عتبة المنزل . وخرج من الدار لتاديب الغلام .

قبعت داخل الحدود الجغرافية التى حددها لي يوسف . ذاهلة . مبخوعة لا اكاد اصدق ما حدث .

ما اشد الضرر الذى يصيب طبيعة الصغار والمراهقين الاصلية بفعل خطا التربية وسوء الفهم .

كما ذكرت من قبل . كانت اسرة عمى منغلقة على نفسها . اذا تحدثوا همسوا . او اغلقوا الباب . فلم نكن نعرف قط ما يدور بينهم .

اما اسرة ابي فقد انعكست طبيعة امي عليها . فكانت امورنا جميعا مكشوفة الوجه صريحة مشاعة ملكيتها لاسرة عمي وعمتي .

هناك التزمت والخفاء والسرية والصمت وهنا الانفتاح والعلن والعفوية والضجيج .

فلو ان ما وقع لي كان قد وقع لابنة عمى شهيرة لما علم احد منا بالامر . بل كان يعالج بسرية وكتمان محكم . اما وقد حدثت القصة لي فلم يكن هناك بد من قرع الطبول والاجراس بين عيون ومسامع كل فرد فى الدار . حتى النساء المساعدات فى الأعمال المنزلية .

وحملت عمتى وافراد اسرة عمى منظارهم المكبر لينظروا من خلاله الى الحادثة الصبيانية البريئة فيعطوها حجما اكبر من حجمها الحقيقى .

وشرعوا يسلطون علي نظراتهم المتشككة ويحملون عني افكارا جائرة . ومن هذا المنطلق راحوا يتعاملون معي .

وانزرعت فى نفسى الغضة الطرية فكرة سيئة عن هذه النفس . خلقت فى عادة السير وانا مطاطئة الراس لا اجرؤ على رفع عينى نحو وجوههم التى كانت تلقانى صباح مساء بالعبوس والكراهية . لقد شوهوني امام نفسي .

ولفت نظر خالتى الطريقة غير الطبيعية التى صرت اتخذها وانا امشي او اجلس واخذت . بحنوها المعهود . تطلب الى باستمرار ان ارفع راسي وامشي بقامة منتصبة .

• • •

عاد ابي ذات صباح الى البيت لبعض شانه وكنت اساعد امي فى ترتيب اسرة النوم . وحين رآني سال امى . لمـــــاذا لا تذهب البنت إلى المدرسة ؟ قال : تكثر فى هذه الأيام القصص حول البنات فمن الافضل وقد بلغت هذه السن ان تبقى فى البيت .

قال ابى . ا ..... حسنا . وخرج !

كان احيانا اذا اراد ان يبلغني امرا يستعمل صيغة الغائب ولو كنت حاضرة بين عينيه . كان يقول لامى : قولي للبنت تفعل كذا وكذا .. قولي للبنت انها تكثر من شرب القهوة . فلا اراها الا وهى تحتسي القهوة ليلا نهارا . وهكذا !

• • •

كان اشد ما عانيته حرماني من الذهاب الى المدرسة وانقطاعي عن الدراسة كانت اختي اديبة تجلس فى المساء لتحضير دروس اليوم التالى . تفتح حقيبة كتبها

● قطـــرة الـــــدم التي ربطـــت بيــــني وبـين أعـــز صديقـــاتي : "عـنـــايـــــة"!

● زهــــرة فـــل تحــــمل إلـيّ أول إحســــاس بـــالحُـــب



صورة نادرة من ارشيف الشاعرة فدوى طوقان

وتنشر دفاترها حولها ، وتشرع فى الدراسة وعمل التمارين المقررة .

وهنا كنت إهرب الى فراشي لاخفي دموعي تحت الغُطاء .

وبدا يتكثف لدي الشعور الساحق بالظلم .

احيانا كنت ادخل المطبخ ، واقف عند صفيحة (الكاز) وبيدى علبة الثقاب . لكنى كنت اخاف الالم الجسماني ولا اطيق تحمله . وهكذا كنت انصرف دون تنفيذ الامر ، وانا افكر بطريقة اخرى تكون اقل عنفاً من الاحتراق بالنار ..

كثيرا ما خطر لي تناول السم ، ولكن من ياتيني به ؟ هذا بالاضافة الى كونه يسبب آلاما شديدة قبل الموت . وكان هذا كافيا لتحويل ذهني عنه .

كان الانتحار هو الشيء الوحيد الذى يمكننى ان امارس من خلاله حريتى الشخصية المستلبة ، كنت اريد التعبير عن تمردى عليهم بالانتحار .. الانتحار هو الوسيلة الوحيدة ، هو امكانيتى الوحيدة للانتقام من ظلم الأهل .

لن يستطيع يوسف او غيره من افراد الأسرة ان يصدر علي حكماً بالحياة .. ساتركهم مبلبلين متعذبين ، نادمين . وهنا اقف قليلا لكن ، ماذا عن امي ؟

كنت اشفق على امي ، فقد كانت تقف بجانبى دائماً كلما وقع علي الظلم من احدهم . ولكنها بشخصيتها التى اضعفها القهر لم تكن لتستطيع ان تدفع عني امراً مقضياً .

خلال هذه الشهور الصعبة ظل يتردد علي حلم بالذات . كنت اراني اركض فى زقاق مظلم هرباً من عجوز يركض ورائي ، تشي سحنته بروح التعدي والاذى .

ولكن جداراً مسدوداً كان يحول دوني ودون الهرب ، فاتحول الى زقاق آخر لاجده مسدوداً كذلك . والعجوز يركض ورائي كوحش هائج وانا الهث رعباً وتعباً من الجري المستمر بدون توقف .

ثم استيقظ غارقة فى العرق لاهثة الانفاس . وصرت انفر من النوم خوفاً من الاحلام الضاغطة .

• • •

اما من الناحية الاخرى ، فقد تعودت على الانكفاء على النفس والغياب داخل الذات .

رحت اتحصن بالعزلة ، كنت مع العائلة ولكن حضورى كان فى الواقع غيابا الى ابعد حدود الغياب . وكان لي عالمى الخاص الذى لا يمكنهم اقتحامه . ولقد ظل هذا العالم موصداً امامهم ولم اسمح لاحـــد باكتشافه .

اخذت تتعاظم قدرتي على الانفصال عن عالم الواقع والاستغراق فى احلام اليقظة .. فمن خلال تلك الاحلام كنت انطلق خارج قضبان السجن واسوح فى الشوارع وحدى واسافر الى بلاد لا اعرفها ، والتقى بغرباء يحبونني واحبهم .

وكنت الغي دائماً وجود احد من اهلي خلال اسفارى الخيالية ، فاهلي هم سجني الذى اريد ان افلت من ابوابه المغلقة .

لم تكن قدرتى على الانفصال من عالم الواقع شيئاً جديداً . فمنذ طفولتى كنت اوى الى ظل شجرة فى الدار وامضي اركز نظري على إبهام يدي اليسرى ، دون أن يطرف لي جفن . كنت اركز النظر باستغراق كبير حتى اصل الى درجة يصبح فيها ابهام يدي وبالتالى يدى كلها غريبة عني ، خالية من كل دلالة او معنى ، شيئاً لا علاقة لي به اطلاقاً ، ثم اصبح انا نفسي غريبة عن نفسي ، واظل اكرر فى تفكيري الصامت هذا السؤال :

من انا ؟ من انا ؟ واردد اسمي فى تفكيرى عدة مرات . ولكن اسمى كان يبدو لي غريباً عني ولا يدل على اى شيء .

وهنا كانت تنقطع صلتي باسمى وبنفسى وبكل ماحولي ، واغرق فى حالة غريبة جداً من اللاحضور واللاشيئية .

فاذا رفعت بصرى عن ابهامى ونظرت حـــولي عـــدت إلى نفسي والى العـــالم الخارجى ، مغتبطة بامتلاكي القدرة على الخروج من نفسي بهذا الشكل الغامض ثم العودة اليها .

كانت العملية لعبة تسليني ، وحين حدثت امى عنها حذرتنى من العودة الى (هذا الامر) فقد يؤدى بي الى الجنون .

وافزعتني ملاحظة امي وتوقفت تماماً عن تركيز بصرى على ابهام يدى اليسرى ورحلة الغياب الغريبة .

فى تموز ١٩٢٩ عاد اخى ابراهيم من بيروت يحمل شهادته من الجامعـــة الامريكية ببيروت واستقر فى نابلس ليمارس مهنة التعليم فى (مدرسة النجاح الوطنية) .

ومع وجه ابراهيم اشرق وجه الله على حياتى .

كانت عاطفة حبى له قد تكونت من تجمع عدة انفعالات طفولية سعيدة كان هو سببها وباعثها .

اول هدية تلقيتها فى صغرى كانت منه .

اول سفر من اسفار حياتي كان برفقته .

كان هو الوحيد الذى ملأ الفراغ النفسى الذى عانيته بعد فقدان عمى والطفولة التى كانت تبحث عن اب آخر يحتضنها بصورة افضل واجمل وجدت الأب الضائع مع الهدية الأولى والقبلة الأولى التى رافقتها .

ان تلك الهدية بالذات ، والتى كان قد احضرها الى من القدس ايام كان تلميذاً فى مدرسة المطران ، تلك الهدية كانت اول اسباب تعلقي بابراهيم ذلك التعلق الذى راح يتكثف فيما بعد بصورة قوية .

● أغاني عبدالوهاب تضرب بجذورها في قلبي

● وصدر حكم أخي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي !

كان تعامله معي يعطيني انطباعا بانه معني باسعادي واشاعة الفرح فى قلبي ، لا سيما حين كان يصطحبنى فى مشاويره الى الجانب الغربي من سفح جبل عيبال .

كان ياخذ مجلسه على واحدة من صخور الجبل الكلسية ، ويسمح لي بالانطلاق بينما ينصرف هو الى التامل . اما انا فكنت امضى الى الشعاب القريبة ، واقفز كالمعزى من صخرة الى صخرة ، واتطلع حولي باحثة عن بقلة (الشمر) ذات الرائحة الزكية والتي كنت احب مذاق سيقانها الطويلة ، المستديرة ، الريانة ، كما كنت الملم باقة من زهر قرن الغزال وشقائق النعمان والبابونج ، وبين حين واخر كان ابراهيم يلتفت ويوصيني بالا اوغل بعيدا عنه .

كان فرحي بتلك المغامرات الصغيرة يتميز بخلوه من توقع عقاب الاهل ، فلقد كان الخوف ينغص علي دائما افراحي الصغيرة ، اما مع ابراهيم فقد كنت أشعر بالتحرر من كل المنغصات .

● ● ●

مع اقامة ابراهيم فى نابلس بدا سطر جديد فى حياتي .

اصبحت خدمته وتهيئة شئونه هدف حياتي ومصدر سعادتي المفقودة ، ارتب غرفته ، امسح الغبار عن رفوف كتبه وعن طاولته ، اهيء له كل صباح الماء الساخن لحلاقة ذقنه واحضره اليه .

فى تلك الايام لم تكن شبكة انابيب المياه موزعة على طوابق الدار العليا بعد ، فكنت انقل الماء مساء كل يوم واملا المغسلة التى كانت تقوم فى احدى زوايا الغرفة قرب الباب .

كما كان علي تحضير المائدة له فى اوقات وجباته كلها ، بكل هذا وسواه الزمت نفسي ، وكان يسعدنى انه اختصّني دون باقى اخواتى بالقيام بخدمته وتحضير شؤونه .

وتشبث قلبي بابراهيم تشبث الغريق بمركب الانقاذ .

على غير عادة رجال الأسرة ، كان يجلس معنا ـ نحن ، امه وشقيقاته ـ يبادلنا ـ الحديث ، ويحكي لنا عما جرى ويجرى من شؤونه الخاصة وبعض الشؤون العامة .

كما كان يروى لنا الطرائف الادبية والتاريخية مما يطالعه فى كتب (الاغانى) لابي الفرج الاصبهاني او (العقد الفريد) او كتاب (الحيوان) للجاحظ .

وكان بالنسبة لنا ينبوع حب وحنان ، يغدق علينا من عطائه ، ويمنحنا الكثير من وقته ومساعدته اذا لزمت المساعدة .

كنت اخاف عليه من الأذى والمرض ، واصبح همي تنظيف الارض والتقاط ما يلقى به أطفال الدار من بذور البرتقال او قشوره خوفا من ان يطاها ابراهيم فتزلق قدمه ويسقط فيصيبه الأذى .

اصبح هو وحده الهواء الذى تتنفسه رئتاى ، هواء الصحة والعافية النفسية . فقد كان حبه لي واهتمامه الخاص بي يضفيان علي شعورا انسانيا بالرضى .

يقول المتفائلون ان النفس كالنور لا يمكن افسادها . ولكنى اعتقد ان الانسان اذا استهلكه الهوان انقلب الى مخلوق مليء بالانحرافات ، الا اذا وجد انسانا يحبه ويدثره بالحنان . فالحنان عنصر اساسي فى الجو الذى يتم فيه النمو ، سواء فى البيت ام فى المدرسة .

ولا يمكن ان تتوفر الصحة النفسية السليمة بدون الحنان .

لقد كان ابراهيم المصح النفسي الذى انقذنى من الانهيارات الداخلية .

ان الطبيعة ضد الفراغ دائما ، وهي ترفضه ولا تتعايش معه . لابد للنفس من الامتلاء بشيء ما ، بالحب والخير او بالبغض والشر ، بالنوازع البناءة او بالنوازع التدميرية التى تتحول فى النهاية وتنقلب لتدمير الذات اذا لم تجد ما تدمره خارج الذات .

فى تلك الفترة القاسية من سني مراهقتي كانت يد ابراهيم هىحبل السلامة الذى تدلى وانتشلني من بئر نفسي الموحشة المكتنفة بالظلام ..

هامش

فى تقرير عن تاريخ الأبنية المدرسية فى نابلس ، يقول المربى الفاضل الأستاذ ابراهيم صنوبر : « انشئت فى العهد العثمانى المدرسة الابتدائية للبنين ـ مدرسة خان التجار ـ والطابق الارضى من المدرسة الغزالية (المكتب الرشيدى) ليدرس فيه الطلاب خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية . اما البنات فكن فى بناء مستاجر .

كما اقيم بناء المدرسة الرشادية الغربية ـ بالنسبة للسلطان محمد رشاد ـ وهى المدرسة الفاطمية حاليا ، وبناء المدرسة الرشادية الشرقية (الصلاحية القديمة) وكان مما جذب انتباهى عندما عينت مفتشا لمعارف لواء السامرة سنة ١٩٤٥ ان عدد الابنية الحكومية للمدارس بقى من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٤٥ على ما كان زمن الحكومة العثمانية وكان كل توسع يجرى فيها يتم فى ابنية مستاجرة اقيمت كمنازل لا كمدارس . وعيوب هذه الابنية انها ضيقة الغرف والملاعب ، قليلة الهواء والنور .

وفى سنة ١٩٤٥ اراد حاكم اللواء ان يكتب تقريرا مفصلا عن دائرة من دوائر لواء السامرة . فتوقف عند دائرة المعارف ليستوضح حقيقة الوضع . وقد فاجأته بعد سؤاله بما يلى : يقولون ان الاتراك قد دخلوا البلاد سنة ١٥١٧ على عربات تجرها الثيران كما خرجوا منها سنة ١٩١٨ على عربات تجرها الثيران ايضا .. ولكنهم قد خلفوا وراءهم فى مدينة نابلس اربعة ابنية حكومية للمدراس وحديقة البلدية ، وساعة المدينة ، والمستشفى الوطنى . اما انتم فلم تقوموا ببناء غرفة واحدة طوال ٢٧ عاما .. اي من ١٩١٨ الى هذه السنة ١٩٤٥ . والذى اخشاه ان ترحلوا عن هذه البلاد دون ان تتركوا فيها اي اثر ثقافى يذكر الناس بكم .

وكان الكلام شديد التاثير عليه ، حتى انه لم يكد يصدق الخبر . وقال انه سيكتب تقريرا سريا للمندوب السامى يشرح فيه هذه القضية . وطلب منى فى الوقت ذاته ان احث اغنياء المدينة على القيام بانشاء ابنية للمدارس كما يفعلون فى بلاد الانجليز .

وكان جوابى هو ان الاغنياء فى المدينة ليسوا فى غناهم من النوع المعروف عندهم فى الغرب .

بقية المذكرات
العدد القادم

أوراق خضراء

الكلمة الحية لاتموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● العربية والعبرية ●● اللغة والقوالب الموروثة
●●● الاغتياب .. هذا المرض المستعصي من أمراض النفس الإنسانية !



بقلم: الدكتور زكي مبارك

لقد قضيت نحو خمسة عشر عاماً وانا ادعو إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى كليات الجامعة المصرية ، فكان المتخلفون من اساتذة العلوم يعتلون بان اللغة العربية تعوزها المصطلحات فى كثير من الشئون ، وظلوا على تهاونهم الى ان كتب معالى الدكتور هيكل باشا الى سعادة مدير الجامعة يقول : إنه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تادية المعانى العلمية ، وكانت تلك الاشارة كافية لأن يعرف اساتذة الكليات ان تدريس العلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل ، وكانوا يرونه قبل ذلك ابعد من المستحيل !

لقد قضت الجامعة المصرية اعواماً طوالا وهى تدرس العلوم باللغات الاجنبية ، ولم تعرف وجه الحق فى إعزاز اللغة القومية إلا بعد ان ينبهما وزير المعارف ، اثابه الله وجزاء خير الجزاء !

فهل يعلم الذين قاوموا الفكرة هذه الفكرة من قبل ان الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغة العبرية مع أن لغة بنى اسرائيل ليس لها ماض فى خدمة العلوم ، ومع ان النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عن أغراضهم بلغات اجنبية ، ولم يفكروا يوماً فى خلق عصبية للغة العبرية قبل فكرة الصهيونية ؟

اللغة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهى فى فقر مدقع ، أما اللغة العربيةة فتعجز عن تدريس العلوم مع انها كانت لغة دولية فى مدة دامت نحو خمسة قرون ، ومع انها استطاعت ان تحفظ الذخائر مما خلف الفرس واليونان !

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لان اليهود ارادوا ان يخلقوا لانفسهم ذاتية قومية ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد .

أما اللغة التى يتكلمها اقوام يشارفون مئة مليون والتى امدت بحيويتها كثيراً من اللغات الشرقية ، والتى تنزل فى انفس الملايين منزلة التقديس ، والتى تحتل اقطاراً حملت اعباء المدنية فى مختلف عهود التاريخ ، والتى خدمت خدمة لم تظهر بمثلها لغة من لغات الشرق او لغات الغرب ، والتى عجز الدهر عن تبديد ما تملك من ذخائر ونفائس ، والتى سخر الله لخدمتها مئات من الاجانب فى الجامعات الاوربية والامريكية .

هذه اللغة الفنية ــ لغة العرب ــ هى اللغة التى يقال إنها تعجز عن تادية الاغراض العلمية ، بفضل حذلقة السادة الافاضل الذين برون فى تجريحها باباً من الشهرة والنباهة وبعد الصيت !

اللغة والقوالب الموروثة





بقلم إبراهيم عبد القادر المازني



كنت ذات يوم اكتب رسالة إلى صديق فجرى القلم بهذه العبارة المالوفة : « ومما زاد الطين بلة .. » وهممت بان امضى فى الكتابة ثم رددت نفسى والقيت القلم ونهضت إلى الشرفة ورحت ادخن وانظر إلى الناس . ولكن النظر إلى الناس لم يكن همى ولا كان كل شغلانى ، فقد كنت احادث نفسى واحاورها واقول لها إن عبارة « زاد الطين بلة » ليست هى الوحيدة التى ورثناها فى جملة ما ورثنا من لغتنا وقد صارت على الأيام « كليشيها » او قالباً مصبوبا نستعمله فى الحديث والكتابة من غير أن نفكر فى الصورة التى يرسمها هذا « الكليشيه » الموروث الذى يغرينا به ان الجرى على العادة اسهل واقل عناء .

وقد نبتت هذه العبارات الموروثة فى زمان كان زمانها — أعنى انها كانت فى الزمن الذى اخرجها وثيقة الصلة بمظاهر الحياة ، وكانت تحدث فى ذهن مستعملها صورة تحصل بلا عناء وترتسم بغير جهد . ولكنها الآن قد امتد بها العمر إلى زمان آخر مختلف جداً ولم تبق لها تلك الصلة القديمة بحياة العصر ولسنا نحس حين نستعملها أنها ترسم لنا صورة ما .

وسالت نفسى : « وهل ثم ضرر من استعمال هذه القوالب الموروثة؟ » وهززت كتفى ومططت بوزى — فعل المتردد الذى يحاول أن يهتدى او ان يتقى التورط فى رأى يجزم به . وبدا لى — وانا افكر فى هذا السؤال — ان الضرر لا يجيء من استعمال هذه القوالب ، بل من الاقتصار على استعمالها ، أى دون العناية بجعل لغتنا صورة لحياتنا . واحسب ان لابد من اتخاذ هذه القوالب إلى حد ما . وكل لغة قديمة — ولا سيما إذا كانت قد ركدت زمناً ما —

تصبح عبارة عن مجموعة من القوالب ، ولكن اللغة الحية لا تزال تتسع بما يدخل فيها ويضاف إليها من العصور التى تتعاقب عليها . وحياة اللغة مستفادة من حياة أهلها ولا ذنب لها إذا جمدت وإنما يكون الذنب لهم ، فاذا رأيت أناساً من ابناء عصر حديث له مظاهر حياة جديدة يكتبون بلغة قديمة فى قوالبها — اى كالتى كان يكتب بها من سبقوهم بعشرة قرون او عشرين قرناً بلا اختلاف ومن غير ان يحدثوا فيها جديداً يدل على انهم تأثروا بعصرهم — إذا رأيت ذلك فاعلم ان هؤلاء اناس متخلفون وانهم اشبه بالآثار الباقية منهم بالأحياء ، وان الأدب واللغة لا يكسبان شيئاً بهم سوى زيادة الجمود إذا كان هذا مكسباً .

وغير منكور اننا لا نستطيع ان نفكر إلا بالألفاظ . وقد يجيء زمان يستغنى فيه المرء عن الاستعانة بالألفاظ على التفكير بل انا أؤمن بان هذا الزمان لا محالة آت وان الانسان سيستغنى عن الكتابة والكلام فى نقل ما يدور فى نفسه من المعانى والخواطر والآراء والاحساسات إلى آخر ذلك — إلى نفس اخرى ، ويكتفى بارسال موجات يتلقفها غيره ويترجمها كما ترسل محطات الاذاعة موجاتها فتتلقفها آلات الراديو . ولكن إلى ان يجيء ذلك الزمان الذى يتيسر فيه الاتصال اللاسلكى بين نفوس الأفراد لا يسعنا إلا ان نفكر بواسطة اللفظ . فاللغة لا تزال اداة التفكير الذى لا نعرف له سواها ، فاذا ظلت لغة من اللغات جامدة لا تتغير قوالبها ولا تتجدد ولا يدخل عليها جديد ولا يحدث فيها طريف ولا يؤثر فيها كر العصور ولا يترك فيها مر هذه العصور آثاراً من حياتها فان معنى هذا يكون أن ابناء هذه اللغة يفكرون على نحو ما كان يفكر ابناء زمان متوغل فى القدم فهم يعيشون باجسامهم فى عصر ولكنهم بعقولهم يعيشون فى عصر مضى وانقضى وانقرض واندثر .

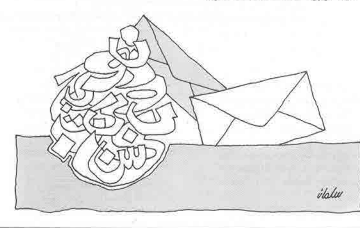
وقد يكون العصر الماضى جميلا ولعل كل ما فيه كان حميداً ولكنه زال وجاء غيره بمظاهر حياة واساليب تفكير وآمال ومخاوف وآداب وعادات مختلفة . فكيف لا يظهر هذا فى لغة الكتابة والكلام ؟ .. وكيف يعقل ان تظل القوالب لا تتجدد ولا تتغير ولا تطرأ عليها زيادة من العصر الحاضر المؤثر بوجوده ؟؟ أيكون ذلك من الكسل ؟ أم هو من ضعف التأثر بهذا العصر ؟ أم ترى الأحياء فيه جثث محنطة لها وجود ولكن ليس فيها حياة ؟

ورأيتنى وانا افكر فى هذا أسأل نفسى سؤالا لا يخلو من غرابة « أترانى أشبه أبى ؟ » وضحكت لما قلت ، وقلت بالطبع أشبه أبى ! . ما هذه السخافة ؟ .. وكيف استطيع الا اشبهه ؟ على انى لم أكن أعنى المشابه العادية التى تكون بين الآباء والبنين فان معمل الطبيعة لا يدعى ما تدعيه مصانع السيارات من إخراج طراز جديد فى كل عام لا شبه له ولا صلة بطراز العام السابق ، وإنما اعنى هل انا احور شيئاً فشيئاً حتى اصبح صورة طبق الأصل من هذا الأب الفاضل ؟؟ وناديت زوجتى وسألتها « أين صورة الوالد المحترم ؟ » فقالت : « إيه ؟ .. الوالد المحترم ؟ .. اى والد ؟ » .

فقلت وانا أضحك : « وهل لى غير والد واحد ؟ . إن كنت تعرفين لى غيره فقولى ، ولك الأمان ، ورحم الله الوالد والوالدة جميعاً » فقالت : « لا تمزح هذا المزح .. عيب .. وإنك لتعرف أنى أسألك عمن تعنى — والدك أم والدى ؟ » فقلت : « كلا ، لا حاجة لى بأبيك .. ولا بأبى أيضاً فى الحقيقة ، ولكنى اريد أن أراجع صورته او على الأصح أن تراجعيها انت » فجاءت بالصورة وهى غير فاهمة ، فقلت : « تأمليها وتأمليني . إنهما منظران ليس فيهما سرور لأحد ، ولكن تجلدى .. فهل ترينني مثله ؟ .. هل لو ليست مثل هذه السترة الاستامبولية ، وهذا الطربوش الطرى ، وتركت شاربيّ ينبتان ويطولان ، ويتهدلان ، ودخلت عليك فى ضوء خافت ، تظنيننى أبى ، نفض عنه كفنه وخرج من قبره ، أو تحسبيننى على الاقل عفريته ؟ » .

فقالت : « لا أدرى لماذا هذه المقارنة ولكنى اقول إن فيك منه مشابهة .. كثيرة .. ولكنك مختلف .. حتى النظرة مختلفة .. نظرته نظرة رجل حليم كريم وديع اما انت .. » فصحت بها : « احترسى ! .. ليست هذه فرصة لبسط لسانك الطويل فى .. » فقالت : « لا .. ولكن الحقيقة ان نظرتك مختلفة .. فيها شيء آخر .. الشبه موجود ولاشك ، والذى يراكما يعرف ، وإن كان لا يعرفكما ، انه لابد ان يكون أخاً أكبر ، او أباً او جداً ، على التحقيق .. ولكن هناك اختلافاً لا ادرى كيف أصفه » قلت : « لا تتعبى نفسك .. يكفى انى مختلف .. ولو كان حياً لاستطعت ان اتبين فى اى شيء من الحقائق المطوية نختلف .

١٩٣٩



الاغتياب

هذا المرض المستعصي من أمراض النفس الإنسانية !



بقلم : عبدالرحمن شكري

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب اغتيابا إلا إذا كان قد اتى من غيره فى حقه او فى حق عزيز عنده او مرضي عنه لديه . اما إذا اتى الاغتياب من غيره وقصد به انتقاص غير عزيز عنده أو مرضي عنه ، أو إذا كان هو الذى يغتاب فانه لا يعد الاغتياب فى هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإظهار النقص ومحاربة للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر .

وهكذا تتغير حقائق الامور حسب اهوائه . وبذلك يسيطر على ضميره ويخدع ضمائر الناس . فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة ، اما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها . وهو إذا اغتابه احد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل ومحاربة للنقص كما يعد الاغتياب الذى يجيء من نفسه فى حق الناس .

وكثيرا ما يلجا المغتاب إلى اساليب عجيبة كى يقبل اغتيابه فيقول : إنى لا اريد ان انتقص فلانا او ان اذمه فانه رجل فاضل ، ثم يغتابه بما لا يترك له فضلا ولا فضيلة . وقد يمدح عمل الرجل فى صنعته كى يقبل الناس ذمه له فى اخلاقه وذلك لان الفضل فى العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذى يستطيع ان يزن فضل القول او العمل فى الصنعة او المهنة . اما فضل الاخلاق فاكثره غير مكتوب فى طرس ولا مرصوف فى بناء ولا منحوت فى تمثال حتى يزن الوازن فنه ولونه وحقيقته ، بل اكثره وديعة فى نفوس الخلطاء او من ليسوا بخلطاء ولا عشراء إذا كان المرء معروفا بالذكر عند من لا يعرفه فى حياته الخاصة . والخلطاء قد لا يؤدون الامانة وافية ولا الوديعة غير منتقصة وغير الخلطاء إنما يحكمون بالصدى .

وكثيرا ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح

إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه او لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذى يريد إثارة شره ، او قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل ان يستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذى يغتابه المغتاب ، وقلما يجرؤ احد الناس إذا سمع ذما لغائب او شبه غائب على رفض الذم وتزكية المذموم خشية ان يعد الناس مدحه للمذموم مشاركة له فى نقصه الذى ذم به ، فترى اكثر الناس إلا من ندر إذا اغتاب إنسان إنسانا يسرعون إلى إظهار تصديقهم قوله خشية ان يعدوا مشاركين للغائب المذموم إذا كذبوا مغتابه . وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من اهل الخير ، وإن كانوا من ابعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب للحقد ، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لأنفسهم ، وكل إنسان به شيء قليل او اكثر من الجبن او الخوف او الحذر فيخاف إذا لم يعاون المغتاب على اغتياب الغائب ـ واقل المعاونة المعاونة بالسكوت والانصات والابتسام والاقبال ـ ان يعد مشاركا للغائب فيما اغتيب به . وإذا كان هذا شان اهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس .

واكثر الناس يجدون فى انفسهم لذة ومسرة ـ إما قليلة تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإما لذة عظيمة ـ إذا سمعوا ذما لانسان . واقل اسباب هذه اللذة واظهرها ان الذم لم يقع بهم بل بغيرهم فيسرون لنجاتهم من الذم بوقوع الذم بغيرهم كما يسرون من اجل ان ذم غيرهم بالحق او بالباطل إذا سمعوه او قالوه يزيدهم عظمة عند انفسهم فيشعرون انهم صاروا اعظم من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل ، فالذم كالجمر كل يريد ان يلقيه على غيره . فاذا احس السامع فى نفسه انه احق بذلك الذم الذى اغتاب به المغتاب غائبا اسرع فى معاونة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن المغتاب وكيلا يلحظ من عينيه انه احق بالذم من الغائب .

ومن اجل ذلك يكون الاغتياب اشيع ما يكون بين اهل النقص الحقيقين بالذم الذين يخفون من اسرار انفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفا من ظهوره فيندفعون إلى الغيبة من الخوف ، كما قد يقبل الارنب من خوف إلى الثعبان ، او كما قد يقبل الهر من خوف إلى الأسد . وهم قد يندفعون فى نقصهم ويهونون على انفسهم النقص بذلك .

وقد يصرح المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفى بالتلميح فى تهديده فيقول : لا يدافع عن اهل الرذيلة إلا من كان من اهل الرذيلة ، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب ، وربما صار من خوفه اشد شرها فى الاغتياب من ذلك المغتاب الذى هدده إذا لم يقبل منه قوله .

وقد تجتمع فى نفس السامع اسباب الاغتياب كلها ، بل إن الخوف من مشاركة الغائب المهجو فى الذم قد يجعله السامع عذرا لنفسه إذا وجد لذة فى الشر والانتقاص ، وإيقاع الأذى بغيره بمعاونة المغتاب ، فبعد ان يكون قبوله الاغتياب والمعاونة عليه خوفا يصبح القبول وتصبح المعاونة لذة فى إيقاع الأذى وتعاظما بانتقاص غيره ، فترى ان اقل اسباب قبول الغيبة إثما واظهرها شكلا يسوق النفس إلى اكثر اسباب قبول الاغتياب والمعاونة عليه إثما ، وإلى اخبثها اصلا فى النفس . وهذا من عجائب النفس الانسانية التى فى اول امرها قد تتحرج من اقل الخبث والشر ، فاذا قبلته مكرهة كارهة قد لا تتحرج فى ان تجد لذة فى اشد الشر والخبث .

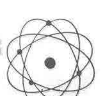
والخوف من مشاركة المذموم فى الذم سنة عامة قد تتخذ شكلا مضحكا . فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون فى مودة وصفاء ثم يرون على قرب منهم اثنين يتضاحكان ، وقد يكون تضاحكهما لامر لا صلة له بهم ، ولعل ذكرهم لم يمر على لسان المتضاحكين ، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التى تتحدث فى مودة وصفاء ان تضاحك المتضاحكين منهم او من احدهم فيبتسم كل منهم كى يوهم اصحابه وجلساءه انه واثق فى سريرة نفسه انه غير مقصود بضحك المتضاحكين . وقد يكون ابتسامه مخلوطا فى شكله بمظاهر الخوف والارتياب، فيتخذ ابتسامه شكلا مضحكا حقا . اما إذا استطاع ان يخفى ما فى سريرة نفسه من الارتياب والخوف فانه يقنع جلساءه ان تضاحك المتضاحكين على مقربة منهم ليس سخرا به بل باحدهم وقد ينظر مبتسما إلى جليس كى يوهم جلساءه ان المتضاحكين إنما يسخران بهذا الجليس الذى ينظر إليه فهو يتوقى السخر الموهوم بالصاقه بجليسه كى يقي نفسه من ان يظن موضوع اغتياب المتضاحكين . وهذه ظاهرة مشاهدة فى الناس وقد قال احد الادباء الماكرين :

إذا رايت إنسانا فى جماعة على مقربة منك وارتبت فى انه يغتابك فماعليك إلا ان تختار صديقا او جليسا يجيد الضحك ثم حدثه حديث فكاهة يثير ضحكه ولا علاقة لحديثك بالانسان الذى ترتاب فى انه يغتابك فاذا اكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه اثناء الحديث والضحك ارتاب ذلك الانسان ايضا فى انك تذكره بسوء . بل قد يتذعر بعض جلسائه خشية ان يكون هو المقصود بالضحك فينصرفون عنه ، وقد يسعون إليك مبتسمين إذا كانوا يعرفونك كى يوهم كل منهم الآخر انه واثق فى سريرة نفسه انه ليس مدعاة للسخر والضحك ، وإنما يكون انفضاضهم عن ذلك الانسان على صوت ضحككما كانفضاض قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير معبا بما يميت .

وهذه الحيلة ليست من مكارم الاخلاق وربما الجا إليها الظن المخطىء، وربما لا تستطاع إلا بشيء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على اى حال من اخلاق الناس ومشاهد الحياة .

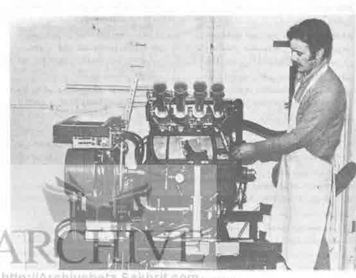
والمغتاب الذى لا يستطيع الناس ان يجدوا سببا لحقده على من يغتابه اكثر المغتابين نجاحا فى الاغتياب ، ومن اجل ذلك يحاول المغتاب الماكر ان يخفي سبب حقده وكرهه ، وقد يكون السبب بطبعه بعيداً عن الأذهان ، وقد يكون المغتاب نفسه غير فاهم سبب حقده الذى يخامر نفسه كل الفهم ، واخلق بهذا السبب الا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه .

عبد الرحمن شكرى
١٩٣٩



تقديم : لبنى الريدي

محرك للسيارة من البلاستيك



هذا المحرك صنع من البلاستيك

يمثل الوزن العدو الأول لمصممي السيارات ولذلك فهم يحاولون استبدال استخدام المواد المعدنية الثقيلة باخرى بلاستيكية . وكانت صناعة السيارات قد استخدمت هذه المواد البديلة فى الهيكل الخارجى فقط ولكن لاول مرة تدخل المواد البلاستيكية فى صنع محرك السيارة .

ففى احدى ورش نيوجرسى بالولايات المتحدة تجرى تجربة اغرب محرك سيارة مصنوع من البلاستيك فهو محرك أربعة سيلندر سعته ١٩٩٢ سنتيمتر مكعب . ويستعد مبتكره لاستعماله في احدى سيارات السباق تمهيدا لاستخدامه بعد ذلك فى السيارات العادية . ويزن هذا المحرك البلاستيكى ٨٠ كيلو جراما فقط اى نصف وزن اى محرك تقليدى مصنوع بالكامل من المواد المعدنية .

ويتكون هذا النموذج من ٩٠٪ من مواد مركبة مثل الياف الكربون والياف الزجاج وبعض المواد البلاستيكية الاخرى . ويتميز هذا المحرك بالاضافة الى خفة وزنه بانه يحدث ضوضاء اقل بنسبة ٣٠٪ فالرنين من البلاستيك اقل بكثير منه من المعادن . وتبلغ قوة المحرك الجديد ٣١٨ حصانا محققا ١٤٠٠ لفة فى الدقيقة .

ولكن يعيب هذا المحرك ان البلاستيك من المواد التى لا تقاوم الحرارة العالية التى تصل الى ١٥٠٠ درجة مئوية فى غرفة الاحتراق والى ٥٠٠ درجة مئوية فى مجمع غاز العادم مما يهدد بانصهاره . وبالتالى فهو يحتاج الى نظام تبريد ضخم . اما المشكلة الثانية التى تواجه تصنيع مثل هذا المحرك بشكل تجارى،ان تجمعه لا يتم إلا يدويا .

ولذلك فبالرغم من تشجيع صناع السيارات الامريكية لهذا المحرك فان الفرنسيين واليابانيين يبدون تشككهم فى قدرته ويفضلون استخدام السيراميك على البلاستيك .

الكمبيوتر والهوية الصحية



وضع الباحثون والاطباء فى المركز القومى الأمريكى للصحة نظاما متكاملا لتقييم الحالة الصحية لاى شخص . ويلعب الكمبيوتر الدور الرئيسى فى هذا التقييم .

يبدأ النظام بان يملا الشخص استمارة بها اسئلة عن عاداته الحياتية وعن حالته الصحية العامة والتاريخ الصحى لأسرته ثم يتولى الكمبيوتر الباقى . فيقوم بحساب عمره الظاهرى أى العمر الذى تحدده عدة ثوابت طبية وصحية . ويخرج له الجهاز هوية فسيولوجية تمثل تشخيصا حقيقيا لحالته الصحية ؛ فهو يستطيع اكتشاف أن الجسم يبدو اكبر من السن المسجل فى شهادة الميلاد بخمس سنوات مثلا .

كما يحدد الكمبيوتر احتمالات الأمراض التى قد يتعرض لها صاحب الاستمارة ، وهى ١٢ احتمالا مثل التهاب المفاصل وتليف الكبد والازمة القلبية الخ ..

ويصاحب تقييم الكمبيوتر بعض النصائح الصحية التى تساعد على كسب بعض السنوات كما يطالبه بتغيير العادات غير الصحية مع توضيح السبيل الى ذلك .



مولد كهربى للقلب

مولد إلكتروني للقلب

يساعد منظم القلب الاف المرضى الذين يعانون من اضطراب دقات القلب وانخفاض عددها عن المعدل الطبيعى بحيث استطاعوا ان يعيشوا حياة طبيعية وخلال السنوات الثلاث الاخيرة اجرى الباحثون الامريكيون تجارب ناجحة على مولد الكترونى متطور يتم زرعه جراحيا فى صدر المريض . ويمثل الجهاز الجديد انقاذا لحياة المرضى المعرضين للاصابة بازمات قلبية فهو يقوم اتوماتيكيا بعمل جهاز الصدمات الكهربية الذى يثبته رجال الاسعاف على صدر المريض عند حدوث ازمة قلبية .

ولا يزيد حجم هذا المولد الاتوماتيكى عن حجم الكف ، ويزرع اعلى بطن المريض وبحيث يمتد منه قطبان الى القلب . وترصد هذه الاقطاب اى اضطراب خطير فى دقات القلب ليقوم مولد النبضات بارسال مجموعة سريعة من الصدمات الكهربية التى تدفع القلب مرة اخرى الى ايقاعه الطبيعى وبالتالى يتم تفادى حدوث ازمة قلبية قد تودى بحياة المريض .

وبتجربة هذا الجهاز على خمسين مريضا ، انخفضت نسبة الوفيات المتوقعة من ٦٠٪ الى ٢٠٪ .

ويعتقد الأطباء ان الجمع بين هذا الجهاز ومنظم القلب سوف يؤمن للمريض ما يحافظ على عمل القلب بشكل طبيعى لحظة بلحظة ، ويتدخل بعلاج حاسم فى لحظات الخطر .

الجامعة الإلكترونية

يعتبر العلماء الكمبيوتر الة تعليمية ويتمنون اليوم الذى ينتشر فيه استخدام الكمبيوتر فى الجامعات . ولذلك فكر فريق منهم فى اقامة اول جامعة الكترونية .

وتم فى الشهر الماضى تصميم نظام للتعليم عن بعد والشبكة الخاصة به . ويتضمن هذا النظام ١٧٠ برنامجا دراسيا من برامج الجامعة . ويستطيع الالتحاق بهذه الجامعة اى مواطن فى الولايات المتحدة شريطة ان يكون لديه جهاز كمبيوتر وجهاز تليفون .

ويستطيع الطالب استقبال الدروس والامتحانات فى بيته مباشرة وفى مختلف فروع العلم ابتداء من اصول الموسيقى الى إدارة الأعمال والمحاسبة ، مرورا بعلوم البحار . ويعمل هذا النظام ٢٤ ساعة فى اليوم . وبامكان الطالب اذا استخدم تقنيات البريد الالكتروني الاتصال بالمدرسين الذين يستخدمهم نظام التعليم عن بعد .

ويتميز هذا النظام بان جهاز الاتصال الخاص به يعمل على ادخال المعلومات مباشرة الى ذاكرة الكمبيوتر الشخصي فى منزل الطالب وبالتالى يستبعد الاتصالات الهاتفية الطويلة والمكلفة التى يتطلبها نظام خدمات بنوك المعلومات .ويتيح هذا النظام للطالب تشغيل الجهاز لاستقبال ودراسة الدروس دون الحاجة الى الالمام بلغة من لغات البرمجة الخاصة بالكمبيوتر .

عندما يركع الباص

فى السنوات الاخيرة زودت وسائل النقل العامة فى الدول المتقدمة بمنصات هيدروليكية لتسهيل عملية الصعود والنزول للمعوقين الذين يستخدمون المقعد المتحرك . وفى هذا المجال ابتكرت احدى الشركات الأمريكية باصا جديداً مزودا بنظام نوابض يمكنه من خفض جسم السيارة ككل لتصل الى مستوى رصيف المحطة بحيث يستطيع المقعد الصعود أو الهبوط بسهولة اكبر . ولكى يركع هذا الباص وضعت اكياس هواء بين محور العجلات وهيكل الباص . وعندما يتوقف السائق عند رصيف المحطة يضغط على ازرار ليفرغ اكياس الهوء بحيث ينخفض ارتفاع الباب الخلفى ليصبح اعلى من الشارع بثلاث بوصات فقط ، اما الباب الامامى فلا يتجاوز ارتفاعه سبع بوصات .

وتنتفخ اكياس الهواء مرة اخرى عند استعداد الباص للتحرك ، ويرتفع جسم الباص الى مستواه العادى وهو ١٢ بوصة وسوف يتم تصنيعه مع بداية الربيع القادم .

شكل جديد للآلة الكاتبة



الآلة الكاتبة الجديدة

اذا كان عملك يضطرك الى استخدام الآلة الكاتبة بينما انت لا تحب استعمال لوحة مفاتيحها فاننا نقدم لك هذا الشكل الجديد للآلة الكاتبة . فهى لا تضم سوى خمسة مفاتيح للكتابة ومفتاحين للتشغيل . وروعي فى تصميمها ان يكون توزيع هذه المفاتيح متماشياً مع شكل اليد بحيث لا تتطلب الكتابة عليها سوى استخدام يد واحدة فقط . وتعطى هذه المفاتيح الخمسة كل ما تحتاجه من تركيبات للكتابة . فمخترع هذه الآلة الكاتبة نسخ عليها رواية كان قد الفها .

كما لا تحتاج الى تدريب طويل لاستخدامها،اذ يكفى ساعتين فقط لتعلم كيفية استعمالها . ويمكنك اصطحابها الى كل مكان تذهب اليه فهى تعمل بالبطارية . وهى مزودة بنافذة لمتابعة ما تكتب،ويمكن توصيلها ايضا بجهاز كمبيوتر وبشاشة تليفزيونية .



لقطات من فيلم كارمن .. لبطلة الفيلم .. ثم لمساعدة المدرب تحاول ان تدرب الفتاة على دور كارمن .. واللقطة الاخرى لمصمم رقصــــات كارمن فى دور المدرب

سينما

دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية

رءوف تــوفــــيق

تظل كلاسيكيات الأوبرا .. رصيداً خصباً وموحياً لكل عشاق الفن ، الباحثين عن الاصالة والمتعة .

وفى زحام الحياة المعاصرة .. وتناقضات السياسة .. وطرقعة السلاح .. واصداء التهديدات والتحذيرات .. ومرارة الأزمات والانهيارات .. لم يكن غريباً ـ هذا العام ـ ان يلجأ أربعة من كبار مخرجى السينما فى العالم ، الى حضن الأوبرات التى عاشت على مر الأجيال .. وكانهم يحتمون بداخلها من قسوة الواقع ، وتلاحق الأحداث .. وفى نفس الوقت ، يجددون انفسهم .. ويبعثون الجمال على الشاشة .. ربما ليغسلوا عيون المتفرجين من مشاهد العنف والدم والشذوذ ، التى امتلات بها اغلب الأفلام اخيراً ! .



أزياء العصر الذى جرت فيه احداث الأوبرا الشهيرة



أعاد المخرج الايطالى فى فيلمه الزمن إلى الوراء فى الملابس والديكورات





المجموعات الضخمة التى استخدمت فى هذا العمل السينمائى الكبير

« كارمن » ذات الرداء الأحمر .. كما تخيلها المخرج

إن التزاوج الصعب بين فن الاوبرا وفن السينما .. مسألة صعبة ودقيقة ، لم يجرؤ على خوضها الا عدد قليل من المخرجين الذين تمكنوا من أدواتهم السينمائية .

واستطاعوا أن يفجروا ملامح الجمال والقوة فى هذه الأوبرات .. من هؤلاء المخرجين ،السويدى « انجمار برجمان » فى فيلم « غناء الفلوت » ، والانجليزى « جوزيف لوزى » فى فيلم « دون جيوفانى » والالمانى « هانز سيبربرج » فى فيلم « بارسيغال » الذى قدم هذه الاوبرا لريتشارد فاجنر فى فيلم مدته اربع ساعات وثلث ساعة !

وربما كان انجح هذه المحاولات جماهيرياً هو فيلم « دون جيوفانى » للمخرج الذى عرفته السينما الانجليزية والامريكية ، وواحداً من أشهر المخرجين الذين عالجوا فى أفلامهم ظاهرة العنف والعلاقات الانسانية المعقدة بالمجتمعات الحديثة .

وفى اوائل هذا العام ـ ٨٣ ـ قدم المخرج الايطالى الشهير « زيفاريللى » اوبرا « لا ترافياتا » فى فيلم يحمل نفس العنوان .. ويتدفق بالحيوية والجمال والثراء الفنى .. حيث تتابع الصورة فى ايقاع ناعم وسريع ، مستفيدة من كل امكانيات الشاشة العريضة ، واحدث نظام للصوت المجسم .. وهكذا تتلاقى المتعة البصرية مع المتعة السمعية فى لحظات من الفن الخالص الذى يسمو بالمشاعر ..

تعويذة الحظ

ولكن يبدو ان اوبرا « كارمن » هى تعويذة الحظ .. فى السينما هذا العام ..



دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية



المدرب يعطى تعليمـــاته للراقصين





المدرب والراقصة التى تلعب دور كارمن فى لقطات متتابعه

فقد قدم المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » هذه الأوبرا فى مزج رائع ومدهش مع الرقص والايقاع الأسبانى فى فيلم يحمل نفس الاسم « كارمن » .. وحصـل هذا الفيلم على جائزة احسن اسهام فنى من لجنة التحكيم فى مهرجان « كان » هذا العام .. وايضا على الجائزة الكبرى للجنة الفنية العليا للسينما الفرنسية .

ثم قدم المخرج الفرنسى الكبير « جان لوك جودار » فيلماً استعرض قصته من أوبرا كارمن وتدور احداثه فى الزمن المعاصر .. ولكن على موسيقى بيتهوفن ..

واختار لفيلمه عنوان « اسم الشهرة .. كارمن » .. وحصل الفيلم على الجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا هذا العام .

واخيراً .. انتهى المخـــــرج الايطالى « فرانشيسكو روزى » من تصوير احـدث افلامه « كارمن » .. مجسداً احداث الاوبرا فى عمل سينمائى ضخم ، كل التوقعات تتنبىء بانه سيكون واحداً من اهم افلام عام ٨٤ .

ما هو سر « كارمن » ؟

وهذا التهافت الواضح على اوبرا كارمن .. لابد ان يثير تساؤلا لماذا هذه الاوبرا بالذات التى توقف عندها كبار مخرجى السينما ؟ ،فكلنا نعرف ان السينما العالمية والأمريكية بالذات ، قدمت عدة معالجات ماخوذة عن اوبرا كارمن ، وهذه الافلام كانت على مستوى جيد رشحها لأن تصبح من كلاسيكيات السينما التى لاتنسى .. اى ان « الموضوع » لم يعد جديدا لكى يفكر احد فى اعادة تقديمه مرة اخرى .. وخصوصاً فى سنوات الثمانينات التى تشهد قمة الصراع بين الدول الكبرى .. وقمة المأساة بين الدول الصغرى . . !

ولكن .. ربما لهذا السبب بالذات .. تعود « كارمن » لتلح على التفكير .. لما تميزت به من خطوط واضحة ومحددة عن الحب والغيرة والشهوة والموت .. وكما يقول المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » ، — « ان قصة كارمن هى قصة تسلط فكرة ما ، واستحواذها على الفرد لتتحكم فى كل مشاعره وتصرفاته .. إنها قصة عاطفة مستبدة .. وهى القصة الخالدة للحب والكراهية » . . !

كارمن .. فى الأوبرا

واوبرا كارمن .. كتبها « بروسبر ميريميه » وصاغ موسيقاها جورج بيزيه (عام ١٨٧٥) .. وتحكى عن هذه الفتاة المتدفقة بالحيوية والجمال والتى تعمل فى مصنع للسجائر .. وتقع فى حب ضابط شاب (دى جوزيه) الذى تحبه امراة اخرى .. وتشتعل معركة بين كارمن واحدى زميلاتها فى المصنع وتتسبب كارمن فى اصابتها بوجهها .. ويأتى الضابط (دى جوزيه) ليلقى القبض عليها ولكنها تنتهز الفرصة لاغرائه .. وتنجح فى الايقاع به .. فيفك قيدها .. وتهرب ضاحكة .. ويلقى (جوزيه) عقابه شهرا بالسجن لتمكينه (كارمن) من الفرار ! .

وتعيش هى لاهية ترقص وتغنى .. ويخرج (جوزيه) من السجن وقد غرق لأذنيه فى حب كارمن .. ترقص له ويمتلىء بالنشوة والرغبة فى امتلاكها .. ويترك



« لاترافياتا » الاوبرا التى اختارها المخرج الايطالى « زيفاريللى » لكى يحولها الى فيلم سينمائى

نفسه منجذبا لها ومع عالمها .. ولا يفيق الا مع امر استدعاء من السلطة للعودة الى الخدمة العسكرية ويضطر للاذعان للامر .. بينما كارمن تعلن غضبها عليه لانه تركها وتشهر ضده سلاح الغيرة .. فهى دائما ما تستفزه بصديقها الجديد (اسكاميلو) الذى يشتبك فى معركة معه ويكاد يقتل فيها .. ومرة اخرى يضطر (جوزيه) للابتعاد عنها لزيارة امه التى على وشك الموت والتى ارسلت فى طلب رؤيته ..

ويذهب (جوزيه) تمزقه الغيرة .. متوعدا كارمن بانه سيكون هناك لقاء بينهما لتصفية الموقف .

وفى الفصل الرابع من الأوبرا نصل الى ذروة الصدام .. حينما يعود (جوزيه) ليجد كارمن ترقص مع (اسكاميلو) وصديقاتها يحذرنها من رد الفعل المتوقع من (جوزيه) .. وهى لا تبالى .. وتواصل استفزازاتها بشكل واضح .. ويواجهها (جوزيه) بكل الحب الذى يحمله لها ويعدها بحياة جديدة بعيدا عن هذه الاماكن .. ولكنها ترفض وتعلق،انها لم تعد تحبه .. وتتجه الى اسكاميلو .. ويعترض طريقها ليمنعها من الذهاب .. فتصرخ فيه :

« إما ان تجعلنى اذهب .. او تقتلنى » .. فيشتط به الغضب والعذاب .. فيقتلها .. وتسقط تحت قدميه .. وينهار هو بجوارها .

كانت هذه هى الخطوط العريضة لأوبرا كارمن .. فكيف تحولت اخيرا إلى السينما ؟ ..

فى السينما الأسبانية

المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » الذى يعتبر اهم واشهر مخرج فى السينما الاسبانية ، والذى وضع اسم السينما فى بلاده على خريطة السينما العالمية .. يحكى كيف كان يتصور « كارمن » .. وكيف أعاد تقديمها على الشاشة .. فيقول :

« عندما كنت صغيرا .. كان لاسم كارمن وقع خاص بالنسبة لي .. اننى كنت صغيرا اتصورها دائما ، امراة جميلة من الاندلس شعرها اسود ، شفتاها ممتلئتان ، عيونها سوداء كعيون الغزال .. كانت « كارمن » فى خيالى ـ ايام المدرسة ـ فتاة جميلة تعتمد على نفسها .. اما الآن فقد اصبحت بالنسبة لى .. امراة ناضجة واسطورة عالمية » ..

ثم يقول : « انها قصة لها جذور من الواقع .. ولا يمكن تصورها الا من خلال مجتمع البحر الأبيض المتوسط وجوه » .

ولهذا فقد برع « كارلوس ساورا » فى أن يجسد شخصيات القصة مليئة بالانفعالات الحادة .. تتدفق فى سخونة وحيوية .. ومزج بين موسيقى « بيزيه » وموسيقى الفلامنكو وايقاعات الرقص الهادرة المشحونة بالقوة والعذوبة .. واختار ان يصوغ أحداث القصة فى شكل فرقة رقص تستعد لتقديم اوبرا كارمن .. وتدور الأحداث كلها فى صالة بروفات بمبنى حديث .. وليس امامنا من ديكورات .. سوى مجموعة من المرايا الضخمة بطول الحوائط وعرضها .. وخشبة مسرح .. وبعض الستائر القليلة فى الخلفية .. ومجموعة من المقاعد والموائد الخشبية ..

ومن هذا المكان البسيط للغاية .. قدم المخرج حركة كاميرا بارعة بحيث لا تتكرر لقطة من زاوية واحدة .. وبحيث تصبح انفعالات ورقصات الممثلين فى بؤرة العين ولا تشتتها اية زخارف او مكملات جانبية .. وهكذا يتحول هذا المكان الضيق الى عالم رحب من الألوان والحركة والتدفق والنشوة

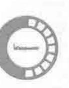
واعترف اننى تمنيت ان اشاهد هذا الفيلم اكثر من مرة .. فقد كانت سعادتى به لا توصف .. فهذا نموذج الفن السينمائى الخالص الذى لا يعتمد على الابهار التكنولوجى .. وانما على قوة الاقناع .. وتفجير الجمال من ابسط الأشياء التى نراها ونتعامل معها كل يوم .. والقدرة على قيادة الممثلين والتحكم فى الايقاع بنسب محسوبة بدقة ، حتى تتواصل الشحنات دون تكرار او افتعال .. وايضا دون ارهاق للمشاهد ..

وقد خرجت من دار العرض .. وانا اشعر اننى اخف وزنا .. وأكثر صفاءا وحيوية .. واكثر قدرة على العمل واحتمال سخافات الحياة . !

ان الفن الجيد .. يجدد فينا الأمل ويغسل مشاعرنا ويزيل عنها الصدا .

التصرف فى النص الأصلى

وقد تصرف المخرج الاسبانى « كارلوس ساورا » فى القصة الاصلية لأوبرا كارمن .. وجعل علاقة الحب تنشا بين مدرب الرقص فى هذه الفرقة ، والراقصة التى اختارها لتقوم بدور « كارمن » .. فهذه الراقصة المتدفقة بالشباب والحيوية .. ذات العيون



دعوة لالتقاط الأنفاس مع الأفلام الموسيقية



كارمن فى مشاجرة مع احدى زميلاتها فى المصنع

السوداء .. فتاة تعيش ليومها .. كانت ترقص فى احدى الفرق الصغيرة بمدريد وذهب اليها المدرب ضمن جولة واسعة لاختيار الفتاة التى تستطيع ان تعبر عن كارمن فى شكلها وشخصيتها .. وعندما راها .. قدم لها نسخة من كتاب يحكى عن كارمن وطلب منها ان تقرؤه وتستوعبه جيدا .. وامسكت هى الكتاب بعدم اهتمام واضح .. فهى تستطيع ان ترقص ولا داعى للقراءة .. ولكنه اراد ان يجعلها تعيش الدور كاملا .. حتى عندما وقفت امامه لترقص .. صرخ فيها مؤنبا ومحذرا .. « لا تنظرى الى . ولكن ارقصى وتحركى مع الموسيقى . تخلصى من شخصيتك .. وتقمصى كارمن »

ولان المدرب يعتبر هذا العمل جزءا منه .. وهذا الاختيار مسئوليته .. فقد لجا الى مساعدته لتقف معه ، وتضع هذه الراقصة الجديدة فى القالب المطلوب .. واندهشت المساعدة لرجائه .. وقالت وهى تنظر للراقصة بعدم ترحيب : « ولماذا هى بالذات .. هناك راقصات احسن منها بكثير » ؟ « رد المدرب باقتناع كامل » : « ولكن ليس هناك من يستطيع ان يعبر عن كارمن مثلها .. ان بها شيئا غير موجود فى بقية الفتيات » !

هى فتاة برية .. عفية .. واثقة من نفسها .. حركاتها وخطواتها فيها القوة والانوثة .. واحبها المدرب .. واحبته هى كما احبت غيره ! .

وبعد احدى البروفات يلمحها وهى مع راقص فى حجرة الملابس .. ويشتد غضبه وغيرته .. يطرد الراقص .. ويواجهها بعنف .. فتصرخ فيه « اننى لم احبك » ويتوسل اليها « اننى اريدك لى انا .. اننى احبك » .

انها نفس الفكرة الاساسية التى قامت عليها اوبرا « كارمن » .. ولكن مع اختلاف الظروف والشخصيات .. وينتهى الفيلم بالمواجهة بين المدرب وغريمه الراقص بالفرقة .. واصوات الغناء تردد « الحب والغيرة من عائلة واحدة » ويقتل المدرب





كارمن كما تخيلها مؤلف الاوبرا « بروسبر ميريميه » ورسمها بريشته بالالوان المائيـــة .. لوحة من محفوظات اوبرا باريس .. ثم لقطـــة من فيلم كارمن للمخرج الايطـــالى

غريمه وتسود لحظات صمت ثقيلة .. ثم نسمع اصوات تصفيق .. فلم تكن هذه المواجهة .. الا جزءا من البروفة .. وهكذا يمتزج الواقع بالخيال .. ولكنه خيال فيه جزء كبير من الواقع !

وقد لعب دور المدرب « انتونيو جاديس » .. وهو الذى صمم رقصات الفيلم .. وشارك فى صنع هذا العمل الفنى منذ بدايته .. وهو الفنان الاسبانى الشهير الذى اصبح مسئولا عن الباليه القومى الاسبانى .. وقد شارك المخرج « كارلوس ساورا » فى فيلمه السابق « عرس الدم » الماخوذ عن مسرحية « لوركا » .. وكان بداية التحول الفنى الملحوظ للمخرج « ساورا » واتجاهه الى تقديم المعالجات الموسيقية الراقصة ، لاشهر الاعمال المسرحية ، وتحويلها الى افلام لها المذاق الاسبانى المتميز فى الرقص والغناء ..

مع مخرج الافلام السياسية

اما المخرج الايطالى « فرانشيسكو روزى » فهو عندما فكر فى تقديم كارمن فى فيلم سينمائى .. فقد احتفظ بكل احداث



هكذا تبدو براعة التكوين واختيار الالوان والملابس والغاء الديكور تماما فى فيلم كارمن للمخرج « كارلوس ساورا » .



مدينة روائدا الاسبانية

احدى لقطات مصارعة الثيران



المخرج اثناء التصوير

الاوبرا وتفاصيلها .. واعاد تقديمها مرة اخرى على الشاشة من خلال تصويرها فى اماكن شبيهة تماما بالاماكن التى وقعت فيها .. وقد استدعى هذا ان يعيد الزمن الى الوراء فى الملابس والديكورات .. وفى عزل اماكن التصوير داخل مدينة « روندا » الاسبانية .. واستعان المخرج بقوات الشرطة ، لتمنع مرور السيارات من الاقتراب من اماكن التصوير ، وكذلك منع مجموعات السياح ، حتى يحتفظ للمكان بالزمن القديم .. وتمت اعادة شق طرق داخل الجبال ، لتمر فيها العربات التى تجرها الخيول .

وقد كان مثيراً للدهشة ، ان يفكر مخرج مثل « فرانشيسكو روزى » فى هذه النوعية من الافلام الموسيقية .. وهو المخرج الذى عرفته السينما الايطالية ، صاحب الافلام السياسية الهامة .. مثل : « الايدى فوق المدينة » عام ٦٣ ـ « قضية ماتيه » عام ٧٢ ـ « جثث لذيذة » عام ٧٥ ـ « الذى توقف فى ايبولى » عام ٧٨ ـ « الاخوة الثلاثة » عام ٨٠ .

اعترافات المخرج

ويجيب المخرج « فرانشيسكو روزى » ـ ٦١ عاماً ـ على هذا التساؤل بقوله :

« راودنى دائماً احساس قوى باننى ساقدم فيلماً موسيقياً يوما ما .. ذلك لأن الموسيقى تشكل جزءاً هاما من تكوينى النفسى .. وعندما عرض على اخراج فيلم عن اوبرا « كارمن » .. تاكدت ان هذه الاوبرا هى الفريدة من نوعها والتى تحتمل معالجتها سينمائيا .. انها رائعة « بيزيه » .. وقد اصابتنى هذه التجربة بالرعب فى البداية .. ثم قررت ان اقدمها بنفس اسلوبى فى الافلام .. مع الاحتفاظ بالمناخ الثقافى والاجتماعى للفترة التى حدثت فيها القصة فى الماضى .. لانى اعتبر « كارمن » نموذجا للواقعية الاسبانية فى عصرها ، اذا درسناه بدقة .. وقد اعتمدت فى بناء فيلمى على ان اقدم التلقائية حتى لو تعارضت مع الواقعية الاصلية للاوبرا .. لاعتقادى بان الموسيقى تطلق الخيال ، ليخترق حاجز المكان .. وعندما تسمع موسيقى « بيزيه » وتجرب ان تغلق عينيك فسوف تتخيل الاحداث من وجهة نظرك الشخصية .. ومن هنا فقد حاولت في فيلمي ان اقدم للمشاهد الرؤية التي يشعر انها تتطابق مع الرؤية الخاصة به .

« والمشكلة في تحويل اوبرا الى فيلم .. ليست في تحريك الكاميرا.. او التضحية بكل شىء من اجل تقديم معالجة روائية .. ولكن المشكلة في نظري ان تجعل الفيلم يتقبل لغة التعبير الاصلية بحيث تبدو وكانها جزء طبيعي من سياق الفيلم .. وقد حولت بعض المشاهد الى رقصات بدون الاعتماد على الحوار ، ولابد لي ان اقول ان هذه المشاهد جاءت الى ذهني وكان مؤلف الأوبرا قد اقترحها علي بنفسه » !

الموسيقى والتعبير السياسى

وهكذا يتكلم « فرانشيسكو روزى » وكانه عاشق يصف كيف التقى بمحبوبته ، وكيف تعامل معها . !

ورغم كل ما قاله .. فانه يشعر بانه لم يشرح نفسه جيداً .. ولهذا يعود ليقول :

« اذا كان الكلام السابق لم يقدم مبرراً مقنعاً او وافيا للسبب الذى جعلنى اقرر تحويل اوبرا الى فيلم روائى ، بعد كل افلامى السابقة المختلفة تماما .. فهناك قول لا اذكر قائله يقول « لأن تكون فناناً فهذا معناه ان تكون صانعاً لابسط ولكل معانى الحياة » !

ولا يمكن اعتبار هذه الاجابة من المخرج « فرانشيسكو روزى » نوعاً من الدفاع عن النفس لتبرير نزوة خاصة .. وهو « ينحرف » عن طريقه (!!) ويقدم فيلماً موسيقياً ، بينما عودنا دائماً فى افلامه السابقة ان يثير القضايا الهامة والجادة !!

ذلك لأن الموسيقى والغناء والرقص .. قد تكون احياناً نوعاً من « التعبير » السياسى .. او على الاقل نوعاً من « التمهيد » وترتيب الذهن لاعادة التامل فى هدوء .

رءوف توفيق



دوحة القراء



مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حاول أن تعرف



صورة (١) هذه الصورة لشلال يعتبر أعلى شلال في العالم موجود في فنزويلا بامريكا الجنوبية فما اسمه ؟



صورة (٢) عالم اسلامي كبير عرف باسم رائد الجغرافيين العرب ، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري طاف في كثير من البلدان العربية والأجنبية بغرض المعرفة والعلم. اشهر مؤلفاته صور الأقاليم ومسالك الممالك فهل تعرفه ؟



حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٤





الصورة الاولى : مدينة الاسكندرية .

الفائز : حسن محمود الميدانى ـ قطر

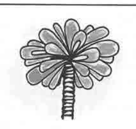
الفائز : علي محمد مطر ـ باكستان

الصورة الثانية : الامام الغزالى .

الفائزة : دلال جميل رضا ـ الكويت

الفائز : ياسر عبد الله المحمدى

الحصن الذي لا يقتحم !



رأيت فتى يتسلق فرعاً معوجاً من شجرة كثيرة الفروع ليسلب ما فيه من ثمر قليل وراعني بجوار هذا الفرع فرعاً آخر أكثر ثمراً وأشهى منظراً والفتى يشتهيه لكنه لا يطمع فيه ، فعرفت في الحال السبب ، فسألت الفتى :

— أيها الفتى ما بالك لا تسطو على ذاك الفرع الجميل وهو أغزر من ذاك الذى تعتليه ؟

فقال : إنه فرع مستقيم يصعب علي تسلقه !

قلت : وهكذا ينبغى أن يكون المرء . إنك باعوجاجك تكون ملعبا للسالبين والخاطفين ، وإذا استقمت كنت حرزا كهذا حصين !

عوني فوزى عبد النور — مصر

تجربة خاصة

بينما كنت أستقل سيارة أجرة عثرت بجوارى على المقعد الخلفي على علبة ملفوفة برباط أنيق فأخذتها وأعطيتها للسائق وقلت له : يبدو أن احد الركاب نسيها هنا فأخذها السائق وشكرني ثم قال لي إن هذه العلبة انا الذى وضعتها هنا كوسيلة إختبار اقوم بها فى علم النفس على زبائنى وقد ثبت لي أن كل أربعة رجال من خمسة يعطوننى العلبة دون أن يفتحوها وأربعة سيدات من خمسة يعطونها لي ولكن بعد فتحها ورؤية ما بها بسبب ما تتصف به المرأة من فضول وحب استطلاع فسألت السائق : وماذا وضعت داخل العلبة ؟ قال : لا شيء سوى ورقة صغيرة كتبت عليها «الجريمة لا تفيد» .

محمد أمين عيسوى — مصر

لقطة الشهر



وجه

للفنان محمد ياقوت — الاسكندرية فازت **بجائزة مائة ريال قطرى** .

أغلى من جواهر التاج

يروى «إيرك ماونباتن» الذى شغل عدة مناصب عسكرية وسياسية قبل إحالته الى التقاعد عام ١٩٦٥ **تلك القصة الطريفة** عن زعيم الهند الكبير المهاتما غاندي ، عندما كان ماونباتن نائبا للملك فى الهند عام ١٩٤٧ ، يقول ماونباتن : لقد كتب الى غاندى يوم إعلان خطوبة الاميرة إليزابيث للأمير فيليب ، يقول إنه سعيد لأن ابن أخي سوف يتزوج الملكة المقبلة ثم يعرب عن رغبته فى تقديم هدية للعروسين بمناسبة زواجهما . ثم قال غاندى فى نهاية خطابه «ولكنك تعرف أننى رجل فقير لا أملك من حطام الدنيا شيئا فما الذى أستطيع أن أقدمه لهما ؟» .

وجلست أرد على خطاب صديقى العظيم غاندى وقلت : «من الذى قال إنك لا تملك شيئا ، إن لديك آلة لغزل الصوف فلماذا لا تغزل للعروسين شيئا !» .

وغزل غاندى مفرشاً للمائدة من صوف الماعز فأرسله إلي ، فأرسلته بدورى الى الأميرة اليزابيث مع رسالة قصيرة لها قلت فيها : «لا تنسى أن تضعى هدية غاندى مع جواهر التاج البريطانى فهى لا تقل عنها قيمة» .

إخلاص صالح احمد
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية







مسابقة الدوحة

مَن ؟

واحد من أعظم قادة الثورات الوطنية ضد الاستعمار في العالم العربي ، قاد ثورة شعبه في بطولة نادرة حتى حقق له النصر ، وكان ذلك في القرن التاسع عشر .

لقب باسم يتكون من ستة حروف :

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥ عكس الجزر

٣ ـ ٤ ـ ٥ فراش الرضيع

٦ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ يعطى بلا مقابل

أين ؟

يقع ذلك القطر في الجزء الأفريقي من العالم العربي ، اشتهر بموارده الطبيعية الهائلة وغير المستقلة ، يتكون من سبعة احرف

٧ ـ ٦ ـ ٣ بمعنى بشر

١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ لون قاتم

٥ ـ ٢ ـ ٤ إناء يستعمل لرفع الماء من البئر

ما ؟

اشتهر ذلك القطر بواحد من أشهر المعالم المائية في العالم . يتكون اسمه من سبعة احرف .

٧ ـ ٦ ـ ٥ بمعنى طراوة

٢ ـ ٦ ـ ٤ يستعمل في القهوة العربية

١ ـ ٣ ـ ٦ آلة موسيقية

الإجابة الصحيحة

١) الكيوبتز هي مستوطنات زراعية عسكرية اقامها الصهاينة في فلسطين المحتلة ، ففي اي تاريخ تاسس أول كيوبتز ؟

١٩٠٩ ـ ١٩١٩ ـ ١٩٢٩

٢) اين مات الاسكندر المقدوني ؟

الاسكندرية ـ بابل ـ مقدونيا

٣) لماذا تطفو البيضة الفاسدة على سطح الماء ؟

لان فيها غازات فاسدة تخفف وزنها ـ لان الجنين داخلها قد نما ـ لان نسبة الكالسيوم في قشرتها اقل من المعتاد

٤) اكبر بناء انجزه الانسان هو

سور الصين ـ الهرم الاكبر ـ سد كاريبا

٥) جائزة نوبل توزع سنويا على المبرزين في المواضيع العلمية والادبية والانسانية وعددها ستة هي:

العلوم الاقتصادية ـ السلام ......

٦) اصحيح ام خطا ان خالد بن الوليد اسلم قبل فتح مكة «عام ٨ هجرية»

٧) كم يبلغ مجموع اضراس وانياب واسنان الحصان !

٣٠ ـ ٣٥ ـ ٤٠

٨) «هوميروس» هو اسم لاعظم شعراء ومؤرخي اليونان فما معنى لفظة هوميروس ؟

النديم او المسلي ـ الاعمى ـ بيت المؤرخ

٩) يطلق الاطباء اسم «امراض الحجر الصحي» على بعض الامراض منها ـ ١) .... ٢) .... ٣) ....

١٠) هذا البيت الناقص للشاعر العربي الكبير بشارة الخوري «الاخطل الصغير» فاكمله :

غنيت للشرق الجريح وفي يدي....

حل مسابقة العدد ٩٤

من : السد العالى

اين : اسوان

ما : الحديد

الأجوبة الصحيحة

١ ـ قصة لنجيب محفوظ

٢ ـ حرب لبنان

٣ ـ ١) حرية التعبير ٢) حرية العبادة ٣) التحرر من الخوف ٤) التحرر من الحاجة

٤ ـ ١٨٧٦

٥ ـ الولايات المتحدة

٦ ـ ونستون تشرشل

٧ ـ نعم

٨ ـ الصومال ـ اثيوبيا ـ اريتريا

٩ ـ والاسبانية والعربية

١٠ ـ الاثنين معا

أسماء الفائزين في مسابقة

لوحة لم تتم : الحل فرانسواز ساجان

الفائزون (١) غسان زهير صادق ـ الكويت (٢) احمد عبد الحميد محمد شاهين ـ مصر

المثل يقول : الحل : مد رجليك على قد لحافك . الفائزون (١) عثمان عوض احمد الحداد ـ السعودية . (٢) محمد سعيد مسلمانى ـ الامارات .

اصل وصورة : الحل : ١) الشعر ٢) التجاعيد . ٣) الأذن . ٤) الأنف . ٥) الفم . ٦) الكرافتة . ٧) الجاكيت .

الفائزون (١) مبروك عبد الرازق شاهين ـ مصر . (٢) صبرى سيد محمود ـ الامارات .

دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٨

الفائزون (١) حسن عز الدين حسن ـ الهند

أسماء الفائزين للعدد

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : طارق حسن عمر ــ مصر .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : عماد عبد الله محمد علي ــ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء : خميس سعيد العلوى ــ سلطنة عمان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ اروى عبد الغنى محمود	الأردن
٢ ــ عبد الهادى منير الشقفي	الامارات
٣ ــ عبد العزيز محمد علي	السودان
٤ ــ مبارك عوض عيسى	مصر
٥ ــ خالد محمد الحسيني محمد	الكويت
٦ ــ ولي الدين عبد العزيز	المغرب
٧ ــ ديب سليم شبلى	قطر
٨ ــ احمد محمد احمد ابراهيم	مصر
٩ ــ عبد الوهاب مشهور احمد	البحرين
١٠ ــ يحياوي عبد الوهاب	الجزائر

استراحة الدوحة العدد ٩٤

(٢) نضال عبد الله ابراهيم ــ البحرين

لاقوياء الملاحظة : الحل : كلب ــ جزره ــ ورده ــ حذاء ــ كوب ــ ارنب . الفائزون . (١) هشام محيسن الحمد ــ سوريا . (٢) نوال محمود محمد القطامى ــ الأردن .

يخلق من الشبه اربعين : الحل : رقم ٤ الفائزون (١) مكى عبد الله شريف ــ السودان (٢) عبد الله محمد النعمانى ــ البحرين

هات اجمل تعليق : (١) لقد احضرتها خصيصا لأذبح بها ذقنك . (١) الفائز : رمضان عبد الحميد مصطفى ــ مصر . (٢) دي مستوردة ، ودافع ثمنها بالعملة الصعبة وحياتك . (٢) الفائز : منى وحيد مناع . الكويت .

قرأت لغة الأرقام

إن النمو الاكثر غرابة الذى سجله التاريخ كان نمو أدام ريبز النمسوى الجنسية حيث ولد عام ١٨٩٩ م وكان طوله وهو فى سن ٢١ سنة يبلغ ١١٨ سم حيث كان قزماً . وفى خلال ٣٢ عاماً أخرى أصبح طوله ٢١٨ سم وقد تسبب نموه المفاجىء الى ضعفه واضطره الى البقاء فى الفراش حتى وفاته عام ١٩٥٠ ويؤكد الأطباء أن هذه حالة نادرة فى التاريخ فى تحول قزم الى عملاق .

ــ الشائع أن الطيار لندبرغ هو أول من طار فوق المحيط الاطلسى دفعة واحدة . إلا أن الحقيقة غير ذلك فقد كان لندبرغ الرجل السابع والستين الذى حلق فوق المحيط الأطلسى فى ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ . حيث سبقه فى ١٩١٩ المغامران الخطيران السير دجون الكوك ــ والسير هوتيون برادن حيث طارا من نيوفاوندلاند الى ايرلندا .

وفى آخر السنة نفسها عبر المنطاد الانجليزى ر ٣٤ المحيط الأطلسى من اسكتلندا الى أمريكا ذهابا وايابا وكان يحمل ٣١ رجلا فى سنة ١٩٢٤ طار المنطاد الألمانى زر (٣) من فريدريكشافن بألمانيا الى ليكهرست بولاية نيوجرسى الأمريكية . وكان يحمل ٣٣ رجلا . وبذلك يكون لندبرغ الذى عبر بعدهم المحيط بطائرته دون توقف هو الرجل السابع والستين .

صبيرى عبد الكريم
المغرب ــ الدار البيضاء

جحا .. رائد الظرف والفكاهة

لم يعرف جحا فى الأدب العربى القديم ، وليس اسمه عربيا . وقيل انه لقب لرجل عرف فى القرن الثامن الهجري من شيوخ الترك بالأناضول ، اشتهر بظرفه ونوادره الطريفة ، واسمه الحقيقى «نصر الدين خوجه» وكان يدعى «خوجا» ثم حرفها الناس الى «جحا» .

عاش جحا فى عصر تيمورلنك فلما أغار تيمورلنك على الأناضول واقترب من قرية جحا خرج اليه يحمل هدية أوزة مقلية ، فجاع أثناء الطريق فأكل فخذاً منها ، فلما وصل اليه وقدمها اليه سأله : أين فخذها ؟ أجاب جحا ، ان الأوز جميعه برجل واحده وانظر يا مولاى الى أسرابه بين يديك ! فنظر تيمورلنك الى مسرح للطيور وفيها الأوز على عادته يقف على رجل واحدة إذا استراح ويقبض الأخرى فأمر تيمورلنك بقرع الطبول فهاج الأوز ومشى على رجليه فقال لجحا : أما ترى أنه برجلين لا بواحدة ؟ فرد جحا : يا مولاى لو هددت أنا بمثل هذا الطبل لمشيت على أربع .

مدحت أحمد عبد الحفيظ
المنيا ــ مصر





مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة:



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

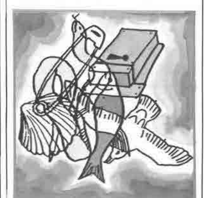
أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى ، هناك سبع اختلافات طفيفة .. لا تحتاج منك إلا أن تدقق وتتامل وتقارن لتتعرف عليها وتفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، إذا استطعت التعرف عليها ارسلها إلينا لتحصل على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى شائع يحذرنا من السنوات الأولى فى تربية أولادنا .. أرسل المثل الشعبى لتحصل على جائزة .





هذا الرسم الكاريكاتيرى ينتظر تعليقك الخفيف الظل ، الذى قد يفوز بجائزة اجمل تعليق .

يخلق من الشبه أربعين











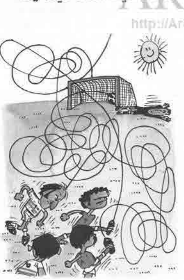
الصور الست المنشورة لفنان الشعب سيد درويش الذى مازالت الحانه واغانيه تمثل تراثا فنيا عظيما ، ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة تعرف على الصورة لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. إذا استطعت ذلك أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

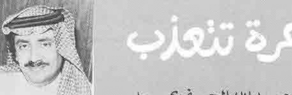
دورى الكاريكاتير



استطاع احد اللاعبين أن يقتحم ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد لنا من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ، لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة





شاعرة تتعذب

بقلم : عبد الله الجفري

● مازالت الشاعرة العربية الفلسطينية تعاني من رحلة العذاب داخل وطنها المفقود منها ، وهي حبيسة الاستعمار الصهيوني .. وراء أسوار المحتل الذي اغتال هناك الانسان والأرض والكلمة والقيم والمقدسات !

وكان لابد لي ان اتوقف عند «مذكراتها» التي نشرت مجلة «الدوحة» الحلقة الأولى منها .. وكان توقفي غضبا ، وكان دمعة ، وكان كلمة ثار ، وكان صرخة !

وكانت كلماتها تجسيداً لمعاناة تلك الصخرة التي حملتها من التعب .. فقالت :

● «وقمت بدورات الصعود والهبوط .. الدورات التي لا نهاية لها . لا يكفي ان تحمل آمالا كباراً ، وأحلاما واسعة .. حتى الارادة وحدها لا تكفي ، لقد ادركت ان العمل هو الوجه الآخر للحلم والارادة» !

وبقيت «فدوى طوقان» هناك ، وقد قررت ان تتعامل مع هذه العملة ذات الوجهين : الارادة والعمل !

وهذه المذكرات تذكرني بموقف طوته الايام . قبل اكثر من عشر سنوات !

يومها .. كانت «فدوى طوقان» قد حجزت نفسها داخل دارها في «نابلس» شهراً كاملا لا تبرحه ، لأنها تكره رؤية الاحتلال .. وفجأة ، اقتحمت عليها الدار صحفية تقتحم المشاعر بفقدان الحس ، وصحيفة تكتب عن «غرباء في وطنهم !» ، وحديث صحافي مثير .. ملعون ابوه !

وبدات الصحفية الاسرائيلية ، التي كان اسمها «جينون» حديثها مع الشاعرة الحبيسة في ارضها ، فحكت أن اباها هاجر من اليمن الى فلسطين المحتلة ، بعد ان عاش هو واجداده هناك مئات السنين !

ووصفت «فدوى طوقان» تلك الصحفية الاسرائيلية ، فقالت عنها :

● «انها وجه ينطق بالشراسة ، وشعر اسود منفوش ، يحيط براس تدور فيه افكار شريرة» !

وجاءت الصحفية ، مندوبة من صحيفة «معاريف» التي نشرت ذلك الحديث يومها مع الشاعرة فدوى طوقان !

لقد اقتحمت هذه الاسرائيلية « كل» فدوى طوقان مرتين .. مرة بدخول دارها ، بهذا التحدي والابتذال المسلكي ، ومرة اخرى كان الاقتحام للمشاعر .. حين رأت الشاعرة العربية ان لا مندوحة لها من الاجابة على الاسئلة اليهودية ، وضرورة طرح ارائها وكلماتها

واخذت ـ يومها ـ اتابع ما كتبته ذات الراس الشرير «جينون» في حوارها مع حبيسة دارها وارضها «فدوى طوقان» .. وكيف عانت الشاعرة من أعدائها .. سالبي ارضها !

ـ قالت جينون لفدوى : هل تؤمنين بقوة الشعر .. بانه اقوى من اي قوة في العالم .. من الميراج .. من الدبابة ؟ !

ـ اجابت فدوى : نعم .. اؤمن بذلك ، واعتقد ان للشعر قوة كبيرة جداً .

كانت اجابات «فدوى» مقتضبة .. فيها قرف وقلق وترويض نفس مقهورة . واخذت اتصور هذا الوجدان المكبل .. هذا التعبير الانساني المكمم النازف ، وبرغم ذلك .. فقد خرجت قصائد «فدوى» الجديدة من وراء الاسوار . تلك قوة الشعر ، وتلك قصيدتها التي صاغتها حينذاك بدمها «فوق جسر اللنبي» ، وكانت تخترق صدورنا كحرب .. تتجسد فيها ماساة العربي صاحب الارض وهو يعاني المذلـــة والقهر .. لكن دور الشـــاعر ، والكـــاتب صانع الكلمة الصارخة بالحرية ، يحتم عليه ان يصمد ، وان يمرر كلماته بكل الوسائل !

واستمر استفزاز تلك الصحافية الاسرائيلية للشاعرة العربية .. تحاول ان تغمر احتمال المواطنة العربية في اليأس ، وفي قبول الامر الواقع ، وفي الاعتياد على العبودية ، وقالت اليهودية «جينون» في خلال حوارها مع الشاعرة :

ـ لو كان رجال الفكر والادب من ابناء شعبك يعلمون ان وجود اسرائيل قد سبقته اجراءات وتدابير ، ترجع جذورها الى الدين والتاريخ المتمثلين في نشيد صلواتنا الذي حملناه نحن اليهود في انحاء المعمورة .. لعرفتم لماذا جئنا !!

وكانت تلك الصهيونية تزور الحقائق والتاريخ .. تلك التي اكدت ان اليهود عاشوا في فلسطين بين العرب فترة طويلة من الزمن .. دون أن تكون احقاد منهم ، ولا استعلاء ، ولا عنصرية .

كان «داود» ينفخ مزاميره ويتجول منشداً ، دون أن يعتور ذلك غمط او اجحاف !

لكن يهود اليوم الذي تجمعوا فرقا من ارجاء الأرض .. هم الذين احتلوا الأرض العربية ، وشردوا انسانها وعذبوه ، فليسوا هم من قوم «داود» ولكنهم حثالات تجمعت من روسيا وبولندا وتشيكسلوفاكيا وجنوب افريقيا والمانيا .. ولازالت كلمة «مورجانتو» الأمريكي ، تدوي وهو يقول :

ـ «مالنا نحتضن هؤلاء اليهود الشرقيين القذرين» ؟ !

اما «فدوى طوقان» فقد ردت على اليهودية «جينون» قائلة :

ـ «ان عائلتي موجودة على هذه الأرض منذ (٥٠٠ عام) وقد عاش اليهود بيننا في محبة ووئام ، وكان لنا اصدقاء .. لكن ، عندما تاسست دولة اسرائيل بدات المصاعب ، فالصهيونية حركة عنصرية خبيثة» !

ان كل قيمة اليهود في فلسطين ، مقدارها ٧٣ عاما ، هي فترة عهدي داود وسليمان .. عاش اليهود قبلها مهاجرين ، وبعدها مشردين .

ان قصة «فدوى طوقان» كما قالت : هي قصة الكفاح مع العطش والصخر .. ولكن صمودها العظيم هناك في اتون نيران المستعمر ، قد خلق تلك الشاعرة المبدعة المتألمة الحزينة الصابرة الشجاعة !!